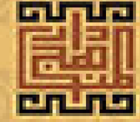
Orientalism
In Islamic Studies

الاستشراق ومناهجه

في الدراسات الإسلامية

أ. د. سعدون الساموك



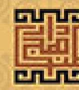


الاستشراق ومناهجه

في الدراسات الإسلامية



أ. د. سعدون الساموك



الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية

تأليف

أ.د.سعدون الساموك

المقدمة

المنهج هو الأسلوب أو الطريق التي يتبعها كاتب أو مُنظِّر أو مؤلف في مسألة معينة..ومناهج المستشرقين هي الأساليب التي اتبعها المستشرقون في عرض العلوم الاستشراقية إلى الأوروبيين تارة وإلى الشرقيين أنفسهم تارة أخرى..

فمما لاشك فيه أن المستشرق الذي يدرُس تاريخنا ويقلب أوراقنا وينشغل في تراثنا، يتصور للأسف الشديد – أنه هو القادر على إفهامنا ماضينا، وكأننا مجموعة من الأغبياء غير قادرين على أن نستوعب ماضينا فنكون بحاجة إلى من يقوم بهذا العمل نيابة عنا. وذاك ادوارد سعيد يقول بأن الشرقي أُقصي من مكانه ليقوم المستشرق بتمثيله نيابة عنه ليقول ما يجب أن يقوله الشرقي أو ما يجب أن يفعله. والأنكى من ذلك أن هناك من بين الشرقيين من يقر بذلك. فنجد الكثير من أساتذتنا وأئمة مساجدنا، من يستشهد بقول المستشرق مهما بلغ في مستواه. والكثير من المستشرقين غير قادرين على هضم اللغة العربية، فكيف يصل إلى مرتبةٍ يستشهد بقوله وهو قاصر عن فهم اللغة مهما بلغ به الرقي العلمي؟

ولا أريد أن أظلم بعض المستشرقين ممن كانت لهم أيادٍ بيضاء معنا، فبعضهم قد خدم الشرق بالبحث والتمحيص بتجرد وعلمية. وهم عدد لا بأس به من العلماء. إلاّ أن الحديث يجري عمن يتستر وراء موجهيه من مخابرات الغرب أو كنائسه أو مجالسهِ الكنسية صاحبة المصلحة في الإساءة إلى تراث الإسلام.. وكذلك اليهود الصهاينة ممن نصبوا أنفسهم محاربين للإسلام وأهله حرباً لا هوادة فيها ولا أمل في المسالمة له أو لأهله مهما كانت إدعاءاتهم بذلك.

لذلك سنحاول في هذا الكتاب أن نستعرض الاستشراق معنىً ومراحل تاريخية مرّ بها، ومن ثم أهدافه التي لم نجد غيرها وخاصة في معالجته للإسلام وعلومه، ثم نخوض في مناهجه الكثيرة. في عرض اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي والعقيدة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي ومن ثم عرضهم للعلوم عند العرب مع تلخيص بما وجدناه في مناهجهم تلك..

وكان لابد أن نستعرض مواطن الاستشراق لنجد الغث والسمين، والجيد والطالح من الآراء والطرق أو الأساليب التي تستعرضها كل دولة من الدول التي تعاملت مع الاستشراق وصولاً إلى الاستشراق في الأرض المحتلة "فلسطين" والتي هي بيننا في الشرق، إلا أن معظم سكانها الآن مهاجرون من البلدان الأوروبية الغربية والشرقية، فكان فيهم من يهتم بهذا العلم ويستمر في اهتمامه هذا، لنرى ماذا يريد هذا العالم من علمه في بلاد كانت قاعدة هذا العلم.

وبعد هذا، سنمر على الجامعات والمعاهد الاستشراقية في كل البلدان التي تهتم بالاستشراق. وما تتخصص به من دراساته العديدة. ونختم دراساتنا هنا ببعض الرموز الاستشراقية التي عنت بهذا العلم واتجاهاتهم ومناهجهم وما خلفوه في إصدارات فيه.

إنه دراسة من الدراسات العديدة في مجال الاستشراق. لابد أن نكون قد عرضنا فيه البعض مما هو مهم فيه وأصبح المتخصصون فيه لا بأس بإعدادهم، وما نقدمه الآن هو إضافة لما قدموه.. علماً بأننا من أوائل من اشتغل في هذا العلم ودرسناه على مدى سنين طويلة في جامعة بغداد والمعهد

العالي للمؤرخين العرب في بغداد وفي جامعة الكوفة وفي معاهد عراقية أخرى وجامعة السابع من ابريل في ليبيا إضافة إلى الجامعة الأردنية ضمن مادة الثقافة الإسلامية. راجياً من الله العلي القدير أن يوفقني في الاستمرار بعرض المادة هذه وخدمتها لأنها جزء من خدمة الإسلام العظيم وهو هدفي الأقصى إن شاء الله. وأرجو أن أكون قد وفقت في عرضها وأفدت بها من شاء الاستفادة والحمد لله.

- المؤلف -

الوحدة الأولى : دراسة في واقع الاستشراق

سنتعرف على الاستشراق، معناه الحقيقي وحدود الدراسات التي تسمى بالدراسات الاستشراقية، ثم نتناول تاريخه، إذ أنه لابد قد مرّ بمراحل تاريخية عديدة، وتطور فيها من دراسات محدودة بسيطة إلى دراسات أكثر تعقيداً مبينين فيها أهداف تلك الدراسات.. فلابد أن تكون للمراحل أهدافها أولاً، ومن ثم هناك أهدافاً شمولية لهذا العلم ولفروعه.

- تعريف الاستشراق
- مراحل نشوء الاستشراق
- أهداف الاستشراق

تعريف الاستشراق

الاستشراق علم (1)يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم.. ويدخل ضمن معنى الشرق أية منطقة شرقية، لكن (المصطلح) يعني هنا ماله علاقة بالدراسات العربية أو اللغات التي تؤثر فيها العربية كاللغات الفارسية والتركية.. وقد بدأت الدراسات تتسع وتستقل حتى أصبح لكل منطقة من المناطق تسميتها فبدأ بعضهم يدعو دراسة اللغة العربية وشؤون العرب بالدراسات العربية ويدعو المستشرقين المتخصصين بالعربية بـ (المستعربين).

مراحل نشوء الاستشراق

أما المراحل التي مرّ بها الاستشراق فيمكن توزيعها على الشكل التالي:

أولاً: المرحلة المبكرة

وهي المرحلة التي نقل الكنسيون فيها علوم الكنيسة وفلسفة اليونان من حاضرة العرب (بغداد) وغيرها من البلدان العربية إلى روما حيث كانت الكنيسة في احتضار فكري..

وكانت هذه المرحلة قد بدأت منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام فكان أعظم ما قام به العرب إلى جانب نشرهم الإسلام وتأليفهم في علومه المختلفة، قيامهم بترجمة آداب وفلسفات العالم وخاصة اليونانية والرومانية والهندية والفارسية، ومناقشتها والرد عليها، فكانت علوم الكنيسة، من العلوم التي تناولوها بالترجمة والنقد والمناقشة.. ولاشك في أن بعض الفلاسفة المسلمين قد استفادوا من الفلسفة اليونانية ومزجوها بالفكر الإسلامي وجعلوا من بعض فلسفات الإسلام محاكية لليونانية. ولكن – وبدون أن نبخس حق هذا المزيج الفكري الفريد – لابد أن نعود إلى القول بأن الفكر الإسلامي لم يكن بحاجة بذاته لهذه الفلسفة، فلقد آمن الناس به بدونها وانتشر قبل معرفتها ولا يعود لها أي فضل على الإسلام، فإن كان هناك من فضل، فالفضل هو للإسلام على أمم الغرب، فبدون هذه الترجمات وبدون الفلسفة الإسلامية التي حاكت فلسفة اليونان. لم يكن لدى الكنيسة في روما قدرة على ترجمة آثارها اليونانية والرومانية وخاصة في العصر الذي أطبق الجهل فيه على شعوب أوروبا. وقد وفد على حاضرة المسلمين – بغداد – وكذلك غيرها، عشرات من كتاب الكنيسة لينهلوا من علوم الإسلام ويصلوا إلى المؤلفات اليونانية ومناقشات العرب المسلمين عليها ليترجموها بعدئذ إلى لغاتهم وخاصة اللاتينية، لغة الكنيسة آنذاك لتعتمدها في نشر أفكارها ويمكن عد رحلاتهم هذه كموجة استشراقية أولى بالمعنى الذي نقصده، فقد تعلموا خلالها العربية ونقلوا علومها إلى شعوبهم. إلا أنهم نقلوا أفكاراً مشوهة عن العرب والمسلمين، وصوروا نبيهم ودينهم أبشع تصوير فصوروا الرسول (ص) كاردينالاً منشقاً على البابوية طمع في كرسيها فلما خابت آماله ادعى النبوة، ولصا «وقاتلا وزير نساء وكافراً وساحراً ودجالاً وخائناً وفاجراً» وشيطاناً وإرهابياً يشيع الموت وينشر الدمار، وداعية إباحية اتخذ من شيوعية المرأة وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الأخلاق([2]).

وصوروا الإسلام مزيجاً مشوهاً مستقى من أصول مسيحية ويهودية تلقاها الرسول (ص) من أساتذته أحبار اليهود ورهبان النصارى وقسسهم وصوروا الإسلام أيضاً بصورة زندقة بل "منبع الزندقات" وفرقة منشقة عن الكنيسة. وصوروا القرآن الكريم بأنه كتاب يناقض بعضه بعضاً وغير منسجم في أفكاره وغير منتظم فيما يحويه وكل ما فيه يخالف العقل ويعوق الفكر "أما المسلمون فهم وحوش وأبناء شياطين وأهل لواط ومشركون يعبدون مجمعاً من الأصنام".

وكانت معظم هذه الصور قد دونها القديس يوحنا الدمشقي الذي عاش في العصر الأموي في دمشق، وبعضها في رسالة منتحلة نشرها مؤلف يدعي أنه كان مسلماً وارتد عن الإسلام وآمن

بالمسيحية، اسمه عبد المسيح بن إسحاق، وكان المستشرقون من المبشرين المسيحيين قد أعادوا نشرها في القرن التاسع عشر بلندن([3]) - وذلك لتخدم أغراضهم في الطعن بالأمة العربية وتراثها المقدس. ولقد ساعدهم ذلك الدس والافتراء على تأجيج حقد الشعوب المسيحية على العرب والمسلمين فضلاً عن أحداث أخرى استغلتها الكنيسة لتزحف بشعوبها نحو البلاد العربية في حرب صليبية كان لها هدفان:

الأول: تهديم معالم الإسلام وإنهاء دوره الذي طغى على دور الكنيسة آنذاك.

الثاني: إيجاد مستمرات في الأراضي العربية ينقلون إليها مراكز حكمهم بعد أن اشتد الصراع فيما بين أمراء وملوك أوروبا وما بين بابا روما على السلطة. وقبل أن ننتقل إلى المرحلة الثانية من مراحل الاستشراق لابد من التنويه إلى أن دراسات الغربيين لأحوال الجزيرة العربية أو الشرق قد سبقت عصر الصليبيين بكثير، وحسب آراء المؤرخين، فقد عثر على كتاب لمؤلف غربي مجهول اسمه (الطواف حول البحر الأرتيري) يعود حسب رأي الدكتور جواد علي إلى نهاية القرن الأول للميلاد([4]).

وظهرت معلومات مفصلة عن الخليج العربي عن (فلافيوس اريان) اليوناني في مؤلفاته عن حملات الإسكندر في الخليج العربي، كما أن المؤرخ (سترابو) الذي رافق حملة ليوس غاليوس سنة (25) للميلاد – وكان الغرض منها السيطرة على اليمن وطرق تجارتها – قد تحدث في مؤلف له عن مدن العرب وقبائلهم ووصف أحوالهم التجارية والاجتماعية والاقتصادية([5]). وليست محاولات البرتغاليين لاستعمار المنطقة العربية والسيطرة على التجارة في الخليج عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر فيما بعد، بخافية على أحد. فقد سبقتها "حركة نشطة يطلق عليها اسم حركة الاستكشافات الجغرافية وهي حركة استكشافات علمية في ظاهرها من أجل الوصول إلى المناطق المسيطرة على طريق الهند التجاري، ولكنها في واقعها وبما استطاع روادها من جمع معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية مفصلة عن المنطقة، مهدت السبيل وقدمت العون الكافي للقائد البرتغالي البوكيرك في أثناء توغله العسكري في منطقة الخليج العربي وغزوه عدداً من المراكز فيها غزواً عسكرياً مضطهداً عرب المنطقة بوحشية. وكان هدفه من ذلك إضعاف هيمنة العرب التجارية والاستحواذ على مصادر التجار والثروة في الخليج العربي"([6]).

وعلى كل حال فالمجال لا يسع ذكر كل المساهمات الغربية في وصف المناطق العربية وسكانها سواء أسبق ذلك الأمر الحروب الصليبية أم بعدها، مما ساعد كثيراً في التوجه نحو البلاد العربية وغزوها واضطهاد سكانها.

ويميل بعض المؤرخين إلى عد تلك المساهمات جزءاً من حركة الاستشراق الغربية([7]) أما آخرون فلا يعدونها حركة استشراق بالمعنى العلمي الذي اصطلح عليه([8]). وعلى أية حال فأن تلك المساهمات لا يمكن إغفالها حيث كانت البداية لحركة استشراقية أعمق وأغزر دخلت مرافق الحياة العربية والإسلامية وكان لها تأثيرات بالغة الأهمية سنأتي على ذكرها.

ثانياً: مرحلة التبشير

فهي المرحلة التي يتفق جميع المؤرخون على أنها حركة (استشراق) بالمعنى العلمي الذي اصطلح عليه والتي بدأت بشكل واضح في نهاية القرن السابع عشر. وقد خدم فيها المستشرقون أغراضاً شتى. حيث قد نشطت الكنيسة في إرسال أعضائها إلى مناطق عديدة في أفريقيا وآسيا، وبخاصة في المناطق العربية، كشمال أفريقا وسوريا ولبنان وبعض مناطق الجزيرة.. وكان عملهم ناجحاً في المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي أكثر من المجال الديني. فالمسلمون لا يعطون آذاناً دينية صاغية للمبشرين وبالتالي فقد أفلس رجال الكنيسة الغربية في تحويل المسلمين إلى مسيحيين مما جعلهم ينقمون عليهم وينقلون تراثهم إلى أوروبا بصورة مشوهة لا تعكس الحقيقة وجعلوا الأوروبيين ينظرون إلى العرب المسلمين نظرات فيها حقد وازدراء بعد أن صوروهم لهم بصور مختلفة وألصقوا بهم نعوتاً مغايرة لما يتصفون به.

وكان وجود المبشرين في الأراضي العربية فرصة كبيرة لهم لتطوير إمكاناتهم اللغوية. حيث تمكنوا من دراسة العربية الأم فضلاً عن اللهجات المحلية واشتغل المهتمون منهم بالتراث العربي فبرز كثيرون منهم في المجال الاستشراقي.

ومن قدماء المبشرين المستشرق الانجليزي هنري بريدو الذي ألف كتاباً عن الرسول الكريم، وكان كاهناً في نورويج ببريطانيا ستة (1681 م). وسيمون اوكلي المستشرق الانجليزي، مؤلف كتاب تاريخ العرب بجزأين، قسيس سوانسي بكمبرج في انجلترا عام (1720) وجاجنير المستشرق الفرنسي الذي ألف كتاباً عن حياة الرسول (ص) معتمداً (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء، طبعة عام (1723م).

ومن المحدثين المبشر المستشرق جاك جومييه والأب لويس كارديت أستاذ اللاهوت والفلسفة في معهد تولوز بفرنسا، والأب لامانس والأب صموئيل زويمر الأمريكي... وغيرهم.

ولابد من التذكير بأن كثيراً من المبشرين الذي أفلسوا دينياً في المناطق العربية وبخاصة المستشرقين منهم قد قدموا خدمات جليلة إلى الغرب، حيث نقلوا لهم وبدقة كل ما درسوه في الشرق من صفات لأخلاق العرب، والعوامل الاجتماعية التي تحيط بهم وبحياتهم الاقتصادية والمؤثرات السياسية والثقافية وكل ما يمكن الاستعمار من الدخول فيه من الثغرات، وبمعنى آخر، فقد كان استشراق المبشرين عاملاً مهماً لدراسة (الطبيعة) التي يحتاج الاستعمار لمعرفتها عن الوطن العربي، هذا من جانب ومن جانب آخر، فقد جلب المبشرون من المستشرقين، أخلاق الغرب وثقافته وحضارته، وكان التصاقهم بالشعب العربي أو بطوائف منه، قد فتح الأذهان على الغرب مما جعل لوجودهم بين العرب أثراً في تغلغل الثقافة الغربية وانتشارها وهي من العوامل المساعدة على دخول الغرب كله إلينا بعدئذ.

ويمكن أن تلخص دور أولئك المبشرين من المستشرقين في ثلاثة أمور:-

الأول: إن دراساتهم قد كونت صورة مشوهة عن الإسلام في أوروبا وكانت تستمد موادها الأولية من مصادر سبقهم إلى كتابتها المستشرقون الأوائل الذين ذكروا دورهم أثناء وبعد الحروب الصليبية..

الثاني: أن تلك الدراسات قد كونت شكلاً منهجياً وإطاراً فكرياً في أوروبا عدّها جميعهم مسلمات وحقائق على الرغم مما توصل إليه كثيرون من نقائض لها في بحوثهم.

الثالث: تعتيم أجواء الاستشراق بحقد دفين على الإسلام والأمة العربية بالذات على الرغم مما تدعيه تلك الدوائر من التجرد والموضوعية والعلمية.

ولقد ضربنا أمثلة على الإساءة إلى تراثنا، سواء إلى مقدسات أمتنا أو إلى عظمائها وكذلك في قدرات الأمة العربية على النهوض فهم يأخذون من الأمور والصور شكلياتها دون أن يدرسوا الأسباب التي أدت إلى بعضها، فحين يتكلمون عن نساء النبي (ص) يصفون النبي زيراً للنساء وداعية للإباحية وذلك بإقراره تعدد النساء فيصفون ذلك التعهد شيوعية للمرأة اتخذها النبي (ص) وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الأخلاق.

متناسين أن تعدد الزوجات كان موجوداً في القرن المسيحي الأول ومنعته الكنيسة في القرن الثاني، وكان أوغسطين مؤرخ الكنيسة يهاجم (ترتوليان) أحد أعمدة الكنيسة في القرن الأول لاتخاذه إحدى عشرة امرأة له.

ولم يقف حدود الهجوم على شخص النبي (ص) وإنما تعداه إلى القرآن الكريم فراحوا يصفونه بأنه مستقى من أصول مسيحية ويهودية تلقاها النبي (ص) من أحبار اليهود والرهبان. وإذا جاءوا إلى تفسير آياته يترجمون الكلمات التي تحتمل أكثر من معنى في لغاتهم إلى المعنى الذي يتفق وأهدافهم التبشيرية دون الرجوع إلى تفسير المفسرين المسلمين للاستفادة من المعاني التي ذكروها([9]).

وقد أشرنا إلى بعض الملاحظات التي أساء بها المستشرقون إلى أمتنا العربية ووصفوها بالعجز. ففي محاضرة ألقاها الفيلسوف (رينان) في جامعة السوربون في 29 آذار 1882 زعم أن الإسلام يقف بوجه العلم والفلسفة وحرية التفكير وأنه يعرقل أي تقدم علمي أو فكري لأنه – على حد زعمه – دين غيبة وخوارق. وقال رينان: "أن الإسلام دين جبري وإيمان استسلامي وادعى أن الفلسفة الإسلامية مسخت الفلسفة اليونانية وشوهتها، وأن العرب لا يملكون عقلاً فلسفياً". أما سبب ظهور البحث العلمي والفلسفة عند العرب أبان العصور الوسيطة فعزاه رينان إلى الأجانب الذين دخلوا في الإسلام([10]).

إن أفكار رينان تلك، يلمسها المرء في كل المدارس الاستشراقية، فالمستشرقون يتغنون بفضل الرومان والكنيسة الغربية والفرس على الفكر العربي ويعزون إليهم تقدمه.

ثالثاً: مرحلة الاستعمار

وهنا لابد من التقرير بأن المستشرقين جميعاً قديمهم وحديثهم خدموا بشكل أو بآخر أغراض الاستعمار. فقد سبق أن أشرنا إلى ظهور مؤلف عن البحر الأرتيري منذ القرن الميلادي الأول، ثم إن هناك دراسات عن الواقع العربي في عصر الصليبيين شهدت حملات نابية شديدة على الإسلام والتراث العربي برمته. وهناك دراسات اجتماعية وسياسية وإستراتيجية صاحبت الحملات البرتغالية إلى الخليج العربي والبحر الأحمر. وعندما بدأت أوروبا بالانتعاش الاقتصادي، وصارت لها الأساطيل الحربية القوية، بدأ ملوكها بإرسال علمائها إلى الأقطار العربية لدراسة أوضاعها وتراثها. وقد صاحب ذلك حملة قوية لتعلم العربية، حتى نادى رجال الكنيسة أنفسهم بفتح مراكز لتعليم العربية في جامعات أوروبا المختلفة، والتي بدأت بالتوسع. وكانت الكنيسة – هي الأخرى –

قد تطوعت لخدمة الأغراض الاستعمارية وذلك بإرسال بعثاتها لدراسة الأوضاع في المشرق والمغرب العربي والكتابة إلى الدوائر المعنية في بلدانها للاستفادة منها.

وبدأت البعثات الدبلوماسية تؤدي دورها الاستشراقي أيضاً فكثير من أعضائها وقناصلها كانوا من العاملين في حقل الاستشراق وكتبوا عن العرب الشيء الكثير، فكان (بوكون) قنصلاً لفرنسا في (حلب) و(كلرمهون) قنصلاً لفرنسا في القدس ثم في الاستانة و(بوتي) الذي كتب عن المدينة الإسلامية قد عيّن من قبل الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى([11]).

وهناك (كاتافاكو) قنصل فرنسا في دمشق والذي كتب شرحاً باللغة الفرنسية عن (تعاليم الطائفة النصيرية). وكان هناك آثاريون قد عملوا في الآراضي العربية وعينوا بمناصب دبلوماسية. فكشف (لوفتوس) مثلاً موقع نينوى وعثر على بقايا قصر آشور، فانتخب بعدئذٍ عضواً في مجلس العموم البريطاني ثم وكيلاً لوزارة الخارجية([12]).

وكان الأب جوسين والأب جاك جوميه والأب صموئيل والأب لويس كارديت، قادة للحملات التبشيرية ذات الطابع السياسي والذين كانت الدوائر الاستعمارية تزودهم بنفقات بحوثهم ومعيشتهم في الشرق العربي.

وهكذا فنحن نجد أن المستشرقين يخضعون بأعمالهم الاستشراقية إما إلى التبشير فيحاولون أن يعكسوا أفكارهم مشوهة، فإذا توفر فيها بعض أخلاص فإن أدوات المستشرقين الفكرية تقصر عن طبيعة العرب والمسلمين.

وإما أنهم يتأثرون بوجهات النظر الاستعمارية فيخدمونها عن طريق مباشر أو غير مباشر فيسيئون عن عمد إلى كل ما هو عربي وإسلامي([13]).

أهداف الاستشراق

ويمكن حصر أهداف المستشرقين في دراساتهم العربية والإسلامية في أمرين:

الأول: أن يتعرفونا فتكون معرفتهم بنا صورة ينقلونها إلى بلدانهم وشعوبهم تلك الصورة التي تشكل مجموعة من المعرفة الحضارية والنفسية والتاريخية والثقافية. فكانت تلك المعرفة عبارة عن إرث عظيم، يندر أن يتعرفوه عند غيرنا. حيث كان العرب والمسلمون يعيشون عالماً متحضراً لم تعشه الشعوب الأخرى. لأن الشعوب التي عاصرت شموخ الحضارة العربية الإسلامية كانت تغط في نوم وجهل كبير. ويشكل ذلك الإرث الذي وجدوه مؤلفات ومخطوطات فيها كل ما يريدون معرفته عن مدة تعد من أعظم عصور الحضارة الإنسانية، إلى جانب قيم موروثة يصعب انتزاعها من الشعب العربي في أية مدة زمنية يعيشها. والتفاف بين الحاضر والماضي يصعب فكه.

الثاني: أن تعاد إلينا تلك الصورة التي كونوها عنا بعد أن ركزوا على الماضي منها فقط، ففصلوا الحاضر عنها متقصدين خلق هوة سحيقة تفصل بين ذلك الماضي وبين الحاضر الذي أهملوه. ولا يمكن فصل هذه الأهداف عموماً عن خبث وذكاء الاستعمار الغربي منذ نشوئه فهما أصحاب هدف مشترك.

جاء كثير من المستشرقين كما جاء المستعمرون من قبلهم – ومن بعدهم أيضاً إلى ماضينا العظيم. فدرسوه وشكلوا له الجمعيات المختلفة وتحت عطاءات علمية مكثفة ومدعمة بقدر كبير من مساعدات المخابرات الغربية، وذلك للاهتمام بنقطة تصوروا أنها تشكل نقطة يريدون من خلالها أن يصطادوا بالماء العكر، فدفعوا بآلاف الباحثين ليدرسوا تلك النقطة – أي الماضي – فينقلبوا في زوايا مكتبتنا وتحت أراضينا، جاعلين منه عملاً راحوا يتطاولون في بنيانه، فتمكنوا بجهودهم المضنية أن يقنعونا بجدية اهتمامهم به. فرحنا نزداد به التصاقاً أكثر مما كنا عليه قبلهم. حتى باتت جامعاتنا وصحفنا ووسائل إعلامنا لا تتحدث إلا عن ذلك الماضي، وبمعنى آخر، لقد جعلونا نعيش ذلك الماضي.

أما الحاضر، فقد قصدوا إلى زرع أوهام له في أعماقنا إذ جعلوا الكثير من عملائهم على المستويات السياسية أو الثقافية – في فترات التحرر القومي في مطلع هذا القرن وإلى زمن قريب جداً، تقول لنا: أننا لا نملك من الحاضر شيئاً، فالصناعات قد تطورت في الغرب. والعلوم قد شقت طريقها في الغرب. وكل ما يمت إلى الإنسان اليوم، تجده في حياة الغرب وثقافته وأدبه. وحتى ماضي العرب المجيد نجده في حاضر الغرب أما العرب، فقد قصد الجميع إلى زرع الاعتقاد في نفس المثقف العربي، بأن لديهم ماضياً يتغنون به. وليس هنالك ما يقال عن شيء اسمه الحاضر فحاضرهم في الغرب، يستهلكون ما يقوله وما يفعله وما يقدمه الغرب فقط، وحتى ماضيهم فلم يعودوا يقولون فيه شيئاً إلا بعد أن يقول الغرب رأيه فيه. كان الاستشراق يريد منا ذلك. وأصبح كثير من أساتذتنا وعلمائنا يعتدون بأمر المستشرق ويقارنون بين ما يحكمونه وما يرويه المستشرق. فيكون كلام المستشرق هو القول الفصل والحكم فيما يروونه.

لقد هدف الغرب إلى استعمار عقولنا قبل أن يغزوا أرضنا نعم. فقد كانت هناك ولا تزال "ثقافة غربية تتسلل إلى عقل إنساننا في هذه المنطقة بأساليب مباشرة وغير مباشرة لتوجيهه لمصالح

الغرب"([14]) وبهذا الطريق. هدم المستشرق ذلك وأذل علمنا، لأنه أخضع كل علومنا لمقاييسه هو. وصوره وأطره هو تحت اسم البحث العلمي الرصين وطرق البحث الجديدة والنظرة العلمية المجردة. فاستطاع بطريق ذلك أن يستعمر ماضينا إلى حدٍ ما، كما استعمر حاضرنا. لذلك فإن أعمالهم الخبيثة قد اتجهت إلى ما يأتي:-

1. بعد أن نجحوا في شدنا إلى الماضي فقط راحوا يشككون به، ويزيفون بعضاً من حقائقه تزييفاً يرفضه أي مفكر. وقد برز بينهم من يكشف ذلك التزييف دفاعاً عنا، يثبت من خلال ذلك، إخلاصه وعلميته إلا أنه يمرر من خلال ذلك أمراً أهم وأقوى.

2. أن يغلبوا أموراً ليست ذات قيمة تاريخية على حقائق ثابتة بطريق تحقيق مخطوطات لم تنل عناية الماضي فجعلوا لها حاضراً درسوا من خلاله الماضي فنشرت دواوين وأشعار وفلسفات طائفية وأراء فقهية متهافتة لم يلتفت ذلك الماضي الزاهر لها. فجعلوا حولها أطراً "لدراسات اجتماعية سياسية وأخرجوا من خلالها نظريات لتحليل الفرد العربي والمجتمع العربي ربما لا تصل إلى مرتبة القبول فجعلوا منها حقائق راحوا يبنون عليها، فأصبحت بمرور الأيام بديهيات يعتمدها الغربي في بحوثه وكأنها حقائق ثابتة. ونجحوا في أن يجروا الكثير من أبنائنا للأخذ بها مقاييس لدراسة ذلك الماضي العظيم كما أن هناك" الهاء لعامة الناس عن الأمور الجدية والمفيدة الأساسية في حياة المجتمع ومستقبله وطرح القضايا الجانبية على أنها أساسية والترويج لها" ([15]).

3. وبعد أن أثبتوا عظمة الماضي، نسبوه إلى غيرنا – ولعل هذا من أخطر ما يشددون عليه – فالفرس والهنود والرومان واليونان كانوا – في رأيهم – أصحاب فضل على ذلك الماضي فبدون حضاراتهم لم تكن لنا حضارة عظيمة أو مجد تليد.

كانت الشعوبية تريد ذلك فيما مضى. والغرب قد تبنى هذا الأمر من بعدها. فكتب فيه النظريات الكثيرة. وكثير من علمائنا يتغنى بتلك النظريات فيقول أن "العرب تمكنوا أن يهضموا العناصر الغربية التي اختاروها من حضارة اليونان والرومان ويتمثلونها ويدخلوها في نسيج حضارتهم الزاهي الألوان المتناغم الألحان، بحيث وفقوا بين العقيدة الإسلامية وهذه العناصر الغربية توفيقاً مدهشاً دللت عليه حيوية الحضارة العربية الإسلامية طوال العصور الوسيطة الأولى".

وهذا الكلام أخف بطبيعة الحال من أن يقال عن الحضارة العربية الإسلامية أنها مسروقة ومستقاة من الحضارات الأخرى كما يردد ذلك كثير من المستشرقين ذوي الاتجاهات الدينية والسياسية المعروفة.

وسواء أكان تردد الكلام بصيغته الأولى بحسن النية أم بصيغته القاسية الثانية، فإن ذلك الكلام يسيء إلى الحضارة العربية والتراث العربي والإسلامي. لأن "الفكر الإسلامي قد تشكل أساساً قبل الاتصال بالفكر اليوناني أو الفارسي أو الهندي"، فما جاء به العرب كان مميزاً، وبقيت سمات تفصل ما بين حضارة العرب وحضارة الفرس أو ما بين حضارة الروم واليونان فإن كانت هناك تأثيرات متبادلة فذلك أمر طبيعي حيث أن الحضارة هي ثمرة الجهد الإنساني. لكن غلبة الحضارة العربية وانتشار الفكر الإسلامي جعل الفكر الشعوبي يتأجج حقداً عليها منذ الأيام الأولى للحركة الإسلامية. فهل هنالك مثلاً تأثير للعمارة الفارسية أو اليونانية على مباني بغداد؟ وهل كان دور

العرب في الرواية والكتابة يعتمد تأثيرات الفرس واليونانيين؟ بل الأدهى من ذلك، ألم يكن العرب هم الذين ترجموا كتب اليونان وأعطوها إلى أوروبا بعد أن عجزت من ترجمتها لتنتفع بها؟

هل تأثر محمد (ص) بأحد حين أسس دولته في المدينة وجعل لها دستوراً كان يعد أول دستور في التأريخ؟

ألم يكن هناك شعراء وأدباء في الجاهلية؟ وهل احتفظت أية حضارة بشعر أبنائها كما حفظها العرب إلى اليوم الحاضر؟ وآلاف الكتب والمؤلفات منذ العصر الإسلامي الأول وحتى نهاية العصر العباسي الأول. ألا تثبت أصالة الحضارة العربية والإسلامية؟

قد يرى بعضهم آثار الفلسفة اليونانية قد اختلطت مع الفكر الإسلامي ويعبر عنها بتأثير الفكر اليوناني؟ فلنأخذ الجبر والقدر مثالاً، والسؤال هنا: ما قيمة الجبر والقدر وما قيمة أية فلسفة دون الأصل–الإسلام-؟ سواء تداخل الأصل مع الفلسفة اليونانية والفكر المسيحي أم لم يتداخل؟ ما قيمة كل ذلك دون الإسلام – الأصل -؟

أليس كافياً أن تزول تلك الفلسفات ويبقى الأصل لمن يردد بأن العرب قد نهلوا وهضموا الغريب والجيد من الحضارات وأدخلوها في حضارتهم. ويبقى الأصل لمن يردد بأن العرب قد نهلوا وهضموا الغريب والجيد من الحضارات العالمية وأدخلوها في حضارتهم بأنّ مميزات كل حضارة واضحة وترديد ذلك الكلام ضرب من العبث أو تطاول على الحقيقة.

وحين نتحدث عن حضارة العرب (المميزة) نحتاج بطبيعة الحال إلى بضعة أمثلة تؤكد أصالتها. أفلم يكن العرب قد أوجدوا منطق (الاستقراء) – وهو غير منطق أرسطو القياسي، فالعرب – إلى جانب اهتمامهم بالبحوث الفلسفية والدينية – قد اهتموا بالعلوم التي تستند إلى مناهج الاستقراء فاستخدموا في دراستها الملاحظة، ومارسوا التجريب واستعملوا الآلات التي صنعوها يومذاك وعنهم أخذتها أوروبا في عصر النهضة([16]).

كان الحسن بن الهيثم (ت سنة 430 هـ) يلاحظ الظواهر الحسية الجزئية ويعمد إلى التجريب الذي يدعوه (الاعتبار). فيصل بهذه الطريق إلى الحقائق ويصوغ القوانين العامة نتيجة مزاولته التجربة في دراسته. ويكون ابن الهيثم قد سبق الفيلسوف الانجليزي (فرنسيس بيكن) بستة قرون في توصيته بضرورة إتباع منهج (الاستقراء) وتنوع التجارب وتكرارها لتحاشي الوقوع في الخطأ([17]).

ولقد نقلت العلوم العربية شيئاً آخر إلى أوروبا, شيئاً كانت تفتقر إليه عبقرية اليونان إلى حد ما. لقد لقنت العلوم العربية درساً مهمّا، هو أن الدراسات الفيزياوية والتجريبية تتطلب مثابرة مستمرة وصبراً في المشاهدات والملاحظات (النتائج العلمية) قبل الانتهاء إلى نظريات عامة وبينت العلوم العربية في مجال الفلك والفيزياء وفي فروع الكيمياء والتنجيم أيضاً كيف تقوم أسس المنهج الوضعي للدراسات، ذلك المنهج الذي بلغ به جاليليو وبيكون المجد في العصر الحديث"

كما أن كثيراً من المقالات الأصلية لجابر بن حيان في الكيمياء قد نقلت إلى الغرب وعد (بيرتلو) في كتابة " الكيمياء في العصور الوسيطة" جابر بن حيان أعظم كيماوي في تلك العصور.

واستفاد ديكارت من أسلوب الشك العلمي من أجل الوصول إلى الحقيقة للغزالي فقد قارن الكاتب الفرنسي شارل سومان بين نبذ من مؤلفي ديكارت (رسالة الأسلوب) أو (التأملات في الفلسفة

الأولى) وبين مقاطع من كتاب الغزالي (المنقذ من الضلال) "وتوصل من هذه المقارنة إلى أن ديكارت قد اطلع على كتب الغزالي وعنه أخذ أسلوب الشك العلمي من أجل الوصول إلى الحقيقة".

أما ابن خلدون فلا يزال علماء الاجتماع في العالم يشيدون بآرائه ويعدونه عالم الاجتماع الأول . فقد قال عنه المستشرق استيفانو كلوزيو: (أليس ابن خلدون باستنباطه أن لتقدم الزمن لمرافق الحياة ولشروط المعاش ومقوماته فعلاً كبيراً في نشأة الطباع واكتساب الملكات الجديدة، دالاً على بعد نظره ونفاذ بصيرته.

وما هذه الحقيقة إلا مبدأ أساس في علم الاجتماع يعود الفخر في تقريره إلى المؤلف المسلم قبل الفلاسفة الوضعيين وعلماء النفس العصريين بقرون متطاولة، أما الشريعة الإسلامية فقد عدها الكثيرون مصدراً من مصادر القانون العصري في المعاملات.

وفي مجال العلم والعلماء فهل كان في دول الحضارات آنذاك عدد يحصى أكثر من علماء العرب. فقد أصبح عدد الأطباء في القرن الرابع الهجري كما أحصاه (لكلير) في كتابه (تاريخ الطب العربي) أكثر بكثير من الأطباء الذميين.

هذا فضلاً عن الأدباء والشعراء والمؤلفين والمترجمين وعلماء الدين وغيرهم ممن أشبعتنا الكتب العربية والعالمية ذكراً لهم ولمنجزاتهم العلمية. وبعد، فهل يجوز القول بأن الحضارة العربية لم تكن لتكون بهذا الشكل لولا تأثير الحضارات العالمية المحيطة بها آنذاك؟

لقد سلط المستشرقون أضواء كثيرة على هذا المفهوم حتى أن ذلك أصبح من الأمور البديهية عند الغربي. والأنكى من ذلك أنها قد أصبحت (بديهية) عند المتأثرين بالمستشرقين من علمائنا وكتابنا.

فلقد دأب الاستشراق منذ نشأته على سلب حقنا في تصوير حضارتنا فرسم لنا صورة مشوهة عنها تبدو في حقيقتها رائعة، لكن التعمق بها يظهر لنا زيفاً كبيراً. فلقد أريد للاستشراق أن يكون أسلوب مخاطبة للإنسان الغربي" يحكي ما يجب أن يقال عن الشرق في المجتمعات الغربية ويساعد في إكساب تقييم المستعمرين للشرق مقام الحقيقة.

ولكن ذلك الأسلوب قد بات أسلوباً لبعض باحثينا ليشاركوا في تزييف حقيقة تراثنا.

الوحدة الثانية : مناهج المستشرقين

سنتعرف على معنى كلمة المنهج أولاً.. ثم سنتناول فيه - وهو أهم الفصول- على موقف المستشرقين من كل علم في علوم الإسلام "اللغة العربية والإلوهية والقرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي والعقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والاقتصاد الإسلامي وأخيراً العلوم عند العرب والمسلمين". وسنرى موقف المستشرقين منها ويقف على العقلية التي يتعاملون فيها مع تلك العلوم الإسلامية ومدى علاقتها بالله والوحي.

- المستشرقون واللغة العربية
- المستشرقون والعقيدة الإسلامية
- المستشرقون والقرآن الكريم
- المستشرقون والسنة النبوية
- المستشرقون والفقه الإسلامي
- المستشرقون والسيرة النبوية
- المستشرقون والاقتصاد الإسلامي
- المستشرقون والعلوم عند العرب والمسلمين
- المستشرقون والمجتمع العربي والإسلامي
- المستشرقون والتاريخ الإسلامي

تمهيد

دراسة في واقع الاستشراق

لقد كان للمستشرقين، مناهجهم في كل المباحث الإسلامية، وقد آثرنا الاهتمام بالجوانب التي ذكرناها. لقد ذكرنا منهجيتهم في اللغة العربية وفي القرآن الكريم والحديث الشريف والعقيدة الإسلامية والمباحث الأخرى. وقد وجدنا في دراساتنا أن المستشرقين كانوا يجانبون الصواب في الكثير من تلك المواقف. وقارنا ما بين "الحقيقة" التي يعرضها الإسلام وما بين مواقفهم التي بنيت أكثرها على خلفية ذهنية سبق أن كونوها عن كل جانب من جوانب الإسلام، ونحن نقول الحقيقة لكوننا ننتمي إلى الإسلام عقائدياً. وأننا نعتقد أن الله هو الذي أنزل هذه الرسالة، وطالما كان كل شيء من "الله" فأنه الحق. وما يقال غير ذلك، فهو مجانبة للحقيقة أو تطرف واضح.

وقد كان للدكتور عبد القهار العاني أستاذي وزميلي في تأليف كتاب "مناهج المستشرقين" الذي يُدرَّس في جامعة بغداد أراءً في منهجية بعض المستشرقين وقد آثرت أن استعين ببعض آرائه التي استقاها من مصادر قيمة واعتمدت على مصادر أخرى، كان من بينها كتاب "الفكر الاستشراقي" للدكتور محمد الدسوقي حيث وجدت في بحثه نقاطاً تعضد أفكار الدكتور عبد القهار العاني، وموضوع "السيرة النبوية" للدكتور سلطان العكايلة من محاضرات في الثقافة الإسلامية الذي يدرس في الجامعة الأردنية وكتاب المستشرقون والمناهج اللغوية للدكتور إسماعيل عمايرة، فهي تعبر عن مواقفي تجاه هذه المنهجيات التي استعرضتها. فالمنهج كما هو معلوم، الطريق أو الأسلوب الذي تعرض فيه الفكرة. سواء في طريقة العرض أو الأسلوب الكتابي والذهني للمستشرق تجاه قضية ما، لذلك سنجد هنا عرضاً لكلتا الحالتين، الإيجابية والسلبية تجاه أية دراسة من الدراسات التي ذكرناها. راجياً أن أكون قد وفقت إلى ذلك.

أولاً: المستشرقون واللغة العربية

قبل الدخول إلى مناهج المستشرقين في الدراسة الإسلامية. لا بد من التعريج على مناهجهم في اللغة العربية والتي اهتموا بها اهتماماً كبيراً تبين من خلالها اهتمامهم بالتفريق بين لغة المدن والقرى والبوادي واستخدموا هذه الأسس في التفريق بين الطوائف الدينية كالنصرانية واليهودية.

لقد اهتم المستشرقون بدراسة اللهجات العامية إلى جانب اهتمامهم باللغة العربية فلا تكاد تخلو جامعة من جامعات الغرب التي خصصت بأقسام الاستشراق في تخصيص شطر من دراستها لدراسة اللهجات. ويعتني المستشرقون بشكل خاص بالظواهر النادرة فيفردون لها البحوث المتخصصة في وصفها واستيعابها وتسجيلها تاريخياً.

وكانت للمستشرقين زوابع كثيرة للدعوات العامية وخاصة في الفترات التي كثر فيها المبشرون في العالم الإسلامي والعربي لغرض التنصير (بداية القرن الماضي) ولا زالوا يغذون هذه الدعوات لتقويض العربية والتركيز على دراسة اللهجات المندثرة كالأمازيغية في شمال أفريقيا والقبطية والنوبية في مصر وغيرها كثير.

وقد جعل المستشرقون لدراسة العربية واللهجات المحلية مناهج حصرها الأستاذ إسماعيل احمد عمايرة بستة مناهج هي:

1- المنهج المعياري الذي يعني بالدراسات النصية التي ترمي إلى فهم النص من خلال المعايير المستقاة منه بغرض الوقوف على معناه.

2- المنهج التاريخي وهو المنهج الذي يهتم باللغة المكتوبة التي دونت في وثائق حتى لو لم تكن حية منطوقة. وهو منهج لا يغفل المنطوق.

3- المنهج المقارن وهو جزء من المنهج التاريخي في دراسة اللغة وهو يتميز عن المنهج التاريخي بعنايته ببحث الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة.

4- المنهج الوضعي والذي يدرس اللغة المنطوقة فقط، فهو يحتفي بدراسة اللهجات ويهتم بواقع الظاهرة اللغوية وليس بتاريخ تطورها. لذلك كان تركيز أصحابه على وصفها من خلال واقعها المنطوق وليس من خلال الوثائق المكتوبة لأن قواعد الإملاء والكتابة لن ترقى إلى وصف الظاهرة اللغوية.

5- المنهج التقابلي الذي يعتني بالموازنة بين اللغات والفرق بينه وبين المنهج التاريخي. والمنهج التاريخي يوازن بين اللغات بقصد التأصيل والوقوف على جوانب التطور أما المنهج التقابلي فانه يقصد التعليم ومعرفة المشكلات التي يعاني منها الدارس الذي يرغب في اكتساب لغة جديدة بأيسر السبل وذلك بمعرفة المشكلات التي يعاني منها الدارس يرغب في اكتساب لغة جديدة بأيسر السبل وذلك بمعرفة المشكلات التي يواجهها في اللغة الجديدة.

6- المنهج الإحصائي: ويهتم هذا المنهج بالوقوف على الظواهر اللغوية الأكثر شيوعاً في اللغة الواحدة.

وعلى الرغم من اختلاف المناهج وكثرتها لدراسة اللغة العربية واللهجات المحلية، إلاّ أن اللهجات لم تحل محل اللغة الأم، بل أن الذي حصل هو التقريب ما بين اللهجات والفصحى وذلك بفعل الدراسات اللغوية الكثيرة وتوسع الجامعات في البلدان العربية وإصرار العرب في كل مكان على إحلال فكرة التفاهم فيما بينهم والاستمرار على المحافظة على اللغة العربية الأم.

إن الاستشراق يتهم الأدب العربي بضعف أو فقدان التجربة الإنسانية الصادقة، فالمستشرقون في منهجيتهم تجاه اللغة العربية التي يبتني الاستشراق والاستعراب عليها يتصفون بعدم الدقة والإنصاف في دراستهم لها، ويعزوها الدكتور محمد حسين هيكل إلى عدم تمكنهم من الإحاطة بأسرارها([18]). كما أن المستشرقين بقدر إساءتهم فهم العبارات، فإنهم يضعون النصوص في غير مواضعها ويحملونها ما لا تطيق ألفاظهم وما لا تدل عليه معانيها.

والاستشراق يلح دائماً على أن العربية لا تصلح لغة للعلم المعاصر، وأن قواعد نحوها وصرفها عسيرة، وأن على المسلمين أن يتخلوا عن هذه اللغة الصحراوية لأن تمسكهم بها سيحول دون نهضتهم وإسهامهم الإيجابي في تطوير الحضارة وسعادة البشرية.

وما يهم دراستنا في هذه المناهج أنها خلف إبراز الدعوات لإحلال العامية محل العربية التي هي لغة القرآن وبالتالي لغة الأمة التي تعهد الباري بحفظها –أي اللغة ومن ثم الأمة– بقوله تعالى +إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.."([19]) صدق الله العظيم.

مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية

إن نظرة واحدة إلى ما جاءت به كتابات المستشرقين ودراستهم أنهم قد اتبعوا مناهج محدودة منها:

1. المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي يهتم بالوثائق والمخطوطات والمفروض أن هذا المنهج يوازن ما بين الموجودات من المعلومات بقصد التأصيل، لكن إتباع هذا المنهج قد انجرفوا وراء المنهج الذاتي الذي سنتحدث عنه فخلطوه بالمنهج التاريخي الذي جعل من منهجهم ذاتياً أكثر منه تاريخياً.

2. المنهج الاستقرائي أو القياس، والذي بني على قواعد مميزة كان من المفروض أن تضبط عملية استنباط النتائج والمبادئ من الأحداث التي رويت ضمن المنهج العلمي السردي ليحميها من الوهم وشهوة الإرادة النفسية، إلا أن ذلك لم يحصل ولم تبتن المعلومات التي سردها إتباع هذا المنهج على البناء التاريخي. لأنها كما ذكرنا في النقطة الأولى تداخلت مع المنهج الذاتي الأكثر شيوعاً. فكان أصحاب هذا المنهج قد ابتعدوا عنه قليلاً.

3. المنهج الذاتي.. وهو المنهج الذي يقحم المستشرق فيه نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري والديني –المسيحي أو اليهودي- والسياسي في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على إبطالها وإتباع هذا المنهج يجعلون الدين خاضعاً للمقاييس العلمية التي تبعد الغيبيات والوحي عن سير الأحداث الإسلامية.

وقد ألتفّ المستشرقون جميعاً حول هذا المنهج، وحتى أصحاب المنهجين التاريخي والاستقرائي، فإنهما قد خلطا مناهجهما بالمنهج الذاتي، فلم نجد الموضوعية والفهم الحقيقي للإسلام بين

سطورهم. والحقيقة فإن المستشرقين في الدراسات الإسلامية جميعهم يمكن وضعهم ضمن أصحاب المنهج الذاتي فهم طالما يسبغون على كتاباتهم وإحداثها نزاعاتهم الشخصية والدينية والتي تجعل مواضيعهم الإسلامية تبتعد عن الأصالة الموضعية. وجميع من سنذكرهم من مستشرقين في مختلف العلوم التي سنذكرها يتميزون بالذاتية التي أفقدت موضوعهم الأصالة والموضوعية.

ثانياً: المستشرقون والعقيدة الإسلامية

يحاول الكثير من المستشرقين أن يسبغ ما يراه وما يعتقده على المسلمين دون فهم للإسلام وحقيقة الإسلام. وكما سبق أن ذكرنا بأن المستشرق إما أن يكون ملحداً أو يهودياً أو نصرانياً، فهم لا يعرضون آراء القرآن الكريم أو السنة النبوية – كما هي موجودة في عقول المسلمين – وإنما يستعرضونها من خلال فهمهم هم لتلك المواضيع. فيقول أحد المستشرقين في تفسير قوله تعالى (وَإِلَى الله الْمَصِيرُ) "النور / 42 ، خاطر/ 18" (أن إله الإسلام جبار مترفع، بينما إله المسيحية عطوف متواضع ظهر في صورة إنسان هو الابن الإله، فعقيدة التثليث المسيحية قربت بالإنسان في الإله، وعقيدة التوحيد الإسلامية باعدت بينهما وجعلت الإنسان خائفاً متشائماً([20]).

يقول المستشرق اليهودي (كولدتسيهر): "من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه في العقيدة موقفاً متجانساً خالياً من التناقضات. فالتوحيد مذهب ينطوي على النقائض العسيرة الفهم. أما التثليث فمذهب واضح في فهم الإلوهية([21]).

يتساءل الدكتور محمد الدسوقي بقوله: "أليس هذا شيئاً عجيباً، هذا اليهودي الذي يدّعي أنه مؤمن بالوحدانية وينكر عقيدة التثليث يوازن هنا بين ما يدعو إليه القرآن من الإيمان بإله واحد وبين مذهب التثليث عند النصارى، ويرى أن هذا المذهب واضح على حين أن ما قرره القرآن ينطوي على النقائض العسيرة الفهم. إن هذا الكلام الذي يلقى على عواهنه يحكم على هذا المستشرق بالتضليل والنفاق، لأنه لو كان صادقاً بينه وبين نفسه فيما يذهب إليه، فإنه يكون مؤثراً للمسيحية بعد تحريفها على اليهودية وهو ما لم يصرح به، فهو إذن يتخذ ما يقوله ذريعة لكسب ود المسيحيين وعطفهم من أجل نصرة المبادئ الصهيونية التي تعكسها بروتوكولات حكماء اليهود، فهو النفاق وليس البحث العلمي النزيه".

والقس (زويمر) يرى أن المسلمين وإن كانوا موحدين، فإن الههم ليس إله قداسة ومحبة. إن (زويمر) يعتبر من أخطر المبشرين المحدثين، وما يراه جهل واضح، لأن من يتمتع بقدر قليل من العقل إذا تلا القرآن الكريم فإنه يجزم لا محالة بأن المسلمين يؤمنون بالله الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء([22]).

أما بالنسبة للإلوهية عند المسلمين فيقول الدكتور الدسوقي فيها: إن المسلمين لا يؤمنون بإله خاص بهم، ولكنهم يؤمنون بالله الواحد الأحد، رب السموات والأرض وما فيهن، فما صدر عن هذا القسيس بهتان لا مثيل له، ومن عجب أن يرتدي إنسان ثياب العلماء ثم يردد هذا الهراء".

نرى من هذه الأمثلة أن الطريق الذي انتهجه المستشرقون في نظرتهم إلى الإلوهية في الإسلام تعتمد:

1. عدم النزاهة والعلمية.
2. هيمنة المفاهيم الكنيسة على عقول المستشرقين من النصارى.
3. روح التعصب الذي يبعد عن الموضوعية.

4. نزعة التشويه والتضليل.

5. النفاق الذي يردده بعض المستشرقين – أمثال كولدتسيهر بقصد إمرار الدعوات التي تتستر خلف هذه الدعوات.

ومن المستشرقين من يعيش حالتين من الفكر المتناقض، فمرة نراه يمتدح الإسلام وأخرى يهاجمه، وقد تناول الدكتور عبد القهار العاني غوستاف لوبون - مستعرضاً تقلباته الفكرية - فيقول فيه:
وهذا لوبون يقول في كتابه، فلسفة القرآن([23]) مبيناً حقيقة التوحيد في الإسلام: إذا أرجعنا القرآن إلى عقائده الرئيسة أمكننا عدّ الإسلام صورة مبسطة عن النصرانية ومع ذلك فإن الإسلام مختلف عن النصرانية في كثير من الأصول، ولاسيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي وذلك أن الإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء ولا تحفّ به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسهم وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول (دين أدخل التوحيد إلى العالم).

بدأ الدكتور العاني بذكر آراء لوبون الإيجابية فقال: ويبين لوبون الصفات المميزة للإسلام من حيث فطرته ووضوحه وسهولته مما جعل انتشاره عظيماً وقبوله سهلاً لما فيه من العدل والإحسان والمساواة (وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم غالباً من المتناقضات والغوامض ولا شيء أكثر وضوحاً وأقلّ غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة الناس جميعهم أمام الله وببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها ويدخل النار من يعرض عنها) وانك إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أي طبقة رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد ذلك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثاً عن التثبيت والاستحالة وما ماثلها من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل. وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أقر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم ونفسّر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام كما نفسّر السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً سواء كانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة.

ويجب على من يرغب في الحكم بفائدة كتاب ديني ألا ينظر إلى قواعده الفلسفية الضعيفة على العموم بل إلى مدى تأثير عقائده، والإسلام إذا ما نظر إليه من هذه الناحية وجد أنه من أشد الأديان تأثيراً في الناس وهو مع مماثلته لأكثر الأديان في الأمر بالعدل والإحسان والصلاة.. الخ، يعلّم هذه الأمور بسهولة يستمرئها الجميع وهو يعرف فضلاً عن ذلك أن يصبّ في النفوس إيماناً ثابتاً لا تزعزعه الشبهات.

ثم يبيّن الدكتور العاني تناقضات لوبون – وهي صفة غالبة في المستشرقين – حتى استعرض آراءه السلبية في العرب والمسلمين ذاكراً قول عادل زعيتر عن لوبون: (وكان الأخطر من هذا كونه رجلاً ملحداً ذا ميول عنصرية واستعمارية ساذجة واضحة وأنه يجاهر باحتقاره العميق للعرب المعاصرين متذرعاً بالموضوعية ولقد ذكر في الصفحة الرابعة والأربعين من كتابه ما يلي: "ليس البدوي العربي في واقع الأمر سوى نصف متوحش.. نصف متوحش ذكي طبعاً إلا أنه

لم يخط منذ آلاف السنين أي خطوة نحو الحضارة وبالتالي فإنه لم يتأثر بأي من التحولات المختزنة في الإنسان المتحضر".

وإن كان لوبون رجلاً ملحداً فإن رأيه في الإسلام كما رأيناه على الرغم من إلحاده يدل على أن الإسلام في مبادئه والقرآن في إنسانيته وسموه الروحي وأصالته الحضارية هو الذي دفعه إلى أن يذكر الآراء الصحيحة الواقعية في الإسلام وأهله، ومع كل ما ذكرناه فإننا نجد هذا المستشرق يرجع فيقول عن لوبون:- (وأنه في خاتمة كتابه لا يخفي مشاعره الاستعمارية والامبريالية إذ يقول:- "أن الشرقيين لا يفتقرون ليضارعوا شعوب أوربا المتحضرة وبضعة رجال عظام ومن حسن حظنا على كل حال أنهم يفتقرون إلى هؤلاء الرجال لأن نوعية جماهير شعبهم ستتيح لهم بيسر عندئذ أن يحلوا محلنا وأن يتصدروا الحضارة بدورهم من جديد"([24]).

ومع كل هذا التشكيك فإن أكثر ما غاضه العبارة الأخيرة من قول غوستاف لوبون "لأن نوعية جماهير شعبهم ستتيح لهم بيسر عندئذ أن يحلوا محلنا وأن يتصدروا الحضارة بدورهم من جديد".

وهكذا يظهر لنا عدم انضباط منهجية كثير من المستشرقين في الكليات أو الجزئيات مما يجعل الباحث في ريب دائماً من البحوث الاستشراقية.

ثم تناول الدكتور عبد القهار العاني مستشرقاً آخر هو أجناس جولد تسيهر (1850 – 1921) فقال: وقد عُرف هذا الرجل بشهرته العلمية عند العرب والشرق وكانت بحوثه واسعة عميقة ولكنه في الحقيقة على الرغم من كل ما ذكرناه كان حريصاً على تتبع الآراء الشاذة وتصّيد الآراء الواهية وكان الأولى به أن يقارن بين النصوص ويتلمس الحق ولا يضيرنا أن يذكر الآراء الواردة بهذا الشأن كلها ولكن كما قال الله تعالى +وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ"([25]).

وكولدتسيهر ينسب المعرفة الدينية التي تلقاها محمد (ص) إلى عنصرين: خارجي وداخلي فيقول: فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة يريده الله. لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعد هذه التعاليم وحياً إلهياً([26]).

تلك خلاصة لرأي من آراء المستشرقين في العقيدة الإسلامية ونبي الإسلام ومصادر هذا الدين. وهي تقدم البرهان على أن كل الآراء الاستشراقية في غير ما تحدثت عنه ولا تخرج عن نطاق التشويه والافتراء، لأن تراث المسلمين الفكري والحضاري يرتكز أساساً على كتاب الله وسنة رسوله (ص). فإذا كان للاستشراق في القرآن الكريم والسنة ذلك الموقف الجافي لأبسط قواعد المنهج العلمي، فإنه في العلوم التي نبغ فيها المسلمون وأسدوا بها أيادي بيضاء للعالم كله لن يكون منصفاً أو موضوعياً. فهذه العلوم على تباين مجالاتها نشأت في خدمة الكتاب العزيز، حتى يفقه الناس أحكامه وتعاليمه من أجل العمل الصحيح بها، وليس منطقياً أن يحاول الاستشراق نقض الأساس، ثم يعمل على حمايته ما قام عليه من بناء من عوامل التدمير([27]).

ثالثاً: المستشرقون والقرآن الكريم

القرآن الكريم هو عمدة الملّة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الإبصار والبصائر وأنه الطريق إلى الله ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه([28]). لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، اشتمل على الفرائض والآداب التي يهدي للتي هي أقوم، المعجزة الأبدية التي لا ولن يلحقها تبديل ولا تحريف والذي قال فيه الباري عز وجل إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "([29]) صدق الله العظيم([30]).

هذا الكتاب العظيم الذي وقف صامداً شامخاً طيلة خمسة عشر قرناً لم يلحقه ما لحقت بالكتب السماوية الأخرى من ضياع وتحريف وتبديد وتغيير. فإن للمستشرقين مواقف حوله. مواقف مجافيه لأبسط أصول المنهج العلمي والحقيقة.

ولم نجد في المناهج اللغوية - التي ذكرناها سابقاً أو غيرها - تشابهاً مع دراساتهم القرآنية، وإنما لهم أسلوبهم الفكري الذي تميز كل مستشرق به وطريقته في عرض آرائه وإن كانت تجمعهم مواقف واحدة سنأتي على ذكرها لاحقاً.

وفي حديث الدكتور عبد القهار العاني عن كولد تسهير يقول:

وكولد تسيهر يفرغ حقده ويبث سمومه في صدر كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)، فهو يقول في القرآن الكريم:

"فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقيدياً على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعد الثبات كما نجد في النص القرآني"([31]).

وبعد ما ذكرنا نجد أحد الباحثين المسلمين يقول فيه (يشاء أن يهب الإسلام من الأوروبيين من يؤرخون له كسياسة فيحددون التاريخ ومن يبحثون فيه كدين وحياة روحية فيتعمقون في هذا البحث ويبلغون الذروة فيه أو يكادون ومن يقبلون على الجانب الفيلولوجي منه فيظفرون بنتائج على جانب من الخطر كبير. فكان له على رأس هؤلاء الأخيرين تيودور نولدكه وعلى رأس أولئك الأولين يوليوس فلهوزن. وكان سيد الباحثين فيه من الناحية الدينية والروحية عامة اجنتس جولد تسيهر) وعين رئيساً لأحد أقسام الأكاديمية المجرية سنة 1907 ويظهر أنه قد أقام بالقاهرة فرغب أن يحضر بعض الدروس في الأزهر وكان ذلك بالنسبة لأمثاله امتيازاً كبيراً ورعاية عظيمة، وانظر إلى ما قيل فيه بعد تلك الفترة من حياته، (ومن مكتبه في مدينة بودابست ظل جولد تسهير أكثر من ربع قرن شمساً ساطعة استمرت ترسل في عالم البحوث الإسلامية ضوءاً يبدد قليلاً قليلاً ما يحيط بنواحي الحياة الدينية الإسلامية من ظلام. وينير السبيل أمام الباحثين في الوثائق التي سجلت منها تلك الحياة وينمو على حرارته جيل ضخم ممن كانوا بالأمس القريب أو ممن هم اليوم أئمة المستشرقين)([32]).

أما الدكتور محمد الدسوقي فقد ذكر مستشرقين آخرين قد تكلما في القرآن الكريم. وهما: (بودلى)، (بروكلمان) الأول فرنسي، والثاني ألماني، وقد عقد الأول في كتابه: الرسول حياة محمد([33]).

فصلاً تحدث فيه عن أسس العقيدة الإسلامية، وهو يعتمد في هذا على القرآن الكريم، وقد استهل حديثه بمقدمة توحي إلى القارئ بأن الكاتب يؤمن بسلامة تلك العقيدة، فهو ينفي عن الرسول الكذب والإدعاء، والنقل من كتب السابقين، ثم يعرج بعد ذلك بطريقة فنية إلى التصريح بأن دعوة محمد فيها من اليهودية والمسيحية والوثنية، وأن كل مبادئ الإسلام قد جاءت صدى للبيئة التي عاش فيها الرسول، فالزكاة في نظر (بودلى) غير واجبة، وقد فرضها محمد رأفة بالضعفاء الذين شاهدهم يعذبون في أودية مكة، وهذا خطأ محض، والزكاة لم يفرضها محمد، وإنما فرضها الله، وهي ذات رسالة اجتماعية واقتصادية مهمة، إذ أنها تحقق التكافل بين أبناء الأمة، وتسهم في توزيع الثروة على نحو ما، وتؤكد أن المال مال الله، ولا ينبغي أن يحوزه أحد بطريق محرم، أو يمنع الحقوق المشروعة فيه.

ويتحدث (بودلى) عن الجنة والنار، فيقول: وما الجنة إلا تجسيم ما رآه محمد من نعيم خارج بلاد العرب في أثناء رحلاته. وما الجحيم إلا تجسيم مشاق الصحراء المحرقة القاحلة التي تحيط بمكة، فهو ينعت الرسول بالتضليل والكذب، وأن الجنة والنار فكرة ابتدعها محمد ليحمل الناس على الإيمان بما يدعوهم إليه، وكأنه يريد أن يقول للمسلمين: إن اليوم الآخر خرافة، وإن المؤمنين به قوم مضللون.

يقول بودلى عن العلاقة بين البيئة والتشريعات الإسلامية: وقد أملت الظروف المحلية كثيراً من القوانين الإسلامية، فيرجع تحريم لحم الخنزير إلى رداءة مراعي الخنزير وقذارتها في الشرق، فهي أحط من مثيلاتها في الغرب، كما أن العرب لا يعرفون كيف يطيبون لحومها ولا يعرفون طريقة طهوها.

والواقع أنه لا رداءة المراعي، ولا الجهل بكيفية طهو لحوم الخنازير يعتبر السبب في تحريمها، ولكن يرجع ذلك التحريم إلى علل أخرى، منها ما كشف عنه البحث العلمي الحديث، من الخطر النفسي والجسمي على الإنسان إذا تناول لحوم هذه الحيوانات..

وكذلك يعلل تحريم الخمر: إلى شغف العرب بنوع من المشروبات الروحية المستخرجة من البلح، فلو كانت بلاد العرب بلاد نبيذ فربما أدى ذلك إلى عدم التفكير جملة في تحريم الخمر.

وفي هذا يقول الدكتور الدسوقي: ولكن تحريم الخمر لا يرجع إلى كونها مستخرجة من بلح أو غيره، وإنما يرجع إلى تأثيرها الضار على العقل، ومن ثم كان كل مسكر حراماً، حماية لنعمة العقل من الفساد.

وأما (بروكلمان) فقد عقد في الجزء الأول من كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) فصلاً موجزاً عن تعاليم محمد r أعطى فيه صورة مشوهة لأركان الإسلام الخمسة، وهو في هذا لا ينفك مذكراً بأن هذه الأركان قد انبثق عنها فكر محمد، وأن معظمها قد استقاه من التوراة والإنجيل، وعادات الأمم الخالية، فاليوم الأخر وما فيه من حساب وعقاب فكرة يهودية، نسج محمد حولها كثيراً من الأوهام والأكاذيب، والصلاة طقوس فارسية وتقبيل الحجر الأسود عبادة وثنية، ويقول عن قانون الجزاء في الإسلام: أما القانون الجزائي في الإسلام فقد ظل على مستوى يقرب من السذاجة، وهو لا يمثل إلا تقدماً ضئيلاً بالنسبة إلى مفاهيم القوانين الوثنية القديمة.

ويرد عليه الدكتور الدسوقي بقوله: الحقيقة أن اليوم الآخر ليس فكرة يهودية، وليست الصلاة طقوساً فارسية، وليس تقبيل الحجر الأسود عبادة وثنية، وقانون العقوبات في الإسلام ليس تقدماً

ضئيلاً بالنسبة إلى القوانين الوثنية، فهو في مستوى أرفع من القوانين الحديثة التي وضعت في عصر الحضارة والتقدم الفكري.

وهكذا أرجع (بروكلمان) كما أرجع (بودلى) تعاليم القرآن إلى عادات الأمم القديمة، ومعتقداتها وكذلك إلى البيئة التي نشأ فيها محمد، وهذا كله افتراء وتضليل، ويمثل جهلاً فاضحاً أو تشويهاً مقصوداً لحقائق لا يرتاب فيها إلا كل من سيطر التعصب على عقله ووجدانه.

وبلغ التعصب ببعض المستشرقين أن ذهب إلى أن اشتمال القرآن على مبادئ عادلة، وفضائل كاملة لا يعني أنه من عند الله([34])، ويوازن بين القرآن والتوراة والإنجيل، ويرى أنهما أرقى من القرآن، فالتعاليم التي جاءا بها أشرف من تعاليمه، ومن ثم فليس وحياً إلهياً، وإنما هو تلفيق من شتى المصادر الدينية وغيرها.

وخاض الاستشراق في تاريخ القرآن فشكك في الوسائل استخدمت لحفظه، ومن ثم نفى أن يكون القرآن قد دون في عهد النبوة، وحكم على ما دونه أبو بكر رضي الله عنه بأنه يختلف في مضمونه وترتيبه عما كان يحتفظ به بعض الصحابة، وأن مصحف عثمان لم يلق قبولاً من كل المسلمين، وأنه في عهد عبد الملك بن مروان أدخلت على القرآن تغييرات وتعديلات..

لقد ادعى (بلاشير) أن فواتح السور بالحروف المقطعة ليست من القرآن، وأنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني، فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لصحف المغيرة. والهاء لصحف أبي هريرة. والصاد سعد بن أبي وقاص. والنون لصحف عثمان. فهذه الحروف لدى (بلاشير) إشارات لملكية الصحف، وقد تركت في مواضعها سهواً، ثم ألحقها الزمن بالقرآن فصارت قرآناً([35]).

وقد نفى (بلاشير) أن يكون ما نزل من القرآن في مكة، قد دون في عهد الرسول (ص)، وأن بدء التدوين كان بعد الهجرة، ومع ذلك لم يكن هذا التدوين صحيحاً ودقيقاً، فسقطت آيات كثيرة منه، فضلاً عن أن بعض ما كان مكتوباً عليه من العسب والرقاع قد ضاع.

وقال (جولدتسيهر) في مستهل كتابه مذاهب التفسير الإسلامي: فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به، ويقدم نصه في أقدم عصور تداوله في مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني.

وكما كانت آراء المستشرقين في مصدر القرآن غير علمية أو موضوعية، كانت آراؤهم في تاريخ القرآن كذلك، فعلى أي أساس بنى (بلاشير) رأيه في أن فواتح السور بالحروف المقطعة يرمز إلى الصحف التي كانت عند الصحابة، إن هذا المستشرق ذهب به الخيال والافتراض مذهباً غريباً وبعيداً عن الحق، وهو فيما ذهب إليه لا يملك دليلاً علمياً، ولا يستطيع أن يبرهن على تلك النظرية الفاسدة في تفسير الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السور، وكانت من شواهد الإعجاز القرآني.

ويناقش الدكتور الدسوقي ذلك بالتساؤل قائلاً: وما رأيه في تدوين القرآن؟ فهو يحاول به أن يثبت أن القرآن الذي يتلوه المسلمون الآن قد ضاع منه الكثير، لأن ما نزل من القرآن في الفترة المكية يبلغ نحو 19/30 من القرآن كله، فإذا تسرب الشك إلى أن القرآن في مكة لم يدون، فهذا يعني أن ما بأيدي المسلمين اليوم ليس هو القرآن كله.

وهذا الرأي لا يقوم على دليل، ولا يسنده أثر تاريخي وهو مجرد فرض، لا يمكن إثباته، ولا البرهنة على صحته، فضلاً عن أن كل المصادر التي أرخت للفترة المكية أشارت إلى كتّاب الوحي الذين قاموا بأقدس مهمة في التاريخ، وهي تدوين آخر وحي الله إلى خلقه، ولكن الاستشراق – وهذا دأبه يحلو له أن يفتعل الشكوك ويختلق الظنون، ويطعن فيما هو مجمع عليه.

و(جولدتسيهر) في حكمه على اضطراب النص القرآني، يلقى القول على عواهنه، فلم يقم هذا الحكم على فكر سليم، وبحث علمي دقيق، وإنما قام على الرغبة في تشويه الكتاب الذي أحكمت آياته.

إن هذا المستشرق معروف بأحقاده وتعصبه، وممالأته للصهيونية، وهو في كل آرائه يحاول أن ينفث سمومه، وأن يقدم الإسلام ونبيه وكتابه الخالد والتراث العلمي الإسلامي في صورة منفرة تسيء إلى هذا الدين والمؤمنون به، ومن ثم كانت دراساته عن الإسلام والمسلمين كلها سموم وافتراءات وأحقاد وتخرصات..

والاستشراق لا يكفي بالحكم على النص القرآني بضياع قدر منه، واضطراب صياغته، وإنما يتهم الصحابة رضوان الله عليهم بأنهم أضافوا إلى هذا النص ما ليس منه، وأن الأهواء السياسية لعبت دورها في تغيير بعض الآيات أو حذفها، فالمستشرق الفرنسي (كازانوفا) يذهب في كتابه (محمد ونهاية العالم) إلى أن هناك آيتين يشك في صحة نسبتهما إلى الوحي الإلهي، يرجح أن يكون أبو بكر هو الذي أضافهما على إثر موت النبي فأقره المسلمون على ذلك، وهما قول الله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: 144) وقوله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ،ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)(الزمر: 30،31).

وهذا المستشرق بما قاله يعبر عن جهله بالسيرة النبوية، وبمعرفة أسباب النزول، وبفقهه لسياق الآيات، ولأنه يريد أن يثير شكاً يتلمس مطعناً يظن به بلوغ الغاية في زعزعة ثقة المسلمين بصحة كتاب الله، وذلك أن الآية الأولى استشهد بها أبو بكر رضي الله عنه حينما رأى الناس قد عصف بهم الحزن بعد وفاة النبي r، ومنهم من لم يصدق أنه قد مات، وكان لهذا أثره، فالنفوس الحزينة قد زايلها ما سيطر عليها واستبد بها من الآم، والآية قد نزلت بسبب محنة المسلمين يوم أحد، وما أشيع بأن الرسول (ص) قد قتل، واختلف المسلمون هل يواصلون القتال أو لا يواصلون، فأنزل الله الآية لتبين أن محمداً (ص) كغيره من الأنبياء سيموت، فإذا مات تخليتم عما جاءكم به ودعاكم إليه، ومن فعل ذلك فإن عاقبة أمره خسراً.

ونزلت الآية الثانية بالمدينة، وتعنى إبلاغ النبي بأنه سيموت كما تموت كل الخلائق، فكل نفس ذائقة الموت.

وهنا يتساءل الدكتور الدسوقي بقوله: وإذا كان الأمر كما ذهب ذلك المستشرق أن أبا بكر اخترع الآيتين، فكيف يسكت المسلمون على ذلك ويوافقونه على هذا التزوير المتعمد مهما يكن الباعث عليه، وهم أشد حرصاً على كتاب الله؟

إن الاستشراق تكلم في تاريخ القرآن كلاماً يدور كله في ذلك اتهام المسلمين في القرن الأول بأنهم حذفوا وغيروا وأضافوا، ولكي يلبسوا هذا الاتهام ثوب الحقيقة العلمية عولوا على بعض الآثار الضعيفة، والروايات الموضوعة ولم يرجعوا إلى المصادر الأصلية، والأقوال الصحيحة.

والمستشرقون الذين لا يجيدون النطق بالعربية مهما امتدت دراساتهم لها وقراءتهم في تراثها، تطاولوا على لغة القرآن الكريم أرفع بيان في العربية، فادعى بعضهم بأن هذا الكتاب غير فصيح وغير بليغ، وأن به أغلاطاً نحوية وتاريخية، ومتناقضات لفظية([36]).

ويسلم بعض المستشرقين بفصاحة القرآن، ولكن مع هذا يذهب إلى أنه لا يلزم من فصاحة كتاب من الكتب أن يكون من عند الله، ويضرب مثلاً لذلك بوجود بعض الآثار الأدبية العالمية كالإلياذة والأوديسة([37]) لهوميروس.

إن حديث الاستشراق عن لغة القرآن أدل برهان على الجهل وسوء النية وخبث الهدف، فالأعجمي الذي لا يقدر أن يبين عما في نفسه بالعربية، هو الذي يقضي على القرآن بأنه ليس فصيحاً، وأن به أغلاطاً نحوية، إن هذا الحكم شهادة للقرآن بأنه في الذروة من الفصاحة والبيان.

ويرى الدكتور الدسوقي بأن عجز العرب عن الإتيان بمثل لأقصر سورة من القرآن – مع حرصهم الشديد على ذلك – لأوضح برهان على تفرد القرآن في العربية بإعجازه البياني، فضلاً عن إعجازه التشريعي والعلمي، فلا سبيل لوضعه في منزلة أي كتاب بشري، أو تشبيه به مهما تكن فصاحته وبلاغته، ولكن الاستشراق من منطلق نظرته إلى القرآن – وهو أنه ليس وحياً من عند الله – يلجأ إلى كل ما يسوغ له القول ببشريته، واضطراب آياته، والعبث بتدوينه، وتدخل الأهواء، والمصالح الخاصة في الإضافة إليه والحذف منه، ومحاولة النيل من مستواه البلاغي واللغوي، وهذا يؤكد أن دراسات الاستشراق عن القرآن تفتقر إلى الموضوعية والأمانة العلمية، وأنها لا تتغيا سوى التشويه، ونفى أن يكون هذا الكتاب آخر وحى الله إلى الناس، وأن تكون له الهيمنة علي كل الكتب التي نزلت من قبله، وذلك حرصاً منه على منع تأثير القرآن وانتشاره (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَش) [الأنفال: 30].

وبعد: فإن حديث الاستشراق عن القرآن – كما يرى الدكتور الدسوقي - حديث ذو شجون، ويحتاج استقصاؤه والتعليق عليه إلى مجلدات، وما أثبته من ذلك الحديث هو غيض من فيض، ولعل فيه ما ينبه إلى الخطر الفادح الذي يكمن في دراسات الاستشراق عن كتاب الله دستور الأمة الخالد، ومصدر سعادتها في الدارين، وأنها به خير أمة أخرجت للناس([38]).

ويبدو من دراسة مناهج المستشرقين في العقيدة وفي القرآن الكريم ما يأتي:-

الصنف الأول وهو الصنف الأكاديمي الذي درس الاستشراق دراسة منهجية في الجامعات والمراكز العلمية وهؤلاء يغلب عليهم التعصب ولهم أهداف مسطرة من قبل الحكومات والحركات التبشيرية المتعددة.

الصنف الثاني وهم الذين يكتبون عن الإسلام والشرق وهم قسمان:

1- قسم أرادوا أن يحققوا أهدافاً معينة فيها انتقاص من الإسلام وأهله ولهذا نجد في دراساتهم العشوائية والبعد عن المنهج العلمي ويبدو الحقد فيها واضحاً.

2- قسم لم يضع مسبقاً أهدافاً معينة وهم قلة ولا يزال في نفوسهم بغض للإسلام وأهله ولذا نجد في كتبهم الغث والسمين.

ولقد حصر الدكتور العاني مواقف المستشرقين في هذا المجال بالنقاط التالية:

أولاً: عدم أخذ الإسلام من مصادره الأصيلة، الكتاب والسنة أو من العلماء المسلمين والمعتمدين وإنما اعتمدوا في دراساتهم ما كتبه من سبقهم من المستشرقين ولهذا صار عندهم أعلام ومفكرون كتبوا عن الإسلام واعتمدت آراؤهم ومن هؤلاء الأعلام أجناس كولد تسيهر وشاخت وغيرها مما جعل أغلب دراساتهم تتسم بالنقص والتشويه والبعد عن المنهج العقلي المعهود.

ثانياً: يضع أحدهم الهدف والنتيجة أولاً ثم يلتمس الأدلة الواهية أو المختلفة للوصول إلى ذلك فمثلاً يقول في المقدمة أن القرآن الكريم ليس وحياً من الله تعالى على نبينا محمد (ص) ويصوغون حول ما ذكر الأساطير والافتراءات.

ثالثاً: وتدل مناهجهم على أنهم لا يريدون أن يعترفوا إلا بديانتين هما اليهودية والمسيحية ويعدون كلما ذكر في الإسلام إنما هو مأخوذ منهما حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن يصور النبي محمد (ص) قساً نصرانياً تمرد على البابوية وأراد أن يظهر زعيماً دينياً لدين جديد وهذا الاتجاه هو الاتجاه الفكري الاستعماري نفسه الذي يريد أن يخضع العالم الإسلامي لهؤلاء وليس لمسلم أن يقود أهل الكتاب في المسيرة الإنسانية العالمية.

رابعاً: تتسم مناهجهم بالتشكيك دون التحقيق العلمي والاستدلال العقلي فيكفي عندهم أن يقولوا عن الوحي الذي نزل على الرسول (ص) أنه مرض عقلي يصيبه فيكون معه هذيان (وهو ما ينطق به الرسول r) عن ربه من آيات الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) ولا يعقبون على أقوالهم بأي دليل على ما ذكروا فإن الأقوال التي تصدر عمن يصابون بالحمى تكون مضطربة وغير منضبطة. والقرآن المنزل عن الله معلوم في إعجازه.

خامساً: البعد عن دراسة نصوص القرآن الكريم وخاصة عند أولئك المغرضين فلقد ابتعدوا في مناهجهم عن مناقشة القرآن الكريم في إعجازه واشتماله على نظام إنساني كامل مما لم تعهده التوراة والتلمود والأناجيل المتعددة لكون هذا يوصل إلى حقائق لا يريدون ذكرها وإظهارها وابتعدوا عن مناقشة السنة النبوية المؤلفة وما احتوته من قواعد وأحكام وحكم ونظريات إنسانية خالدة.

سادساً: البعد عن قواعد المنطق السليم والمنهج العلمي: حيث أن أغلب المستشرقين في دراساتهم القرآنية لا يلتزمون قواعد العلم والمنطق وإنما يضعون لأنفسهم مقدمات خاطئة باطلة ويبنون على النتائج وهو يشبه منهج اليهود في محاججة المسلمين في قضية القبلة.

يعدون رأيهم حقاً وعلمياً لا يناقش ورأي غيرهم يتسم باللافهمية وعدم العلمية ولهذا نجدهم يبنون على ما توصلوا إليه من نتائج دون مراجعتها وتدقيقها ومن هنا وجدنا بعضهم يحمل حملة عشواء على بعض المستشرقين المنصفين في بعض القضايا وينعتونهم بأوصاف الجهل وعدم إتباع قواعد المنطق والبعد عن الموضوعية.

سابعاً: عدم الإحاطة العلمية التامة بالموضوع: فحيث يتحدثون عن موضوع معين لا تجدهم يستقصون النصوص والآراء وإنما يكتبون بحدود نصوص معينة يرون فيها تحقيق أهدافهم وترويج أباطيلهم.

ثامناً: الحرص على إتقان عملية التسلل الفكري بطريقة لا يشعر بها إلا القليل من الباحثين وذلك بالمدح والإطراء على الرسول (ص) وعلى بعض جوانب معينة من الإسلام ومن ثم الانتقال إلى إبراز هوة الخلاف المزعوم في الفكر الإسلامي والعقائد والاستشهاد بأحداث تاريخية مشبوهة لا يعرف حقيقتها إلا من درس أسبابها وملابساتها ونتائجها ويظهر ذلك هولود فيكو ماراتش (1172 – 1800) (الذي كان يسمى بالمرعشي. فهو يقول في كتابه (دراسة عن الإسلام) (لو أردت وصف حياة محمد حسب رواة كتابنا لتعرضت لسخرية المسلمين فإن هنالك اختلافاً كبيراً بينما نتناقله نحن عن محمد وبين ما يراه المؤرخون المسلمون حتى أن القارئ لا يكاد يصدق أن الكلام في الحالتين يدور حول الشخص ذاته.

أضف إلى ذلك أن كثيراً من كتابنا يذكرون أموراً عن محمد r لا يمكن أن تثير لدى المسلمين إلا السخرية ولا تزيدهم إلا تمسكاً بعقائدهم الباطلة)([39]).

ويمكن تلخيص مواقف المستشرقين من القرآن الكريم بما يلي:

1. أنه كتاب بشري ألفه محمد r.

2. أنه ليس وحياً.

3. أنه ليس معجزة.

4. أنه كتاب ملئ بالتناقضات كالجبر والاختيار وغيرها.

5. أنه خليط من كتب اليهودية واليونانية وعادات الأمم الأخرى – كما سبق أن ذكرنا – متخذاً من القصص والحكم والمواعظ والأمثال والأوامر والنواهي الواردة في التوراة والإنجيل والكتب السماوية الأخرى مثالاً على ذلك، ناسياً المصدرية الواحدة لكل الكتب السماوية، وهي (الله) تعالى. وكذلك متخذاً من موضوع اتصال محمد r ببعض الأحبار والرهبان سواء في رحلاته أو في مكة وضواحيها أم يثرب والواحات القريبة منها - وعلى الخصوص قصة الراهب بحيرا- والتي طرأ فيها الكلام الكثير عن صحتها أو عدم صحتها من قبل المسلمين أنفسهم وليس هنالك أي دليل على اجتماع الرسول r بأي من الأحبار أو الرهبان في سيرته وكل الكلام في ذلك من تخيل المستشرقين وأسيادهم.

6. أن دراسات المستشرقين حوله تتسم بالأهواء والسطحية، لا موضوعية تسبغه ولا دقة علمية.

7. أنه كتاب يدعو للإصلاح الاجتماعي بتأثيرات داخلية بيئية جغرافية واجتماعية ودينية وثقافية للعرب.

8. أن لهم - وهذا هو الأهم – فكراً سلبياً مسبقاً لدخولهم عالم الاستشراق، وقد أسبغوا على علوم الشرق ما أملته أفكارهم المسبقة.

رابعاً : المستشرقون والسنة النبوية

يهمنا قبل البدء بالحديث عن رأي المستشرقين بالسنة النبوية أن نذكر أن منهج المستشرقين في النظر إلى شخص الرسول r يأخذ أحد جوانب ثلاثة هي:

1. أن فريقاً من المستشرقين يعتقد أن محمداً r مخلص قولاً وعملاً، ولكنه كان يخبر بما خيل إليه أنه رآه أو سمعه وهو في حالة غيبوبة.

2. وفريقاً ثانياً كان يعتقد أن محمداً جمع مأثورات يهودية أو مسيحية وأساطير دينية قديمة وروايات شعبية شفوية، ثم نشرها في قومه على أنها وحي من عند الله. وعذره أمام ضميره أن هذا الذي جمعه يرشد أولئك القوم الفوضويون ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويجمع متفرقهم ويخلق فيه الوحدة والتماسك، أي أنه مؤمن بفكرة أن الغاية تبرر الوسيلة، فهو مصلح العرب ومنظمهم الأكبر وليس نبيهم الموحى إليه من عند الله.

3. وفريق ثالث يقف من محمد r موقف المرتاب أو الجاحد المنكر في جزم متهكم([40]).

والسنة النبوية، هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وهي كل ما قاله الرسول r أو ما فعله أو أقره أو اتصف به من الصفات الخَلْقِيّة أو الخُلُقِيّة وكانت مهمة الرسول r تفسير ما يحتاج إليه من آيات الكتاب الكريم حتى تفسير موضحة مقاصده وتشرح أصوله وقواعده.

ويرى الدكتور محمد الدسوقي أن المستشرقين قد وقفوا من السنة النبوية موقفاً لا يقل مجافاة للمنهج العلمي عن موقفهم من القرآن الكريم. فقد حاولوا أن يثبتوا أن المسلمين على اختلاف طوائفهم قد أسهموا في الوضع على الرسول r وأن الأهواء والمنافع والاختلافات السياسية والمذهبية كانت من وراء حركة الوضع، لأن تفرق المسلمين بعد الفتنة الكبرى وظهور الأحزاب المختلفة نجم عنه صراع الافتراء، انتصاراً للاتجاهات المتباينة والآراء المتعارضة.

يقول الدكتور الدسوقي: ويكاد يجمع المستشرقون على أن السنة لم تعرف التدوين إلا في القرن الثاني، وهذا يعني أنه لم يكن هناك تدوين في القرن الأول لا في حياة الرسول ، أو في حياة الصحابة من بعده، ومن ثم تعد الكتب المعول عليها في السنة لدى المسلمين ليست صحيحة كلها، وإن كتاباً كالبخارى على حد تعبير بعض المستشرقين يشتمل على أمور كثيرة يود المؤمن الصادق أنه لم ترد فيه.

ومن اليسير الرد على تلك الدعاوي التي يأخذ بها المستشرقون في تشكيك المسلمين في صحة السنة النبوية، فما لجأ عالم مسلم إلى وضع حديث، والذين اشتركوا في وضع الأحاديث كانوا بوجه عام من الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وأرادوا بهذا الدين والمؤمنين به الضر والشر، فهم بعداواتهم وأحقادهم قد كذبوا ووضعوا، ولكن الله قيض للأمة علماء أمناء مخلصين مازوا الخبيث من الطيب([41])، ودونوا السنة الصحيحة، كما دونوا الموضوع منها حتى تكون الأمة على بينة من سنة نبيها فضلاً عن الدراسات التي خدمت السنة، وأصبح يطلق عليها: (علوم الحديث) فقد درست السنة متناً وسنداً وفقهاً، دراسة لم تعهد في تاريخ البشرية بالنسبة لسنة نبي من الأنبياء.

إن التراث العلمي الخاص بعلوم الحديث يدحض الرأي الذي يتهم علماء المسلمين بوضع الأحاديث خدمة للمآرب الخاصة، وإن موقف المستشرقين من تاريخ السنة مضطرب ومتناقض، ويثبت أن الاستشراق لا يدرس السنة دراسة موضوعية، وأنه يريد من وراء أبحاثه تشكيك المسلمين في المصدر الثاني لدينهم.

وأما أن السنة ظلت دون تسجيل حتى القرن الثاني فهو خطأ بيّن يدركه كل من له إلمام أدنى بتاريخ العلوم الإسلامية وتدوينها، فهذا التاريخ يؤكد أن علماء المسلمين بذلوا جهداً رائعاً في تدوين السنة منذ القرن الأول وفق منهج علمي دقيق كان به هؤلاء العلماء أسبق من سواهم – وبخاصة الأوروبيين – في وضع أصول المنهج العلمي في توثيق النصوص وتحقيقها، وأن علماء أوروبا قد أخذوا منهج المسلمين ونسبوه إلى أنفسهم بغياً وعدواناً.

وأهم المستشرقين وأكثرهم كلاماً في السنة (جولدتسيهر) و(شاخت)، وهما يتفقان في النتيجة العامة لدراستهما، ويمثلان النظرة الاستشراقية من السنة النبوية، وإن كان بينهما بعض الاختلافات في عدة آراء جزئية أو فرعية.

إن (جولدتسيهر) يذهب إلى أن الأحاديث جاءت نتيجة للتطور الديني والسياسي في القرنين الأول والثاني وأن الأحاديث الموضوعة، لا يمكن إسنادها إلى الأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القديم، وهذه إما قالها الرسول، أو من عمل رجال الإسلام القدامى، وأن الأحاديث مع هذا أخذت من العهد القديم والجديد وفلسفة اليونان وأقوال من حكم الفرس والهنود...الخ.

وأما (شاخت)([42]) فيصف علماء المسلمين كافة في القرون الثلاثة الأولى بأنهم كانوا كذابين وملفقين غير أمناء، وأن الأحكام الفقهية لا ترجع إلى أصول دينية، وإنما ترجع إلى أحاديث مكذوبة وضعها الفقهاء، واخترعوا لها أسانيد، ويقول في هذا: إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي، ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي، ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وكانت الأسانيد كثيراً لا تجد أقل اعتناء، وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضع لها الأسانيد([43]).

ومثل هذه الآراء التي قال بها (جولدتسيهر) و(شاخت)، لا تسعى للتشكيك في السنة والحكم على أمهات مصادرها وكتب الصحاح منها بأنها مشحونة بالموضوعات فحسب، وإنما أجيال لا تؤتمن على الدين، وأن الصراع بينها كان من وراء ذلك الركام من الأحاديث المفتراة، وهذا يعني قبول الأمة لكل ما نقل عن تلك الأجيال يحتاج إلى إعادة نظر، فالغاية ليست علمية ولا منهجية، ولكنها غاية هدمية تسلك من أجل الوصول إلى ما تسعى إليه كل وسائل التلبيس والتضليل، وتلمس الشبهات، والأخذ بالروايات المدخولة، والآراء المنكرة، وكأنها الحقيقة التاريخية التي لا امتراء فيها، على حين تهمل المصادر الأصلية ولا تذكر الروايات الصحيحة، أنها تتعارض مع تلك الغاية، غاية التشكيك والتشويه، ووصف خير القرون بأنهم كانوا مفترين ملفقين متصارعين على حطام الدنيا فأنّى للأمة أن تقبل ما جاء عنهم.

يستمر الدكتور الدسوقي في شرح مواقف المستشرقين من السنة النبوية فيقول: ويتصل بموقف المستشرقين من السنة، وأنها ظلت فترة تبلغ نحو قرن لم تعرف التدوين، وأن الرواية الشفهية كانت الأساس فيما دون من السنة في مستهل القرن الثاني، وأن علماء المسلمين في القرن الأول قد أسهموا في وضع كثير من الأحاديث خدمة لمآرب سياسية أو رغبة في مقاومة أسباب الفساد

والانحراف في عهد الدولة الأموية، يتصل بهذا الموضوع ما ينكره المستشرقون من أن الرسول r أرسل قبل وفاته رسله برسائل منه إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان مما عللوا به موقفهم أنه لا توجد في سجلات هؤلاء الحكام ما يفيد أن رسائل كهذه أرسلت إليهم.

وهذا التعليل غير مقبول، فما كان في ذلك العهد تسجيل لمخاطبات الرؤساء كما يحدث اليوم، فضلاً عن قصور هؤلاء الرؤساء – وبخاصة في الروم وفارس – قد تعرضت أكثر من مرة للنهب والتدمير، وضياع كل الوثائق الداخلية والخارجية، ثم لماذا يرفض المستشرقون ما جاء في كتب المؤرخين المسلمين حول تلك الرسائل، على حين يقبلون من هؤلاء المؤرخين كل ما ينفق واتجاهات الاستشراق في إثارة الشبهات والافتراءات والأباطيل؟

وشاء الله تبارك وتعالى أن يكشف أكاذيب المستشرقين ويفضح أساليبهم الملتوية بعد أن ظنوا أن افتراءاتهم قد انطلت على الناس، فقد عثر في الأردن عام (1977م) على النسخة الأصلية للرسالة التي بعث بها الرسول r إلى هرقل قيصر الروم، وثبت من فحص المادة التي كتبت عليها، وهي رقعة من الجلد، وكذلك من تحليل الحبر الذي كتبت به، ومن دراسة الخط الذي استخدم في كتابة الرسالة والأقلام التي كتبت بها أنها جميعاً أصلية لم يلحقها أي زيف.

ولعل أهم ما في هذا الكشف الخطير أن الذين أجروا الفحوص والتحاليل والدراسات هم من علماء الغرب المتخصصين في هذه الأمور، وليسوا من علماء المسلمين حتى لا يقال: إنهم افتعلوا النتائج افتعالاً متأثرين بدينهم.

والواقع أن إنكار المستشرقين لواقعة إرسال الكتب إلى الملوك والرؤساء ليست له أهمية في ذاته، وإنما ترجع أهميته إلى أنه يتخذ وسيلة لإثبات أن الإسلام ليس ديناً عالمياً، فهو دين محلي خاص بالعرب وحدهم دون غيرهم من الناس، ومن ثم تعد كل الفتوحات التي قام بها المسلمون منبثقة عن أطماع هؤلاء في ثروات الشعوب، فهم محتلون مستغلون، وليس أصحاب دين صحيح يدعون إليه بالتي هي أحسن.

إن الاستشراق يدرك أن العمل بالقرآن على الوجه الصحيح لا سبيل إليه إلا بالعمل بالسنة، فإذا طعن فيها وأساء إلى رواتها، وشكك في صحة مصادرها، فإن الأمة لا تستطيع أن تعمل بكتاب ربها، فهي الحرب ضد الإسلام وضد المسلمين، وهو الغزو الفكري الذي يعد أفدح خطراً من الغزو العسكري.

إن الدراسات الاستشراقية في السنة كالدراسات في القرآن غفيرة، بيد أنها كلها تتخذ لها منهجاً واحداً، وإن تباينت بعض معالمه وسماته، وهذا المنهج لا يعرف الموضوعية، ولا يحرص على معرفة الحقيقة ولا يريد خيراً للأمة.

وقد سبق أن ذكرنا أن التراث العلمي للمسلمين حول السنة يدحض كل المفتريات والشبهات التي روج لها الاستشراق، ويكشف عن اضطراب منهجه، ولأن آراءه في السنة النبوية كآرائه في القرآن الكريم لا وزن لها علمياً، ولا يعتد بها في مجال البحث والدراسة([44]).

وقد نهج المستشرقون في السنة النبوية منهجاً ذاتياً يصب فيه المستشرق مشاعره المنبثقة عن آراء له مسبقة- ويتعلق هذا المنهج بأمرين هما:([45])

الأمر الأول: الحديث النبوي الشريف (النص) حيث شككوا في صحة الحديث النبوي معتمدين ما يأتي:-

1- أن الحديث لم يدون وقد نقل شفاها وهذا مما يوجب في نظرهم عدم صحة الأحاديث والمصيبة العظمى أن المستشرقين لا يتحرون المصطلحات التي عند علماء المسلمين فالأحاديث كتبت عند بعض الصحابة (رضي الله عنهم) ولكن لم يأمروا العلماء بتدوينها لمصلحة عامة ولم يصدر أمر بالتدوين إلا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ. وإلا فقد كانت هناك صحف مكتوبة منها:-

1. "الصحيفة الصادقة" والتي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص وإنها تحوي ألف حديث.

2. صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري التي يقول فيها قتادة بن دعامة السدوسي أنه يحفظها ويعتني بها أكثر من غيره.

3. صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

4. صحيفة سمرة بن جندب([46]).

2- الوضع في الحديث:- فقد أكثر الوضاعون من الحديث النبوي لأسباب ذكرها أهل العلم بالحديث وقد تحدث العلماء عن الوضع ووضعوا الضوابط الدقيقة التي تميز بين الحديث الصادق والحديث الموضوع مما يعجز كل علماء الغرب عن القدرة على تقليده والوصول إلى تلك الدقة العلمية فيه ولقد كانت لعلماء المسلمين تلك الجهود العظيمة التي أجزم أنها لم تدع حديثاً موضوعاً إلا بينته.

3- اتهام فقهاء المسلمين بتلفيق الأحاديث النبوية ووضعها وذلك لترويج آرائهم واختلاف الأدلة التي تسند تلك الآراء وهو أمر مخالف لما كان عليه فقهاؤنا من العلم والورع والتقوى مما لا يتناسب مع ما ذكره المستشرقون.

الأمر الثاني:- يتعلق بالسند والرواة فإنهم قد طعنوا في السند والرواة على ما يأتي:-

1- اتهموا فقهاء المسلمين بوضع الأسانيد وتلفيقها.

2- كرسوا بحوثهم على بعض الأجلة من كبار الحفاظ وأئمة العدالة والضبط فشوهوا تاريخهم وألصقوا بهم ما ليس فيهم وأظهروا لهم صورة بشعة كاذبة كأبي هريرة والزهري وأبي حنيفة وقد رد على هذا كثير من علماء المسلمين لكن الرد القوي الذي صدر من (فنسك) إذ تصدى للرد بنفسه على من زعم منهم ذلك الزعم وأثبت لهم فسادهُ وجهلهم وسفه أحلامهم وبين الذي قام به أهل الحديث فذكر جهودهم بدراسة الحديث ونقده وصدق نقلته من الذين اكتملت فيهم شروط الرواية فأجاد في ذلك وقد كان منهج المحدثين من العلماء فصار من نتائجه:-

أولا: معايير النقد للسند والمتن.

ثانياً: علم مصطلح الحديث.

ثالثاً: تدوين الصحيح.

رابعاً: كتب الكشف عن الرجال.

خامساً: كتب الكشف عن الموضوعات

وقد تناول الدكتور عبد القهار العاني المستشرق كولسن فذكر شيئاً من أقواله في السنة النبوية ومنها:

أن الرسول (لا بد من أن يكون قد واجه أثناء حكمه في المدينة كثيراً من المسائل التشريعية وخاصة تلك التي تثيرها الأحكام القرآنية بكونه الأمين على الوحي والمفسر لنصوص القرآن العامة والمجملة) وهكذا وضعت السنة – بمثل تلك الأحكام الأساس الأول لقيام بناء قانوني مستمد من مبادئ القرآن الأخلاقية).

أما طبيعة السنة النبوية فيمكن تلخيصها رداً على كولسن بالنقاط التالية:-

1. من المعلوم عند المسلمين كما ورد في القرآن الكريم أن السنة وحي من عند الله عز وجل، قال تعالى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ،إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (سورة النجم) وما ورد في أقوال الرسول r المستفيضة منها قوله r "ما أخبرتكم به عن الله فلا أكذب أبداً، وما أخبرتكم به عن نفسي فإنما أنا بشر وأنتم أعلم بأمور دنياكم" والله تعالى يقول وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ،لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ،ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . (سورة الحاقة)

2. أن التصور والخيال والحدس والظن بغير علم هو الذي يغلب على بعض المستشرقين الذين يريدون أن يطعنوا بالإسلام أو يعطوا صورة مميعة عن مصادر الشريعة الإسلامية، فحين لا يستطيعون أن يفرقوا بين النص كالحديث النبوي مثلاً وبين الآراء والأحكام الفقهية المستنبطة منه يجعلون كل ما ذكرناه سنة ونصاً وهذا أيضاً ناتج عن عدم رجوعهم إلى كتب علماء المسلمين ومحدثيهم في تحديد تلك المصطلحات فلهذا نجده يقول: (أن السنة في القرن الثاني الهجري كانت تعني مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية معينة ويسميها (سنة) المدرسة فهي مجموع الآراء الفقهية والأصول المتعارف عليها في كل مذهب والذي يعمل رجال المذهب على عرضها ونصرتها".

ويعود الدكتور العاني ليذكر عن كولسن قوله:

ثم أن فكرة إتباع المأثور جعلت هذه الآراء الفقهية تنسب إلى أسماء محدودة من الشخصيات المشهود لها بالفضل والتقى فعمر على سبيل المثال كثيراً ما يذكر بكونه المؤسس لسنة المدينة على حين احتل عبدا لله بن مسعود مكانة مشابهة في الكوفة وقد وصل الأمر بصيغته في النهاية إلى نسبة الرأي الفقهي إلى النبي r نفسه.

ويبدو لنا الخلط عند كولسون في النصوص السابقة إذ أن نظرية الإسناد إنما طبقت على الأسانيد صحيحها وضعيفها وموضوعها وليس الأمر كما توهمه من وضع سند مرتب للحديث ثم مسألة أخرى أن النظر يكون في أحوال الرواة التابعين وتابعي التابعين فقط أما الصحابة رضي الله عنهم فقد أجمع علماء الحديث من المسلمين بعدالتهم ولا عبرة بمن شذّ أو خالف من أهل الفرق فإن ذكره لعمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ليس في موضعه ثم إن نسبة الفقه للنبي r مما يرونه الصحابة رضي الله عنهم ولم يرفعوه إلى النبي r مما يسمى موقوفاً له قواعد وضوابط ثابتة فإن

كان من أمر الغيب الذي لا مجال للاجتهاد فيه كان ذلك حكمه حكم المرفوع وإن كان للاجتهاد فيه نصيب كان رأي الصحابي واجتهاده كما هو معلوم في كتب الحديث([47]).

والغريب في أمر كولسون أنه، يجهل الكتب والبحوث التي ألفها وثبتها علماء الحديث في مسألة الوضع وأسبابه وطرقه إذ ألفت كتب في تدوين الأحاديث الموضوعة كما ألفت كتب في موضوع الوضع وكيفية معرفة الحديث الموضوع وغير ذلك ككتاب اللآليء المصنوعة للسيوطي، تنزيه الشريعة لابن عراف والموضوعات لابن الجوزي وغيرها. ونحن المسلمين نثبت أن الوضع في الحديث قد وقع وإن علماء الحديث لغيرتهم على الإسلام وحرصهم على السنّة النبوية من التشويه والتزوير وضعوا علم الجرح والتعديل وأجازوه حفظاً للشريعة وحرصاً على نصوصها من أن تنالها يد التحريف والتبديل..

وبهذا فهو يقول: (أهل الحديث تأكيداً لمذهبهم في ضرورة إتباع ما تقرر من أحكام في القرآن بدءوا ينسبون كثيراً من القواعد والأحكام خطأً إلى رسول الله r وكانوا يضعونها على شكل قصص أو أخبار عما قاله "محمد r، في فعله في مواقف معينة" وكان ذلك نتيجة اعتقادهم الجازم. أن النبي r كان سيقضي في الأحكام التي نسبوها إليه حتماً فيما لو واجهته المشاكل التي وقعت لهم([48]).

ولما كان ما قاله أمراً غير معقول.. إذ كيف تكون السنّة النبوية كلها مروية كذباً عن رسول الله r فقد أراد أن يأتي بعبارة بظن منها أنه منطقي وأنه نهج نهجاً علمياً وأنه لا بأس أن يقول بأن (قدراً من أحاديث الأحكام يحتفظ بأصل الأفعال والكلمات التي صدرت عن النبي r وخاصة في المسائل غير الخلافية (ولكن) هذا الأصل الصحيح قد غشاه خليط متراكم من مواد موضوعة مختلفة).

وقد بين الدكتور العاني أن مما يدل على جهل كولسن بآراء أئمة الفقه وعلماء الأصول الذين اتفقوا جميعاً على أن السنّة النبوية المصدر الثاني في الشريعة الإسلامية أنه يثبت في كتابه أن أول من أثبت عدّ السنة النبوية هي المصدر الثاني هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وقد ذكر ذلك في كتابه الأصولي "الرسالة" وغيرها. ومثل هذا سبقه به الإمامان أو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى فكولسن يقول "إن اعتراف الشافعي بالسنّة مصدراً مكملاً للقرآن في التعرف على الإرادة الإلهية هو أهم إسهام قدمه هذا الفقيه للتشريع الإسلامي. وتمثيل السنّة بكونها مسلك محمد r "الموحى إليه من الله المصدر الثاني للفقه في منهج الشافعي، وكانت تتصرف أساساً في المدارس الباكرة إلى المرويات الخاصة بمدرسة معينة وقد تطلع الأمصار المختلفة فيما بينها باختلاف منشئها إلى اقتلاع سبب الخلاف بين المراكز الفقهية وبث الوحدة في النظر التشريعي وباختصار، فإن الشافعي يذهب إلى أن هناك لوناً واحداً من المرويات هو الذي يصح أن يكون إسلامياً أصيلاً وهو في هذا لم يكن يقدم فكرة جديدة من كل جوانبها فقد كان هناك اتجاه متزايد لدى المدارس الفقهية الباكرة عموماً إلى ادعاء وجود أصل لمروياتها في مسلك النبي (ص) وذلك بإرجاعها، نظرها الفقهي إليه. وقد استغل الشافعي هذا الاتجاه نفسه ليدعمه أصولياً ببيان كون السنّة وحياً إلهياً وليقرر فيما يتعلق بالشكل أن سنّة النبي (ص) لا تثبت بوجه صحيح ولا تتحقق إلا بحديث مروي عنه".

وقد ذكر الدكتور عبد القهار العاني تعقيباً للدكتور محمد سليم العوا على ذلك فقال: (إن من الغني عن البيان أن أحداً لا ينكر فضل الشافعي على علم أصول الفقه ولكن الفضل لا يزيد على كونه عبقرية في الصياغة والتنظيم فالشافعي لم يخترع أصولاً من عنده ولم يرفع دليلاً شرعياً إلى مرتبة

من الحجية لم تكن له قبلة وإنما جمع أصولاً من عنده ولم يرفع دليلاً ودقة التتبع وتنوع الثقافة الفقهية الناتجة عن لقاء فقهاء الأمصار والسماع منهم مناظرتهم وبظروف تكوينه العلمي والفكري بوجه عام جمع النظرية الإسلامية في استنباط الأحكام الشرعية في سياق واحد وعرضها عرضاً جميلاً قوياً مقنعاً جعل العلماء بعده ينسبون إليه في وضع علم الأصول لا لأنه موجده من العدم أو مخترعه عن الوهم وإنما بكونه أول من نسقه ورتبه وبوبه، والمغالاة في دور الشافعي عند – كولسون ومن قبله عند جولد تسيهر وشاخت- يترتب عليها إنكار وجود وحدة أصول للاستنباط مسلّمة بين الفقهاء قبله – وهذا إن صح وهو غير صحيح – لترتب عليه استحالة تفاهم أولئك الفقهاء وتناظرهم وتبادلهم الرأي في أكثر من موطن.

إن هؤلاء الفقهاء عرفوا هذه الأصول واجتهدوا على أساسها واختلفوا في فهم نصوصها أو أساليب أحكامها لكنهم لم يغفلوا عنها ولم يجهلوا وجودها([49]).

خامساً: المستشرقون والفقه الإسلامي

إن جمهور المستشرقين لا يعترف بقيمة علمية للفقه الإسلامي، ويحاول نفي كل جديد جاء به الفقهاء المسلمون، ويعزو ذلك إلى مصادر غير إسلامية، وفي مقدمتها القانون الروماني.

إن الذين درسوا تاريخ الفقه الإسلامي من المستشرقين يرون بوجه عام أن هذا الفقه([50]) اعتمد على القانون الروماني، بل إن منهم من غلا غلواً كبيراً، وذهب إلى أن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية للبلاد العربية، فهذا رأى لا يصدر عن عالم يعرف شيئاً من التاريخ، أو يملك قدراً محدوداً من البصر والفهم للعقلية العربية الإسلامية، أو إدراكاً لما أحدثه القرآن والسنة النبوية في التشريع الإسلامي والحضارة الإسلامية في مختلف النواحي.

وجملة الأدلة التي يأخذ بها المستشرقون في دعواهم تقوم على ما رأوه من الشبه بين بعض أحكام التشريع الإسلامي والقانون الروماني، ثم إلى ما يحدثه بلا ريب التقاء الحضارات والعادات والأعراف القانونية من تأثير متبادل.

ولكن هل هذا التشابه إذا كان موجوداً يدل على التأثير، أو أن الفقه الإسلامي ليس إلا القانون الروماني مع شيء من التعديل في بعض النواحي؟

أجاب الدكتور محمد الدسوقي على هذا التساؤل بقوله: إن الإجابة عن هذا هي النفي بلا ريب، فإن الوضع الصحيح الذي يقرره علم الاجتماع، ويؤيده الواقع فعلاً أنه متى التقت حضارتان لأمة غالبة وأمة مغلوبة كان التقيد – حين يوجد – يكون من الأمة ذات الحضارة المغلوبة، لأن المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب.

إن التشابه في بعض الأحكام القانونية أو في غير ذلك من نواحي الفكر المختلفة أمر طبيعي بين الأمم جميعاً، لا فرق بين العرب والرومان أو غيرهم، وبذلك لا نستطيع لمجرد هذا التشابه الحكم بأن هذه الأمة هي التي أخذت عن تلك وليس العكس، بل قد يكون مرجعه إلى ما هو معروف من أن العقل الإنساني السليم يتشابه في كثير من ألوان التفكير ونتائجه دون حاجة إلى تفسير هذه الظاهرة بالأخذ والتقليد.

لقد عرف المسلمون الفلسفة اليونانية حيث نقلوا هذه الفلسفة وأفادوا منها وهم يفخرون بذلك، أما في الفقه والتشريع فلم يجدوا حاجة مطلقاً للأخذ عن غيرهم، لأن لديهم من كتاب الله وسنة رسوله وتراث الصحابة والتابعين ما يغنيهم عن الاستعانة بغيرهم في هذه الناحية، ولو كان الأمر على غير هذا لحفظ لنا التاريخ كتاباً واحداً أو رسالة واحدة نقلوها إلى اللغة العربية من قانون الرومان، أو لرأينا ولو مصطلحاً واحداً من مصطلحات هذا القانون في كتب الفقه والتشريع وما أكثرها، كما بقى لنا الكثير من تراث الفرس الأدبي والعلمي بجانب ما نقلوه من تراث اليونان العلمي والفلسفي.

بل إن التشريع الروماني على العكس قد تأثر بالفقه الإسلامي، وأفاد منه فيما زيد عليه أيام النهضة الأوروبية، وذلك عن طريق الثقافة والعلوم الإسلامية التي كانت من عوامل هذه النهضة، ومن

شواهد هذا ما في القانون الفرنسي من تأثر واضح بالفقه الإسلامي وبخاصة المالكي، لأنه كان السائد في الأندلس وجنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط.

ومما يدل على نفي تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني، وجود نظم في هذا القانون لا يعرفها ذلك الفقه مثل نظام التبني لولد معروف نسبه، والوصاية على المرأة حتى لا تستطيع التصرف إلا بإذن صاحب الوصاية عليها، وكذلك وجود نظم في الفقه الإسلامي لا أصل لها في القانون الروماني مثل: الوقف والشفعة، وموانع الزواج بسبب الرضاع، وفضلاً عن ذلك لا يقيم القانون الروماني علاقة بين القاعدة القانونية والقاعدة الأخلاقية بخلاف الفقه الإسلامي فإنه لا يقيم فاصلاً بين هذه القاعدة وتلك.

ويستمر الدكتور الدسوقي في حديثه عن الفقه الإسلامي فيقول:- والفقه الإسلامي يقوم على أساس المساواة بين الأفراد أمام القانون، وهذا غير موجود في القانون الروماني. إلى غير ذلك من العوامل التي تؤكد النشأة الخاصة للفقه الإسلامي، وأن ما زعمه المستشرقون من نسبة قواعد هذا الفقه أو صوره إلى مصدر روماني إنما هو وهم واهم.

وقد حاول المستشرقون في إثبات ما ذهبوا إليه من نفي أصالة الفقه الإسلامي - إن في مصدره وقواعده، أو في تدوينه وتبويبه – التركيز على ثلاثة من أعلام الفقهاء بقصد تشويه الجهد العظيم الذي قام به هؤلاء الفقهاء، وأنهم كانوا عالة على غيرهم من اليونان والرومان.

وأول هؤلاء الفقهاء هو الإمام الأوزاعي (ت 157هـ) فقد ذهب بعض المستشرقين – دون دليل – إلى أن هذا العالم درس الفقه البيزنطي في مدرسة بيروت القانونية، وظن هؤلاء المستشرقون أن نشأة الأوزاعي في بيروت تعضد زعمهم وتجعل لرأيهم حجة مقبولة.

ويفند الدكتور الدسوقي هذا الزعم بقوله:- ولكن هذا الزعم لا يسنده دليل، وهو مجرد ظن آثم، لأن مدرسة بيروت القانونية لم يكن لها وجود في القرن الثاني([51]) الهجري، وتراث الإمام الأوزاعي الفقهي لا يحتوى على ما يفيد أي تأثير باتجاه غير إسلامي في رأيه، ومن يقرأ ما تركه هذا الإمام من مؤلفات، وعلى رأسها كتابه في (السير) ورد الإمام أبي يوسف عليه لا يخالجه ريب في أن الأوزاعي لم يتأثر بالقانون البيزنطي، وإن فقهه يقوم على الأثر أكثر من قيامه على الرأي، فهو ينتمي إلى مدرسة الحديث وإن عدهُ ابن قتيبة في كتابه (المعارف) من فقهاء الرأي.

أما الإمام الثاني الذي يرى المستشرقون أنه تأثر بمصادر غير إسلامية في مؤلفاته الفقهية، فهو الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت 189هـ) هذا الإمام هو أول من دون الفقه الإسلامي على منهج علمي لم يسبق به، كما أنه أول من كتب في العلاقات الدولية كتابة علمية دقيقة شاملة بحيث عد في الأوساط الدولية في العصر الحاضر أول رائد في مجال التأليف في القانون الدولي، وأنشئت باسمه جمعيات متعددة في بعض بلدان أوروبا وأمريكا تحمل اسم (جمعية أصدقاء الشيباني للقانون الدولي).

ماذا قال المستشرقون عن هذا الإمام؟ لقد راعهم أن يكون الإمام الشيباني بعبقريته الفذة قد دون الفقه الإسلامي تدويناً علمياً رائعاً، وكتب في العلاقات الدولية كتابة شاملة كاملة، فحاولوا أن يقللوا من أهمية ما قام به من جهد علمي، وأن يثبتوا أنه لم يكن مجدداً أو مبتكراً، وإنما سار على الطريق الذي سلكه من سبقه، واستفاد بتراث علمي غير إسلامي، فقد قالوا: إنه في تبويبه وترتيبه للفقه الإسلامي تأثر بترتيب كتاب (المشنا اليهودي) ([52])، فهو من ثم مقلد وليس مجدداً.

والتلمود يعتبر مرجع اليهود في أحكام العبادات والمعاملات، وهذا التلمود لم يكن مكتوباً بلغة عربية، ولم ينقل منه إلى هذه اللغة إلا جزء واحد في أوائل القرن الرابع الهجري، إما أن يكون الإمام الشيباني قد نسج على منواله في ترتيب المواد الفقهية شيئاً غير مقبول، فقد عاش في القرن الثاني، ولم يكن يعرف لغة غير العربية، فكيف يقال: إنه اطلع على التلمود في لغته الأصلية؟

ويرى الدكتور الدسوقي أن من المصادفات أن الذين أسلموا من علماء اليهود لم يكن من بينهم من تخصص في دراسة التلمود أو الشريعة الموسوية، حتى يكون هذا مسوغاً للظن بأن التراث اليهودي في مجال التشريع انتقل إلى المسلمين عن طرق هؤلاء الذين ارتضوا الإسلام ديناً.

وثالث الفقهاء الذين كثر كلام المستشرقين عنهم هو الإمام الشافعي (ت 204هـ)، وهذا الإمام يعد أول من كتب في علم أصول الفقه كتابة متكاملة وصلت إلينا، وهذا العلم مفخرة الفكر الإسلامي، فهو يؤصل لمنهج البحث الفقهي تأصيلاً رائعاً يشهد لعلماء المسلمين بأنهم كانوا الرواد لغيرهم في هذا المجال، مجال الكتابة في المناهج العلمية.

وأن الشافعي كان أول من دون هذا العلم كان الهجوم عليه، وكان الاتهام بأنه كان يعرف المنطق اليوناني حين وضع رسالته في الأصول، كما أنه درس القانون الروماني في مدرسة بيروت، وأقدرته هذه الدراسة على منهجه العلمي الدقيق في التأليف، والحقيقة أن الإمام الشافعي لم يدرس في مدرسة بيروت، لأنها لم تكن موجودة في القرن الثاني.

إن الإمام الشافعي ولد في غزة، وعاش أيامه الأولى في البادية يدرس العربية وأدبها، ثم طلب العلم بعد ذلك على أئمة علماء عصره في الحجاز والعراق، وتولى بعض الأعمال في اليمن، ثم أقام مدة في العراق، وكان له في هذا القطر مذهب فقهي عرف بالمذهب القديم، لأنه بعد أن ترك العراق، ورحل إلى مصر أنشأ فيها مذهباً آخر سمي بالمذهب الجديد، وكان مرد الاختلاف بين المذهبين إلى اختلاف الأعراف بين أرض الرافدين ووادي النيل، وما وقف عليه الشافعي من سنن وآراء لم يكن على علم بها من قبل، فكيف استطاع الشافعي أن يدرس الفقه البيزنطي كما يدعي المستشرقون كما يتساءل الدكتور الدسوقي؟

إن كل الحقائق الموضوعية تؤكد أصالة الفقه الإسلامي، كما تؤكد أن فقهاءنا الأعلام في آرائهم ومؤلفاتهم لم يتأثروا بمصادر أجنبية، وكل ما صدر عن الاستشراق في هذا الموضوع لا دليل عليه، وهو ضرب من سياسة نفى كل فضل المسلمين، وأن كل ما قدموه من تراث علمي لم يبتكروه، وإنما نقلوه عن سواهم، ولكن هيهات أن تحجب مثل هذه الآراء الفاسدة الحقيقة الخالدة([53]).

وقد تناول الدكتور عبد القهار العاني([54]) في هذا المضمار شخصية جوزيف شاخت فقال:

أما المستشرق شاخت فيعتبر المثل الأعلى للدراسات الاستشراقية وللمستشرقين حيث عد أرسطو زمانه حيث لا يسمح لأحد([55]) أن ينقد كتابه في دراسة أكاديمية([56]) وهكذا فإن (الذي استطاع أن يأتي بنظرية جديدة متكاملة على الرغم من أنها خيالية إلى حد بعيد) هو المستشرق "جوزيف شاخت" وقد انصبت نظرياته على أسس الفقه الإسلامي. أما المنزلة التي وصل إليها المستشرق "شاخت" فلم يصل إليها من قبل أي مستشرق في هذا المجال). ولكي يشرح "شاخت" نظريته فقد نشر كتباً ومقالات عديدة بلغات مختلفة كالانجليزية والفرنسية والألمانية ووضع كتاب "المدخل إلى الفقه الإسلامي" ومن أشهر مؤلفاته على الإطلاق كتاب "أصول الشريعة المحمدية"

الذي حاز أعلى تقدير، وتمتع بالاحترام الشديد في العالم الأكاديمي الغربي فقد قال المستشرق "جب" بأنه سيصبح أساساً في المستقبل لكل دراسة عن حضارته وشريعته على الأقل في العالم الغربي([57]) كما أثنى عليه البروفسور "كولسوف" أستاذ الفقه الإسلامي في جامعة لندن قائلاً: إن شاخت صاغ نظرية عن أصول الشريعة الإسلامية غير قابلة للدحض في إطارها الواسع.

يتحدث المستشرق "شاخت" عن مكانة الشريعة في الإسلام فيقول: "إن القانون (أي الشريعة) تقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين".

وقد ردد شاخت هذا الكلام مرة أخرى بوضوح أكثر في كتابه "المدخل إلى الفقه الإسلامي" ص (19) حيث قال:

في الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الإسلامي – في معناه الاصطلاحي – وجود كما كان في عهد النبي، والقانون – أي الشريعة – من حيث هي هكذا كانت تقع خارجة عن نطاق الدين وما لم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوي على تعامل خاص في السلوك فقد كانت مسألة القانون تمثل عملية ثانوية بالنسبة للمسلمين.

ويرى الدكتور مصطفى الأعظمي أن هذه النظرية جوهرية ومركزية وأساسية لكل كتابات شاخت فإذا كانت الشريعة أو القانون – تقع خارجة عن نطاق الدين وكان النبي (ص)، غير مكترث لها وكذلك المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين، وعد جهود النبي (ص) والصحابة في التشريع كذباً مختلقاً وقال عن الأحاديث النبوية "من الصعوبة عد حديث ما عن الأحاديث الفقهية صحيحاً بالنسبة إلى النبي (ص)([58]).

ويعود الدكتور العاني ليقول: وقد بلغ بالمستشرق "شاخت" الحقد والافتراء والبعد عن المنهج العلمي في البحث إلى أن ينسب إلى الفقه الإسلامي من نصوص إنما معظمها مستمد من شرائع اليهود والنصارى والديانات الأخرى، وهذا ما سبق أن ذكرنا أن الدكتور الدسوقي قد تحدث عنه، أما الدكتور العاني فيقول: والغريب أن هؤلاء المستشرقين يذكرون هذه الدعوى دون أن يسألوا أنفسهم هل أن هذه القوانين والأنظمة وهذا التشريع الكامل في الإسلام نظرية وتطبيقاً هل يجدون ذلك في التوراة والإنجيل، هذه الأنظمة السامية التي يشهد بعظمتها أهل العلم من المسلمين وغير المسلمين ولقد تمنى كثير من الباحثين أن تصل الأمم إلى ما وصل إليه النظام الإسلامي.

واستعرض الدكتور العاني أقوال شاخت عن نشاط الفقهاء الأوائل في القرنين الأول والثاني حيث يرى: أن ادعاء عدم اكتراث النبي (ص) والصحابة والتابعين بالتشريع ووقوع التشريع خارج نطاق الدين وعدم صحة حديث واحد من الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى النبي (ص) تنتج عنه أهداف كثيرة مقبولة ومطلوبة من قبل أعداء الإسلام، وتتمثل في :-

1. مطالبة الشعوب ورغبة الحكام في العودة إلى الشريعة الإسلامية كلام فارغ لأن الشريعة في حقيقتها خارجة عن نطاق الدين.

2. ما يسمى بالفقه الإسلامي ليس هو الفقه الإسلامي المبني على كتاب الله وسنة رسول الله لأنه لا يوجد ما يمكن تسميته سنة النبي (ص) بل إن جزءاً. غير قليل من الفقه الإسلامي مأخوذ من شرائع اليهود والكنيسة وديانات أخرى عدا اجتهادات المجتهدين).

وعلى هذا فإن شاخت يرى الأمور التالية:

1. أصبح النبي (ص) بالمدينة نبياً مشرعاً ولو أن سلطته لم تك تشريعية فقد كانت للمؤمنين من الوجهة الدينية وللمنافقين من الوجهة السياسية.

2. وكان الخلفاء الراشدون (632 – 661 م) القادة السياسيين للأمة الإسلامية ولا يبدو أنهم استمدوا أحكامهم من مصدر أعلى.. وإنما عمل الخلفاء إلى حد كبير على أنهم مشرعون للأمة.

3. الخلفاء الأوائل لم يعينوا قضاة وخطا الأمويين خطوة هامة بتعيينهم القضاة الإسلاميين، وبنهاية القرن الأول تقريباً (715 – 720) كان تعيين القضاة منهم باطراد كانوا من الناس الأتقياء الذين دفعتهم رغبتهم في الدين إلى أن يخطوا الطريق للحياة الإسلامية وكان ذلك بمحض رغباتهم الانفرادية.

4. وحيث أن جماعة هؤلاء الأتقياء المتخصصين كانت قد نمت نموّا متزايداً في عددهم وتماسك بعضهم مع بعض فقد تحولت وتطورت إلى "المدارس الفقهية القديمة" كان ذلك في العقود الأولى من القرن الثاني.

وقال "شاخت" (أن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي، ومعلوم لدى الجميع، أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وكانت الأسانيد كثيراً ما تجد أقل اعتناء وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد).

وقال (وكان الكوفيون سبّاقين في نسبة نظرياتهم إلى إبراهيم النخعي ويتبعهم في ذلك المدنيون فيما بعد في هذا المجال).

"أما حركة المحدثين في القرن الثاني فهي في الواقع نتيجة طبيعية لاستمرار حركة المعارضة للمدارس الفقهية القديمة والتي كانت متأثرة بالدين والأخلاق".

وعلى هذا فقد أخطأ هنا "شاخت" مرتين خطأ منهجياً جسيماً - كما يرى الدكتور العاني – فهو:

1. لم يفكر تفكيراً عقلياً منطقياً لأنه لو فعل ذلك لتوصل إلى نتيجة عكسية.

2. لم يرجع إلى مصدر الإسلام الأول – القرآن الكريم – عند بناء نظريته بل ضرب به عرض الحائط وبنى نظريته على نقيض ما جاء به القرآن الكريم([59]).

يقول الدكتور العاني:-

وإذا كان "شاخت" يرى أن القانون (أي الشريعة) تقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين فإننا نذكر أمرين:-

الأول: أن الآيات القرآنية صريحة بوجوب الاحتكام إلى شريعة الله (الدين) في كل أمر من أمور المسلمين.

الثاني : أن بعض المستشرقين الذين كان لهم عقل وعلم وإنصاف وإخلاص في الوصول إلى الحقيقة قد أكدوا الصفة اللازمة في التشريع وهي صفة مميزة للإلوهية هي لله عز وجل وحده.

يقول الدكتور العاني: ولقد وجدنا من المستشرقين من يبين الحقيقة الناصعة وهي أن الله([60]) قد جاء بتشريعات كاملة تامة واضحة، وقد ضرب الدكتور العاني مثلاً بعض الشخصيات

الاستشراقية، التي ترى ذلك فيقول:-

وهذا كولسون يثبت اختصاصية التشريع لله وحده فهو يقول (الأصل بأن الله هو الوحيد المشرع، ولأوامره السيطرة العليا على كافة جوانب الحياة، هذه القاعدة كانت قد ثبتت بكل وضوح).

وهذا "فيزجيرالد" يرى أن التشريع في الإسلام لا علاقة له بالبشر حتى الأنبياء عليهم السلام إذ يقول (أن الإسلام يعد الله المشرع الوحيد وينفي بشدة لأي بشر كان سلطة التشريع).

يتساءل الدكتور العاني بقوله: وبعد كل ما ذكرنا هل نجد أحد الباحثين المسلمين من يقول في كولدتسيهر:- (يشاء أن يهب الإسلام من الأوروبيين من يؤرخون له كسياسة فيحددون التاريخ ومن يبحثون فيه كدين وحياة روحية فيتعمقون هذا البحث ويبلغون الذروة فيه أو يكادون ومن يقبلون على الجانب الفيلولوجي منه فيظفرون بنتائج على جانب من الخطر كبير. فكان له على رأس هؤلاء الأخيرين تيودور نولدكه وعلى رأس أولئك الأولين يوليوس فلهوزن. وكان سيد الباحثين فيه من الناحية الدينية والروحية عامة اجنتس جولد تسيهر)([61]) عين جولدتسيهر رئيساً لأحد أقسام الأكاديمية المجرية سنة 1907 ويظهر أنه قد أقام بالقاهرة فرغب أن يحضر بعض الدروس في الأزهر وكان ذلك بالنسبة لأمثاله امتيازاً كبيراً ورعاية عظيمة، وانظر إلى ما قيل فيه بعد تلك الفترة من حياته، (ومن مكتبه في مدينة بودابست ظل جولدتسيهر أكثر من ربع قرن شمساً ساطعة استمرت ترسل في عالم البحوث الإسلامية ضوءاً يبدد قليلاً قليلاً ما يحيط بنواحي الحياة الدينية الإسلامية من ظلام. وينير السبيل أمام الباحثين في الوثائق التي سجلت منها تلك الحياة وينمو على حرارته جيل ضخم ممن كانوا بالأمس القريب أو ممن هم اليوم أئمة المستشرقين) وهكذا نجد في الدكتور عبد الرحمن بدوي، صاحب كتاب موسوعة المستشرقين انبهاراً عظيماً بمنهج كولد تسيهر جعله يصر على أنه المنهج الصحيح ويقارن بينه وبين منهج (مالينووبكر) ويوحي للقارئ بصدق هذا المنهج وأنه نابع عن شعور ومستند على ركيزتي النقل والعقل ولننظر في أقوال كولد تسيهر لنتبين منهجه صدقاً أم كذباً حقاً أم باطلاً طالباً الحقيقة أم ساعياً إلى التضليل والتشكيك فهو في مبحثه عن تفسير القرآن وحديثه عن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وعن حقيقة تفسيره يقول: (كان رأي ابن عباس يرجع إلى رجل يسمى أبا الخلد غيلان بن فروة الأزدي الذي أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب وعن ميمونة ابنته أنها قالت: كان أبي يقرأ القرآن في كل سبعة أيام ويختم التوراة في ستة يقرؤها نظراً. فإذا كان يوم ختمها حشد لذلك الناس وكان يقول: كان يقال تنزل عند ختمها الرحمة. وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب في الاستفادة من التوراة. ومن المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس نجد أيضاً كعب الأحبار اليهودي وعبد الله بن سلام وأهل الكتاب على العموم ممن حذر الناس منهم كما أن ابن عباس نفسه في أقواله حذر من الرجوع إليهم ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم.. ولم تكن التعاليم الكثيرة التي أمكن أن يستقيها ابن عباس والتي أعدها من تلك الأمور التي يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية فقد كان يسأل كعباً عن التفسير الصحيح للقرآن مثلاً وقد رأى الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم – على العموم – في القرآن وفي كلام الرسول (ص) وما فيهما من المعاني الدينية ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل على الرغم من التحذير الشديد من كل جهة([62]).

ومن كل ما مر نستخلص بأن المستشرقين كانوا ينظرون إلى شخص النبي محمد بأنه:

1. كان يزعم النبوة – حاشا رسول الله r – وأنه ليس نبياً مرسلاً على قولهم، بل إنه في أحسن أحوله شخص مصلح. لذلك فقد فقدوا في هذا الرأي الإنصاف والعدالة والأمانة.

2. على الرغم من كل العظمة التي كانوا يرون أن بعض التشريعات الإسلامية تتمتع بها، إلا أن شخص الرسول لم يلق من المستشرقين إلا الظلم وإن تفاوتوا بينهم في مقدار ذلك الظلم فهم حين يؤمنون بالنبوات والأديان، فإنهم يرون كل صفات النبوة تتسم بشخصه r وأن لفظ "الدين" ينطبق على الإسلام في كل جوانبه.. إلا أنهم مضوا في غيّهم ورأيهم الظالم حوله، فلم يعتقدوا بمحمد r نبياً ولا بدينه في الوقت الذي نراهم يمجدون البهائية والقاديانية والبابية ويصفونها بالدين. وهي في حقيقتها مِسخُ، مَسَخَ أصحابها دين محمد r وأشركوا به([63]).

3. وعلى كل حال فالصفة الغالبة في المستشرقين ربما ينطبق عليها لفظ "الجهل" في رأيهم بالرسول r وفي كل التشريعات التي كانوا يرددون أنها مستقاة من اليهودية والنصرانية واليونانية ولكنهم ما استطاعوا أن يثبتوها رغم أن بعضهم قد تخصص بها تخصصاً كاملاً وشغل فترات حياته فيها.

4. غلب التشكيك في أخبار السنة النبوية أو أفكارها معظم أعمالهم الاستشراقية.

سادساً: المستشرقون والسيرة النبوية

ارتدت حركة الاستشراق قناع البحث العلمي ولم تعد تعكس الحقيقة، وأن شروطاً ثلاثة لابد من توافرها لفهم السيرة، وهي:

1. الإيمان أو احترام المصدر الغيبي لرسالة محمد r وحقيقة الوحي الذي تقوم عليه.

2. اعتماد موقف موضوعي بغير حكم مسبق يتجاوز كل الإسقاطات التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم.

3. الإحاطة الجيدة بأدوات البحث التاريخي بدءاً باللغة وجمع المادة الأولية وانتهاءً بطرائق المقارنة والموازنة والنقد والتركيب([64]).

إن غياب هذه الشروط أو بعضها قد أنتج منهجاً في البحث في السيرة عند المستشرقين أدى إلى إقامة حواجز حالت دون فهم حقيقي لأحداث السيرة([65]). فهم في دراساتهم للسيرة ونتائجها وأهدافها لا يخرجون عن واحد من اعتقادين يغدو من المستحيل معهما فهم صحيح للسيرة. فالمستشرق إما أن يكون علمانياً لا يؤمن بالغيب وبين أن يكون يهودياً أو نصرانياً لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية.

لقد بنى المستشرقون طروحاتهم في الكتابة حول موضوعات السيرة النبوية وفهمها على جملة من المغالطات التي لم تصمد أمام قواعد النقد ولم يقبلها المنطق السليم ويمكن تلخيص هذه المغالطات بما يلي:

1. المبالغة في الشك فهم يطلقون العنان لشكوكهم وافتراضاتهم لا بل أنهم يدأبون على إنكار معظم روايات السيرة.

2. اعتماد الضعيف الشاذ من الروايات وتقديمه على المعروف المشهور، فهم في الوقت نفسه يجندون كل ضعيف أو شاذ من الروايات للاستدلال على شبهاتهم ويلوون عنق الحقيقة نحو شكوكهم وتخرصاتهم.

3. إسقاط الرؤية العلمانية والتأثيرات البيئية المعاصرة على الوقائع التاريخية([66]).

والإسقاط (حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع وذلك تنزيهاً لنفسه وتحفظاً لما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب)([67]).

يقول الأستاذ الدكتور أكرم العمري بأن الدراسات الاستشراقية تصدر على العموم عن مفكرين عاشوا في بيئة بعيدة عن الإسلام لها حضارتها وفلسفتها ومقاييسها وأذواقها فيصعب على هؤلاء المستشرقين تذوق الإسلام وبالتالي يتعذر عليهم فهم دوافع سلوك المسلم في حركته الفردية والجماعية وهم يقيسون على التاريخ الأوروبي في تفسيرهم لحركة التاريخ الإسلامي، رغم اختلاف طبيعة التاريخين([68]).

وقد نبه رجاء جارودي على أن الغرب لم يدرس الإسلام دراسة صحيحة في الجامعات الغربية وربما كان هذا مقصوداً مع الأسف([69]).

إن تبييت الأفكار المسبقة قبل الشروع في تدوين أحداث السيرة والتاريخ يدل على فقدان شرط الأمانة في البحث العلمي وغياب المنهجية في التعامل مع النصوص. لقد كانت معظم أبحاث المستشرقين – مع الأسف – تبيت الفكرة ثم تتصيد لها.

4. رد معطيات السيرة النبوية إلى أصول نصرانية أو يهودية. فقد ذهب بعض (معظم) المستشرقين إلى القول بأن كثيراً من وقائع السيرة إنما هو ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية. (وهذا التصور المسبق يكاد يأخذ برقاب المستشرقين ويضع بصماته العميقة على مناهجهم في التعامل مع وقائع السيرة وظاهرة النبوة)([70]).

وفي هذا المنهج يرى الدكتور جواد علي أن معظم المستشرقين النصارى كانوا في طبقة رجال الدين أو من المتخرجين في كليات اللاهوت. ويخلص إلى أن ذلك النهج تابع لسلطان العواطف والأهواء([71]).

سابعاً: المستشرقون والاقتصاد الإسلامي

ثم تناول الدكتور العاني النظام الاقتصادي في القرآن الكريم في منهجية المستشرقين، فذكر من بين المستشرقين "مكسيم رودنسن"([72]) فيقول:

لقد نظر المستشرقون إلى القرآن الكريم في نظامه الاقتصادي نظرات مختلفة وفقاً للأهداف التي يهدفون إليها حباً في البحث والمعرفة أو كرهاً للإسلام بإلصاق تهم الجمود والتعصب، وبين هؤلاء من يجهل حقيقة النظام الاقتصادي في الإسلام لعدم قدرته معرفة ذلك النظام ولهذا قلما تجد منهم من يستطيع أن يعطي صورة صادقة لنظام الإسلام الاقتصادي وإعطاء مقارنة علمية عقلانية بين هذا النظام والنظم الاقتصادية الأخرى.

والقرآن هو كلمة الله والمرجع الرئيس الذي لا يحتمل شكاً ولا نقصاً مبدئياً على الأقل لأن بعض آياته ناسخ لبعض والقرآن بالطبع ليس كتاباً في الاقتصاد السياسي ومن العبث أن نبحث فيه عن تأييد للرأسمالية أو إدانة لها بوصفها نظاماً اقتصادياً، فهل نحن واجدون فيه على الأقل أحكاماً تتصل بالمؤسسات الاقتصادية التي تعد ذات طبيعة رأسمالية أو تؤلف أسس الوضع الاجتماعي الاقتصادي الرأسمالي أو عناصره؟ إن من الواضح كبداية جواباً على ذلك أن القرآن ليس عدواً للملكية الخاصة مادام ينظم أحكام المواريث بل هو ينهى عن الاعتراض على ما قد يكون هناك من تفاوت مكتفياً بصب غضبه على ما اعتاده المترفون من كفر بالنعمة منذراً بأن ثروتهم لن تغني عنهم يوم الحساب. ومشيراً إلى أنها تفتنهم عن تقوى الله فهل تراه يستثني من ذلك ملكية وسائل الإنتاج؟ لا بل هو يتحدث عن الإجازة كمؤسسة طبيعية لا اعتراض عليها وكثير جداً من آيات القرآن تتحدث عن أجر الإنسان عند الله، وهو يصف لنا مشهد المدائني وهو يفاوض موسى على العمل لديه راعياً مأجوراً كما أن إصلاح جدار متهدم يستحق الأجر كما يستحق مثله الرسل ومحمد معهم وهم في ذلك لا يسألون على تبشيرهم أي أجر.

إن الإسلام يرغب في الزهد ويحذر المؤمنين من مغبة حب الدنيا والركون إليها واتخاذها غاية في الحياة واتخاذ كافة الوسائل للحصول على المال "وتحبون المال حباً جماً" ويأمر أتباعه بإعطاء حقوق الله والناس في المال "نعم المال الصالح للرجل الصالح" قال تعالى: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (سورة القصص) ويحث على العمل حتى يوم الجمعة الذي هو يوم تغلب عليه العبادة في صلاة الجمعة والاستعداد لها بالاغتسال والتطهر والتطيب والتزين، فيها قال الله تعالى فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(سورة الجمعة)

إن معظم المستشرقين لم يكونوا عادلين في استعراض وجهة نظر القرآن الاقتصادية على عكس رودنسن الذي كان إيجابياً في ذلك فنراه يقول:

"إن بعض الأديان قد زهدت نصوصها المقدسة بالنشاط التجاري على إطلاقه داعية تابعيها إلى الاتكال على الرب في توفير ما هم بحاجة إليه مثل سعيهم وراء الكسب على أن من المؤكد أن هذا ليس موقف القرآن الذي ينظر بعين الرضا إلى الفاعلية التجارية مكتفياً باستنكار أساليب الغش

والخداع وبالأمر بترك المبايعات إذا حان بعض أوقات العبادة فالقرآن "لا يكتفي بأمر المسلم ألا ينسى نصيبه من الدنيا (سورة القصص 77) بل يضيف أيضاً إلى الجمع بين العبادة والحياة المادية والتجارة حتى في موسم الحج ويذهب إلى تسمية الربح من التجارة" "فضلاً من الله ونعمة".

يقول رودنسن : (خلاصة القول إذن أن أقصى العدالة التي كان يبتغيها أولئك المسلمون الأكثر حرصاً على الولاء للمثل الأعلى القرآني).

يقول الدكتور العاني بأن: هذا الإقرار يمثل وثيقة تاريخية مهمة من عالم اجتماعي واقتصادي كبير ماركسي. في حين أن الإسلام أفضل نظام اقتصادي يحقق الأهداف السامية التي ينشدها الإنسان ويدعو إليها قادة الإصلاح وزعماء الفكر في العالم الإسلامي بل في العالم أجمع، وإنما يكون ذلك إذا طبقت تعاليم الإسلام وأنظمته عن إيمان وصدق واحتساب لله وطلب رضاه. فلقد كان المجتمع الإسلامي في أحواله الاقتصادية حتى بعد الراشدين قد ضرب أروع الأمثال وأكرمها فقد وصل هذا الأمر في زمن عمر بن عبد العزيز إلى أن يكتب إليه أحد الولاة يعلمه بأن أموال الزكاة ليس هناك من فقراء يأخذونها. واعتقد إن مثل هذا المجتمع يتصف أهله بالقناعة والكفاية والتعاون والمحبة والتكافل الاجتماعي بما لم نجده ولم نسمع ولم نقرأ عنه في أي مجتمع من المجتمعات القديمة التي سبقت الإسلام. والحديثة التي أعقبته. ولسنا ندعي أن المجتمع الإسلامي قد ساده النظام الاقتصادي نظرياً وعملياً في كل العصور الإسلامية.

ويستمر الدكتور العاني في استعراض الكثير من آراء رودنسن قائلاً: ويعقب على هذا مبيناً خطأ وخطل الرأي الذي ينسب إلى الإسلام سبب تأخر الانحطاط الاجتماعي و الاقتصادي –كما يراه معظم المستشرقين- ويدلل على ذلك بأدلة واضحة قاطعة (فإن هذا في الواقع هو ما يزعمه رأي مبتذل واسع الانتشار رأي يلح بوجه خاص على أن المسلمين يتصفون بتكاسلٍ بليد، مستنداً إلى ما يرى أن العقيدة تشيعه من الإيمان بالقضاء والقدر كما يلح على أن هذا التكاسل الجبري هو نقيض روح المبادرة لدى الأوروبيين سواء عدت هذه الروح وراثية أم نظر إليها على أنها ثمرة المسيحية بصورة عامة.

من خلال معظم الدراسات الاقتصادية للإسلام يتبين المرء:

1- أن الدراسة الاستشراقية للاقتصاد الإسلامي قاصرة وغير محيطة بما في القرآن والسنة في أمور الاقتصاد وتوزيع الثروات وإنمائها بحيث تجري مقارنتها بما حصل في أوروبا المسيحية من تطورات اقتصادية وهو أمر فيه قصور كبير.

2- أن رأياً مسبقاً عند المستشرقين يتحكم في تقويمهم للفكر الاقتصادي الإسلامي وهو ما يؤكد إسقاطهم (للذاتية في أحكامهم).

ثامناً: المستشرقون والعلوم عند العرب والمسلمين

لقد سبق أن ناقشنا موقف المستشرقين من العلوم عند العرب في الوحدة الأولى ولكننا نستعرض هنا المذاهب الاستشراقية المختلفة في ذلك ومنها المذهب:

الأول: يذهب إلي أنه ليس للعرب حضارة مطلقاً فهو يعزو العلم عند العرب إلى اليونان وغيرهم منهم يعدون نقلةً لعلم غيرهم وقد ذهب بهم الحقد أحياناً إلى أن، يترجموا الكتب العربية المخطوطة إلى اللغة اليونانية وإخفاء المخطوطات العربية أو إتلافها وبعضهم الآخر ترجم الكتب العربية إلى اللغة الألمانية أو الانكليزية مدعياً تأليفها لنفسه([73]).ويبدو أن الاستعمار كان حريصاً على أن لا تظهر مثل هذه القضايا المهمة حتى يجعل الشرق الإسلامي كله يدين بالتبعية له في العلم والسياسة وعلى هذا نستطيع أن نعرف الأسباب التي جعلت المناهج الدراسية المختلفة قد نسبت كل علم إلى الغرب ولم تذكر ما قام به العرب من أبحاث وتجارب في العلوم.

الثاني: يذهب إلى أن للعرب حضارة أصلية وأن الغرب في نهضته الحديثة قد أخذ أصول العلم وكثيراً من جزئياته من العلماء العرب وقد استشهد هؤلاء بما اطلعوا عليه من العلوم في الكتب العربية المخطوطة والمطبوعة.

الثالث: نراه يتأرجح بين الاعتراف الصريح بأصالة الحضارة العربية أو إنكارها مما يدل على عدم ثبوت المنهج العلمي والنقدي عند أصحابه وتأرجحه بين حق ثابت لابد من ذكره وآثار من الحقد والكراهية غرست في نفسه (ولكن بعضهم يواجهنا بمقال متأرجح بين المدح والإطراء والدسيسة المغرضة فنقف في حيرة لا ندري أي سبيل نسلك وبأي حكم نخرج في النهاية)([74]) ويمكن أن نعلم أن أسباب ذلك بما نجد عند أ . ف. قوتي الذي يعلن تفوق العنصر الأوروبي على العنصر العربي والسامي فهو يقول (بالتفوق البايولوجي للجنس العظيم المستطيل الرأس الأشقر – أي لأهل أوروبا على الإنسان السامي أو السامي البدائي، وقد جرى دون شك في شرايينه شيء من الدم الزنجي).

يقول الدكتور العاني: وقد أراد هذا المستشرق وغيره حين ظهرت شمس الحقيقة في العلوم الأصيلة عند العرب أن يفترضوا فريضة أخرى يتوهمونها وهي أن "العرب في رأي قوتي عاجزون عن أن يتمكنوا هم أنفسهم من استثمار ما جمع من نتائج بعد طول العناء وبمهارة فائقة ومن تأليفها ضمن نظرية عامة شاملة.

لقد كان للعلوم التي أرسى قواعدها علماء المسلمين ثمارها وجعلوا لها النظرية التجريبية – التي استعرضناها في الوحدة الأولى- بجانب الدراسة النظرية خلافاً لما كان عليه علماء اليونان قبلهم من الاعتماد على الدراسة النظرية فحسب وقد كان اعتماد علماء الغرب في نهضتهم الحديثة على ما أثبته المسلمون وما توصلوا إليه في مختلف شؤون المعرفة وكان للدراسات الاستشراقية نصيب في البحث عن الحقيقة فمنهم من استقصى الأدلة والوثائق وعرف الحقيقة فنطق بها وأثنى على علماء المسلمين جاعلاً لهم الفضل في النهضة الأوروبية الحديثة، أما الآخرون بين حاقد أغمض عينيه عن الحقائق وجاهل عن تحقيق الأمور والأحداث وعاجز عن مواصلة البحث العلمي الذي يحتاج إلى صبر ومصابرة. يقول غوستاف لوبون:- فكان من نتائج اصطراع الشرق منذ قرون

مضت وإلقاء العرب الرعب في قلوب الأوروبيين أن صار الأوروبيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرروا من سلطانها إلا منذ زمن قريب فأخذوا ينكرون فضل العرب على أوروبا وتمدينهم لها وأصبح هذا الإنكار من تقاليد مؤرخي أوروبا وكتابها الذين لم يقروا لغير اليونان والرومان بتمدينها وقد ساعدهم على هذا ما عليه العرب والمسلمون من التأخر في الزمن الأخير فلم يشاؤا أن يروا للعرب رقياً تأريخياً أعظم مما هم عليه الآن غير ناظرين إلى أن حضارة العرب أفلت منذ أجيال وأنه لا يصح اتخاذ الحال دليلاً على الماضي.

ولم تخلِ أوروبا مع ذلك من مؤرخين أبصروا ما للعرب من فضل في تمدين أوروبا فألفوا كتباً اعترفوا فيها للعرب بما ليس فيه الكفاية)([75]).

يقول الدكتور عبد القهار العاني: ولهذا يقول "لوبون" (أنه كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم وأن هذا التأثير خاص بالعرب فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم والعرب هم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان والعرب وهم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية ولاسيما الكتب العلمية والأدبية والفلسفية فكانوا ممدنين لنا وأئمة لنا ستة قرون – وظلت ترجمات كتب العرب ولاسيما الكتب العلمية مصدراً وحيداً تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة قرون – وإذا كانت هناك أمة تقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة.. فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً، قال مسيو "ليبرى": (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة في الآداب عدة قرون)([76]).

ولو قال مسيو "ليبرى" "ولو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لما قامت نهضة أوروبا الحديثة" لكان أثبت وأصدق في بيان حقيقة التاريخ والعلوم والنهضة ودور العرب فيها.

وإنما تعرف الأمم بأخلاقها وآثارها الإنسانية والعلمية في الأقوام التي كانت لها السيادة عليها ، ولهذا فإننا نقول لم يحدث لأمة أن ظلت آثارها شامخة تنادى بالسمو والتقدم الحضاري كما كان للعرب، يقول "لوبون" :-

"وتأثير العرب عظيم في الغرب وهو في الشرق أشد وأقوى، ولم يتفق لأمة ما اتفق للعرب من النفوذ، والأمم التي كانت لها سيادة العالم، كالآشوريين والفرس.. والمصريين واليونان والرومان توارت تحت أعفار الدهر ولم تترك لنا غير أطلال دراسة وعادت أديانها ولغاتها وفنونها لا تكون سوى ذكريات، والعرب وإن تواروا أيضاً لم تزل عناصر حضارتهم وإن شئت فقل ديانتهم ولغتهم وفنونهم حية وينقاد أكثر من مئة مليون شخص مقيمين فيما بين مراكش والهند لشريعة الرسول".

ثم يقول: (الإنسان يقضي العجب من الهمّة التي أقدم بها العرب على البحث وإذا كانت هناك أمم تساوت هي والعرب في ذلك فإنك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها وإذا ما كانت تلم المدينة الكبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة ومنها المدارس العشرون التي روى "بنيامين التطيلّي" المتوفى سنة 1173 م أنه شاهدها في الإسكندرية وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة.. الخ على جامعات مشتملة على مختبرات ومراصد ومكتبات غنية وكل ما يساعد على البحث العلمي، وكان للعرب في أسبانية وحدها سبعون مكتبة عامة وكان في مكتبة الخليفة الحكم الثاني بقرطبة ستمائة ألف كتاب منها أربعة وأربعون مجلداً من الفهارس كما روى مؤرخو العرب

وقد قيل أن سبب ذلك، أن "شارل الحكيم" لم يستطع بعد أربعمائة سنة أن يجمع في مكتبه فرنسا الملكية أكثر من تسعمائة مجلد يكاد ثلثها يكون خاصاً بعلم اللاهوت)([77]).

ويرى الأستاذ العاني بأن العرب هم أهل التجربة والعلماء بعدهم تبع لهم، فلقد كان للعرب والمسلمين الفضل الكبير في تأسيس العلم على التجربة في إثبات حقائقه وهي التي جعلت النهضة الأوروبية الحديثة تؤتي ثمارها تاركة وراءها المنهج اليوناني النظري البحت فهو يقول: (ويعزى إلى بيكن على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركنا المناهج العلمية الحديثة ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم وقد أبدى هذا الرأي العلماء جميعهم الذين درسوا مؤلفات العرب جميعهم ولاسيما "هنبولد" فبعد أن ذكر العالم الشهير أن ما قام على التجربة والترصد هو أرفع درجة في العلوم قال: (إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريباً). قال مسيو "سيديو" (أن أهم ما اتصفت به مدرسة بغداد في البداءة هو روحها العلمية الصحيحة التي كانت سائدة لأعمالها وكان استخراج المجهول من المعلوم والتدقيق في الحوادث تدقيقاً مؤدياً إلى استنباط العلل من المعلولات وعدم التسليم بما لا يثبت بغير التجربة مبادئ قال بها أساتذة من العرب وكان العرب في القرن التاسع من الميلاد حائزين لهذا المنهاج المجدي الذي استعان به علماء القرون الحديثة بعد زمن طويل للوصول إلى أروع الاكتشافات)([78]).

وقد أوضح "لوبون" فضل العرب في المدرسة التجريبية وانتشال أوروبا من منهجها النظري العقيم وتوجيهها إلى التجربة والترصد حيث قال:

(قام منهاج العرب على التجربة والترصد وسارت أوروبا في القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على تكرار رأي المعلم والفرق بين المنهجين أساسي ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية إلا بتحقيق هذا الفرق).

واختبر العرب الأمور وجربوها وكانوا أول من أدرك أهمية هذا المنهاج في العالم وظلوا عاملين به وحدهم زمناً طويلاً، قال "دولنبر" في كتاب "تاريخ علم الفلك" "تعد راصدين أو ثلاثة بين الاغارقة وتعد عدداً كبيراً من الرصاد بين العرب" وأما في الكيمياء فلا تجد مجرباً يونانياً مع أن المجربين من العرب يعدون بالمئات.

ومنح اعتماد العرب على التجربة مؤلفاتهم دقة وإبداعاً لا ينتظره مثلهما من رجل تعود درس الحوادث في الكتب ولم يبتعد العرب عن الإبداع إلاّ في الفلسفة التي يتعذر قيامها على التجربة حيث أن علماء المسلمين أرادوا أن تكون الفلسفة خاضعة لمصادر الشريعة الإسلامية المعلومة من القرآن والسنة والإجماع/ وليس لأحد رأي يجتهد فيه من غير دليل شرعي في منطوقة أو مفهومة وفي تحقيق الضرورات المعروفة في الشريعة الإسلامية، وهي مفصلة في كتب العلماء وخاصة كتاب "الموافقات" للإمام الشاطبي رحمه الله تعالى([79]).

ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم إلى اكتشافات مهمة فمن إعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الاغارقة في زمن أطول من ذلك كثيراً وكان تراث اليونان العلمي قد انتقل إلى البيزنطيين الذين عادوا لا يستفيدون منه منذ زمن طويل، ولما آل إلى العرب حولوه إلى غير ما كان عليه فتلقاه ورثتهم خلفاً آخر.

ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب فكان لهم الأثر البالغ في أوروبا أن العرب وحدهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية مدة وأننا لم نطلع على علوم اليونان والرومان إلاّ بفضل العرب وأن التعليم في جامعاتنا لم يستغن عما نقل إلى لغاتنا من مؤلفات العرب إلاّ في الأزمنة الحاضرة([80]).

تاسعاً: المستشرقون والمجتمع العربي والإسلامي

أما المجتمع العربي والإسلامي فقد أثاروا النزعات العرقية في دراستهم له، لما لها من دور فعال في تمزيق المجتمعات. وهنالك قاعدة عامة التزم بها المستشرقون إزاء المشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي الإسلامي وهي أنه عندما يطرح مسلم أو بعض المسلمين مشكلة ما تهم مجتمعهم، فإن هذه المشكلة تكون قد طرحت أو ستطرح عاجلاً في أوساط المتخصصين في هذه الدراسات لحساب الاستعمار وتحت إشراف منه، وكلما يتقدم هذا المفكر المسلم أو هؤلاء المسلمون بحل لهذه المشكلة، يسرع من طرف آخر أولئك الأخصائيون – لدراسة هذا الحل، وإن كان فيه ما يفيد ويحاولون كل جهدهم التقليل من شأنه وتخفيض قيمته حتى لا يفيد([81]).

وقد صور المستشرقون المجتمع العربي والإسلامي في مختلف العصور وخاصة العصر الأول، بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظمائه، وهم ينظرون إلى المجتمع العربي المعاصر نظرة انتقاص ويصفونه بالجهل والعجز. فنجد المستشرق التركي فؤاد سزكين يعكس هذه الآراء بقوله: "إن العرب لم يعودوا يفهمون التضامن ولا التضحية ولا احترام الوعد والوقت الذي يفهمه الغربيون"([82]).

ثم يقول عنهم: "كل شيء في غير محله، الفكر الديني، الفكر الاجتماعي المثقفون"([83]) ويقول: "إن مشكلة المسلمين اليوم إنهم لا يقرؤون"([84]) ويقول إن: "المد التاريخي لعالمنا العربي – الإسلامي متوقف منذ 600 عام"([85]).

وعلى كل حال فإنه من الممكن أن نلخص دوافع هذه المنهجية في البحث بثلاثة أمور:

الأول: التعصب الديني، سواء نتج هذا التعصب عن إيمان المستشرق بالكنيسة الغربية أم باليهودية العالمية.

الثاني: أولوية التفضيل في المصالح. حيث تتقدم مصالح بلدان المستشرق الغربي على المصالح العلمية، لأنه من غير المعقول أن يكون الشرق أو العرب أو الإسلام ذا أولوية في هذا المجال.

الثالث: شعورهم بالتفوق الحضاري، هذا التفوق الذي يجعلهم يشعرون بعقدة نقص تاريخية، فحين كان الغرب يغرق في ظلال الجهل والتأخر، كان مجتمعنا العربي والإسلامي يعد لهم ألافاً من الكتب والمخطوطات التي تعكس تطوراً وحضارة تعد من أقدم وأعظم الحضارات العالمية وأكثرها قابلية على الاستمرار.

عاشراً: المستشرقون والتاريخ الإسلامي

([86])

يرى المستشرقون أن التاريخ الإسلامي سلسلة من الأكاذيب. فهم يفسرون أحداثه وفق أهوائهم واقتراحاتهم الفاسدة أحياناً، وهم يستنبطون الأحكام الكلية من حوادث جزئية، فيكون حكمهم آنذاك قائماً على استقراء ناقص لا يثبت دليلاً يعتمد عليه. ويعتمدون الأخبار الضعيفة أو الأخبار الثابتة والبناء عليها، حيث تقودهم إلى استنتاجات ونتائج غير صحيحة. ويغفلون الروايات التي تناقض النتائج التي يقرونها.

وهم يعرضون مقاطع مشوهة في التاريخ الإسلامي بعيداً عن الحقيقة كتصويرهم المعارك الإسلامية بغير صورتها الإسلامية وليس التاريخ في نظرهم إلا السيف والدم.

كما وفي هذا المجال، قد حرفت دلالات الوقائع التاريخية ما أدى إلى الانحراف في تعليلها، ويتم ذلك أحياناً بتحكيم المفاهيم الغربية في تفسير النصوص والوقائع التاريخية لجهلهم بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته. فيحكم المستشرقون عليه من خلال ما يعرفونه من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم لذا فقد عللوا روائع الفتح ببواعث ورغبات مماثلة للنزوات الاستعمارية الغربية.
ويصورون الحضارة الإسلامية تصويراً بعيداً عن الوقائع بكثير تهويناً "لشأنها واحتراقها" لآثارها([87]).

كما أنهم يثيرون الشبهات ويبحثون عن الثغرات ويفسرونها تفسيراً يتفق وأغراضهم المادية والتبشيرية وأنهم يخالفون الأدلة والنصوص التاريخية. يقول مونتكومري واط "توضح الحوادث التي وقعت فيها بعد أن النية لم تنعقد على قتل محمد لأن الاتفاق على ذلك لن يكون بالإجماع، ثم يحاول تصوير الحكم الصادر عن اجتماع زعماء قريش بقوله: ولا يستبعد أن يكون قد رجم في مكة ذاتها بعد الاجتماع([88]).

وبعد فهل كان المستشرقون يعتقدون أنهم قد جانبوا الحقيقة؟ وهل يعتقدون أنهم قد أساءوا إلى الأمة العربية الإسلامية؟

يعتقد بعض المستشرقين أنهم غير مجانبين للحقيقة في منهجيتهم فقال المستشرق رودى باريت بهذا الصدد: أن المستشرقين ((يطبقون على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات التي يشتغلون بها، المعيار النقدي الذي يطبقونه على تاريخ الفكر عندهم وعلى المصادر المدونة لعالمهم فيه.([89])

ولكن الحقيقة أن مناهجهم في البحث لا تسير دائماً وفق ذلك، إذ أنهم يخضعون العلوم الشرقية لموازين ميكافيلية تخدم الغرب، كما أنهم حين ظهر منهج التفسير المادي، حاولوا إخضاع حقائق السيرة النبوية وتاريخ الإسلام له للنيل منهما، مع بداية القرن ونجاح الثورة البلشفية في روسيا سابقاً، بدأ موقف جديد إزاء رسولنا (ص) وتاريخنا الإسلامي عامة ينبثق عن التفسير المادي للتاريخ ويسعى إلى إخضاع حقائق السيرة لمقولاته الصارمة يفصلها عن مساحات منهجه المرسوم سلفاً يقطع أوصالها لكي يرفض وينفي ويستبعد ما لا ينسجم مع مطالب هذا المنهج ويأخذ ويستبقى ما لا ينسجم وهذه المقولات([90]).

كذلك استخدامهم لأسلوب التشكيك في كل ما يختص بحقائق تراثنا يقول الدكتور عماد الدين خليل ((يكاد يكون هذا الملمح الأساس في مناهج المستشرقين قاسماً مشتركاً أعظم بينهم جميعاً، أنهم يمضون مع شكوكهم إلى المدى ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخي، بل أنهم ينفون العديد من الروايات لهذا السبب أو ذاك بينما تجدهم يتشبثون في المقابل بكل ما هو ضعيف وشاذ([91])).

الخلاصة في المنهجية الاستشراقية

ولابد من التقرير بأن العلاقة بين المستشرق والشرق كانت بصورة أساسية تأويلية، فإذا وقف المستشرق الباحث أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية لا تكاد تفهم قلص الإبهام عن طريق الترجمة والتصوير المتعاطف والإدراك الداخلي للشيء الذي يصعب الوصول إليه([92]).

وهم يلتمسون نقاط الضعف، سواء في كتبنا أم مجتمعنا، والدخول إلى الدراسة التراث القديم أو المعاصر من خلالها.

وهم يعتمدون الأهواء الشخصية والميول التي تساعدهم في دعم آرائهم دون الأخذ بوجهات نظر المجتمع العربي أو الإسلامي وفي كثير من الأحيان، دون الاعتماد على مبدأ المقارنة الذي يوصلهم إلى الحقائق وبذلك تعد آراؤهم ذات منظار واحد وهي من أخطر الأمور التي تقودهم إلى نتائج مغايرة للواقع.

وهم يهملون مشاعر وآراء الجانب العربي والإسلامي في تحليلاتهم ويستعرضون بطريقة يطلقون عليها (الرصانة العلمية) و(الموضوعية) بينما يفقدون المعاني الحقيقية التي بإمكانهم الوصول إليها دون ذلك.

ويعتمد المستشرق في إعطاء صورة مشوهة عن الشرق. وذلك ما أكده كثير من المستشرقين الذين حاولوا أن يكونوا موضوعيين أو متعاطفين مع الشرق. يقول (مونتكومرى واط) في هذا الصدد "جد الباحثون منذ القرن الثامن عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا عن الإسلام، وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل في أوروبا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها"([93]).

وهم يزنون ما يختص بالأمة العربية أو الإسلام بموازين تختلف عما يستخدمونه في أمورهم العلمية. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: أن الطريقة الغالبة على المستشرقين أنهم لا يزنون الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالإسلام وبالأمم الإسلامية. وفيما يتعلق بغير الإسلام وغير المسلمين. فهم أبداً ينظرون نظرة جانبية إلى المسائل الإسلامية، لا يعممون النظر على قاعدة واحدة إلى هذه المسائل وإلى نظائرها في البلاد الأوروبية والأمريكية، وعندهم دائماً – إن مسائل الإسلام موسومة بالغرابة أو المخالفة لما عداها في المسائل العالية فهم يتطلبون – الشذوذ الغريب ابتداءً من النظرة الأولى ولا يحسبون أن التعليل العلمي يتسع لتفسير الإسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل.

كما أن المستشرقين كثيراً ما يعتمدون المغالطة في المناقشات العلمية وسوء الظن والفهم واعتمادهم أقوالاً باطلة ردها العلماء المسلمون بدلائل علمية، فتجاهلوا الردود والدلائل. وأنصب اهتمامهم على أنواع معينة من العلوم الشرقية لتحقيقها كالفلسفة وعلم الكلام وأبحاث الاعتزال والباطنية والخلافات السياسية كدراساتهم عن الحلاج التي عني بها ماسينيون ودراسة السهروردي وبشار بن برد وأبي نؤاس وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وما يتصل بابن الراوندي وأحياء الأغاني وغيرها مما طرح مفاهيم من شأنها تحطيم مفهوم الإسلام الأصلي وتزييفه([94]).

ويهتم المستشرقون بالشخصيات التي تتشابه سيرتها مع العقائد المسيحية فيعطونها مكانة بارزة في إصداراتها فقد كرس ماسنيون جهده – كما ذكرنا – لكتابة مجلدين كبيرين عن الحلاج لإدعائه الحلول تلك الفكرة المماثلة لحلول الإله في السيد المسيح.

وكانت جهود المستشرقين تتجه إلى الحديث عن الشرق مخاطبين الإنسان الغربي.

إلا أن كتاباتهم بدأت تستغرق الغربي والشرقي معاً. فبهذا يقع الشرقي تحت عرضها لما تعالجه من موضوعات فتسوقه – من حيث لا يدري – إلى مزالق خطرة حيث تأخذ طابع العلمية الجاد، وتخفي تحتها الأخطار([95]).

وقد نهج المستشرقون في الأقطار المختلفة (المبدأ الميكافيلي) الذي يقول: الغاية تبرر الوسيلة. فالهدف الأول الذي سعت له الدولة الغربية منذ بداية اتجاهات نحو استعمار الأقطار الضعيفة. هو اكتشاف البلاد العربية والإسلامية وبسط سيطرتها الاستعمارية عليها. وهذا هدف أساسي خدمهم فيه المستشرقون.

وقد رأينا أنهم قد استخدموا كل الوسائل في سبيل ذلك كالدرس والتزوير والاحتيال والافتراء وتحوير الحقائق. لذلك فإنهم حين درسوا الإسلام كانوا متحزبين عليه.

يقول محمد أسد «أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي([96]). ووصف تحاملهم على الإسلام والمسلمين غريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيين الأولين»([97]).

لقد أصر الكثير من المستشرقين على عدّ الإسلام ديناً من صنع محمد (ص) لذلك فقد قسموه إلى مسألتين بهدف الإساءة إليه. فجعلوا من المسألة الأولى: حديثاً عن مثل أعلى، أي أن الإسلام الذي تقرأه في القرآن والحديث والتفسير والفقه وغير ذلك أن هو إلا مثل أعلى لم يتوصل المسلمون إلى تحقيقه أو الوصول إليه..

أما المسألة الثانية:- فإنها عدت ما طبق في الإسلام يختلف باختلاف العصور فالإسلام في رأيهم له أشكال ثلاثة هي:

1- إسلام قديم ينتهي بسقوط بغداد.

2- إسلام وسيط يصور العصر التركي.

3- إسلام حديث يبدأ منذ احتكاك المسلمين بأوروبا([98]).. فالإسلام الحقيقي إذن في رأيهم هو غير الإسلام الذي طبق كنظام حكم.

والمستشرقون حين يطرحون الآراء الإسلامية فإنهم يطرحون المفاهيم التي من شأنها الحط من مفهوم الإسلام الأصل وتزييفه([99]).

وتبشير النبي العربي – كما يقول كولد تسيهر – ليس إلا مزيجاً منتجاً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها([100]).

وقد لخص الأستاذ الدكتور عبد القهار العاني منهجية المستشرقين في مختلف العلوم الإسلامية بقوله: "وتبتني منهجيتهم في الدراسات القرآنية من منطلق أن محمداً r هو مؤلف القرآن الكريم،

لأنهم لا يعترفون به نبياً بطبيعة الحال وهم يعيدون مادة القرآن الكريم إلى الكتب الدينية اليهودية والمسيحية من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية القديمة التي سبقت ظهور الإسلام". يقول فنسك "ألّف محمد القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته"([101]).

ويقول المستشرق نيكلسون "والقارئون للقرآن لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات. وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات. ولم تكن حجر عثرة في سبيل صحابته الذين تقبل إيمانهم الساذج للقرآن على أنه كلام الله"([102]).

ومن أكبر عيوب المستشرقين في فهم القرآن الكريم هو إساءاتهم فهم عباراته وعدم اعتمادهم التفاسير المعتمدة من قبل المسلمين. وفي هذا يحرفون النصوص تحريفاً مقصوداً. ويحاول المستشرق أن يجعل الغربي مؤمناً بأن القرآن الكريم يسبب تأخير المسلمين. يقول وليم جيفورد بلكراف "متى نوارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه"([103]).

أما في الحديث الشريف فتتبع منهجيتهم من أفكار نبوة محمد (ص) وقد سبق أن ذكرنا أن كولدتسيهر قد ذكر تبشير النبي العربي (ص) مزيج منتخب من معارف وآراء دينية استقاها من اليهودية والمسيحية([104]).

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن مادة الحديث القول بأنه "لا يمكن أن نعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفاً تاريخياً صحيحاً لسنة النبي بل هي على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة (محمد) ونسبت إليه عند ذلك فقط([105]).

وينجرف كثير من معاصرينا. ليأخذوا بآراء المستشرقين واعتمادها في كثير من الأمور تحت غطاء العلمية والبحث الرصين وهم يقدمون بذلك خدمة لعالم يشعر بتفوقه علينا حتى في دراسته لعلومنا ولغتنا والتي لابد أن نكون نحن أعرف بهما دون جدال([106]).

وهكذا لا يعترف الاستشراق للمسلمين ودينهم ولغتهم وتراثهم بفضل بل هو يعزو تخلفهم الراهن إلى هذا التراث وذلك الدين ويقضي عليهم عبر التاريخ بالتبعية أو الضحالة الفكرية، ولا يقدح في هذا الموقف أن من المستشرقين من قال كلمة "حق". فهؤلاء الصادقون مع أنفسهم كصوت خافت وسط عاصفة عاتية، ثم وقر في أذهان عامة المثقفين من الغربيين أن المسلمين أمة متخلفة قديماً وحديثاً، وأنهم ليسوا أهلاً لحياة حرة عزيزة وأن على الغرب أن يبسط سلطان نفوذه عليهم ويستحوذ على الثروات التي في بلادهم، ويجعل لثقافته الكلمة العليا بينهم([107]).

الوحدة الثالثة : الاستشراق ومواطنه

سنتناول كل دولة من الدول التي انشغلت بالدراسات الاستشراقية، سواء أكانت دولة أوروبية أو أمريكية أو شرقية (بعيدة عن الإسلام) وسنبين فيها دور تلك الدول وحدود الدراسات الاستشراقية فيها وفيما إذا كان الاستشراق فيها تقليدياً أم معاصراً مفسرين المعنى التقليدي والمعاصر لها.

وسيكون هناك عرضاً للنجاح أو الفشل في تناول المهمة الاستشراقية لتحقيق الأهداف التي ترمي إليها الدراسات تلك.

الاستشراق الأوروبي

أولاً: الفاتيكان: لابد من التذكير بأن أهداف الدول الغربية جميعها واحدة هي استعمار الشرق أو العالم، فالاستعمار نما وترعرع تحت ظل التقدم الصناعي والعسكري والثقافي وسعت كل دولة إلى منافسة جاراتها في التهام أكبر قدر من المساحات المستعمرة وتوظيفها لإغراضها السياسية والاقتصادية وكان علّي أن أذكر دولة الفاتيكان من بين الدول التي نما فيها الاستشراق وتطور، فالفاتيكان في الوقت الحاضر دولة دينية صغيرة الحجم جيشها هم "القسس" و"الكنائس" التي تمتثل لأوامرها، إلاّ أنها كانت تقود دول أوروبا سياسياً وعسكرياً ودينياً قبل الثورة الإصلاحية ومنذ الحرب الصليبية إلى يومنا الحاضر، يسعى كل بابا في الفاتيكان إلى دراسة الإسلام وطبيعة العرب وتراثهم، وكان قمة ذلك الاهتمام تأسيس البابا غريغوريوس الثالث عشر، الكلية المارونية في روما في عام (1754) والتي لا تزال قائمة حتى اليوم وتخرج فيها على مدى قرنين من الزمن نخبة من المتخصصين باللغات الشرقية انتشروا في حواضر البلدان الأوروبية([108]).

ولذلك الاهتمام أسباب منها :-

1. الفاتيكان

عندما كانت البابوية سلطة سياسية قوية تحكم أوروبا قبل الثورة الإصلاحية، كانت هناك مخاطر المسلمين من العرب أو الأتراك تحيط بأوروبا. وكثيراً ما دكت جيوش المسلمين أسوار فرنسا وروما ولذلك فقد كان خوف البابا منهم كبيراً مما دعاه إلى إرسال رسله للتعرف على هؤلاء الناس ودينهم ليستطيع العمل معهم من خلال تعرفه إليهم.

2. وعندما انحسرت البابوية في حي صغير يدعي "الفاتيكان" اتجهت إلى التبشير المسيحي أولاً وضمان كيان معنوي لها بين دول العالم فراحت تسعى إلى الدعوة للسلام وإلى إقامة المؤتمرات العالمية للتفاهم البشري. فتأسست جمعية التقدم الدولية برعايتها، وأخذت تعقد هذه الجمعية مؤتمرات عالمية للتقريب ما بين الفكر المسيحي والفكر الإسلامي، إلا أن عشرات الجمعيات الأخرى التي يرعاها الفاتيكان في أمريكا وأوربا. تسعى إلى التقريب ما بين الفكر اليهودي والفكر المسيحي.

إن "البابوية" تقود العالم المسيحي من الناحية الدينية، لذلك فهي لا تزال تشجع بل وتقود الحملات التبشيرية في كل العالم وكثير من المبشرين المستشرقين الذين لا تزال تمتلئ بهم الجامعات الغربية في مصر ولبنان – ومنها على سبيل المثال جامعة القديس يوسف الفرنسية في بيروت والجامعة الأمريكية في القاهرة وفي بيروت – من مبشري ومستشرقي الكنائس التابعة للفاتيكان يجدون دعماً مادياً من مختلف الدوائر الغربية المشبوهة.

ثانياً: هولندا

لم يكن لهولندا دور استعماري مباشر في الأقطار العربية إلا أن أثرها في الخليج العربي قد حل محل الاستعمار البرتغالي عندما بدأ الأخير ينحسر. وكانت هولندا منشغلة بجنوب آسيا. وعلى الرغم من ذلك فقد كان لها دور استشراقي مميز. وعلاقتها بالاستشراق قديمة جداً، ولعل جامعة لايدن من أشهر الجامعات التي اهتمت بهذه الدراسات وقد خدمت هذه المدينة الفكر الاستشراقي في كل أوروبا، ولجامعتها مطبعة شهيرة أسسها المستشرق توماس اربينوس (المتوفي سنة 1624 للميلاد) الذي تدين له الدراسات الاستشراقية في هولندا بالفضل الكبير. ثم أشرف المستشرق (بريل) سنة 1812 م عليها. وبكلا الاسمين اشتهرت هذه المدينة.

ظهرت في هولندا كتب كثيرة للقواعد العربية ومعجمات عربية – لاتينية وحققت فيها كثير من المخطوطات. واشتهر من بين مستشرقيها كثيرون منهم رينهارت دوزي (1820 – 1883) الذي ألف (تكملة المعاجم العربية) المنشور في لايدن سنة (1881)([109]).

واشتهر فيها فنسك (1881 – 1939) واضع (المعجم المفهرس للحديث).

ولا تزال الدراسات الاستشراقية الهولندية بحالة جيدة وإن لم تعد ترقى إلى مستواها الأول ولكن اهتماماتها الحالية منصبة على التراث والفلسفة. كما أن لهولندا في القاهرة معهداً للآثار والدراسات العربية([110]). وقد اتجه الاستشراق الهولندي لخدمة أغراض الاستعمار حيث كان المستشرقون يعتنون بمختلف الأمور التي تخدم تلك الأغراض سواء أكانت سياسية أم دينية لذلك فقد نشرت كثيراً من البحوث الطائفية وما يختص بالفرق الإسلامية والمقارنات ما بين المسيحية والإسلام أو عن أحوال اليهود في الشرق العربي قديماً حديثاً.

ويمكن القول بأن تلك الدراسات سواء العقائدية منها أم دراسات الطوائف فضلاً عن دراسات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة ساعدت على تعريف الدوائر المعنية في هولندا وأقطار أوروبا الأخرى بالواقع العربي ليسهل النفاذ إليه والتأثير عليه ولكن دور هولندا السياسي قد انحسر قبل وبعد الحرب العالمية الثانية فأثر ذلك الانحسار على الوضع الاستشراقي فيها فلم يعد هناك ما ينشر عن المنطقة العربية أو التراث العربي إلا لماماً لكن بعض البحوث التي تختص بمناطق النفوذ الهولندي في جنوب آسيا لا تزال تظهر إلى الآن وتتعلق بمناطق جاوة وسومطرة وأقطار جنوب آسيا.

ثالثاً: بريطانيا

وقد بدأت فيها الدراسات الاستشراقية منذ وقت مبكر حيث أن عدداً كبيراً من علماء القرون الوسطى انكبوا على دراسة اللغة العربية وآدابها. ومنهم (ادورد اوف باث) الذي ترجم أعمال الفلاسفة اليونانيين من العربية إلى اللاتينية([111]). وقد أسس أول كرسي للدراسات العربية في جامعة كمبردج عام 1623م. وأول كرسي للدراسات العربية في جامعة اكسفورد سنة 1626 م([112]).

تتميز الدراسات الاستشراقية الأولى بحقدها وعدم علميتها. فقد كانت تهتم بالتبشير بالدرجة الأولى لذلك أساءت إلى تاريخ العرب والمسلمين وحضاراتهم. وجعلتهم أمام الرأي العام البريطاني همجا ووحوشا وسارقي حضارات.

وكانت أطماع بريطانيا تزداد في الشرق العربي، فكلما حققت شيئاً من أطماعها ازداد ازدراؤها بالتراث العربي الإسلامي. حتى أن الاستشراق فيها يعد أداة كبيرة للاستعمار. ساعد في نشر الفرقة بين العرب وذلك بتركيزه على نشر الدراسات الطائفية والتحدث غن أفضال اليهود على تراث العرب.

وكان المستشرقون الانجليز يعملون في كل القطاعات التي تقدم خدمة للاستعمار البريطاني، فقد أدت شركة الهند الشرقية البريطانية دوراً كبيراً في استثمار المستشرقين الذين كانوا يقدمون لها البحوث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عن المنطقة العربية. فكان (كلود لويس جيمس) المستشرق الانجليزي ممثلاً لتلك الشركة وقيماً في بغداد. وكان المستشرق (برشارد) قنصلاً بريطانياً في تونس. كما قام المستشرق (بالمر) الذي أرسلته جمعية استكشاف فلسطين بدراسة عن صحراء سيناء وفلسطين. وقد أدى (بالمر) تلك المهمة مما أرضى اليهود الذين أناطوا إتمامها إليه. ولعل تلك الدراسة كانت تمهيداً لقيام دولة يهودية في فلسطين. وقد استغل الانجليز هذا المستشرق في عام (1882) عندما أوفدوه إلى مصر أثناء الثورة العربية ليقوم بتأليب البدو المقيمين في سيناء على مصر برشوتهم بالجنيهات الذهبية مما جعل بعضهم يطمع به فقتلوه([113]).

وكان المستشرق (ادوردبوكوك) أستاذاً لامعاً في اللغة العربية في جامعة اكسفورد بعد أن خدم فترة لا بأس بها قسيساً مقيماً مع التجار البريطانيين الموجودين في مدينة حلب سوريا([114]).

وكان ازدراء المستشرقين الانجليز بتشكيكهم بأصالة التراث العربي. فهذا (جب) أشهر المستشرقين المعاصرين يقول: أن النثر الفني العربي فارسي الأصل.ويشيد (جب) بالثقافية اليونانية ويحاول أن يعزو لها إليها كل ما في الأدب العربي من تقدم ويرد إلى الثقافات الفارسية واليونانية كل أمور النحو والبلاغة علماً بأن هذه الفنون قد تم البحث فيها قبل الاتصال بالفكر اليوناني وقبل عصر النهضة.

أما الفلسفة العربية فإن (جب) يعدها فلسفة يونانية المصدر ويقول: إن الذين رفعوا لواء الفكر والفن في العصر العباسي هم من أصل أعجمي أو نصف أعجمي. ناسياً أن القرآن الكريم هو الذي شكل عقليات المسلمين جميعاً، من العرب والترك والفرس"([115])

وإذا انتقلنا إلى الدراسات الدينية، نجد أن المستشرقين الانجليز قد ركزوا بشكل مكثف على الإساءة إلى شخص النبي (ص) وكنا قد مررنا بأسماء الأب بريدو و(الأب أوكلي) وغيرهما إلا أن كثيراً من الدراسات قد تناولت مسائل أخرى، كان الغرض منها النفاذ إلى النفس العربية والأرض العربية فتناولوا الفرق والطوائف والخلافة والآراء الفقهية التي تتصارع حول ذلك.

فكانت دراساتهم تلك وصفاً حقيقياً لسياستهم المتمثلة بـ (فرق تسد) فقد أثارت آراؤهم فضلاً عن التنسيق المنظم بينهم وبين الفرنسيين ضجة في صفوف المثقفين العرب كان لها تأثيرها الكبير على الفرد العربي، وليس الاستطراد في هذا الموضوع أمراً مهماً، فقد خبرنا بريطانيا واستعمارها، وما الاستشراق إلا أداة من أدوات نفاذها إلينا دون أدنى شك. فمن المعلوم أن الفترة الواقعة بين مطلع هذا القرن وحملة السويس سنة (1956 م) شاهدت تزايداً في تورط بريطانيا في البلاد العربية بسبب مصالحها الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية في شرق البحر الأبيض المتوسط والمناطق الغنية بالنفط. فمن نتائج ذلك التورط زيادة اهتمام الأوساط الحكومية والأكاديمية بدراسة اللغة العربية، وعلى ذلك مثلان هما تأسيس "كلية الدراسات الشرقية والإفريقية" في جامعة لندن سنة

(1917 م) وتأسيس (مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية) على يد الحكومة البريطانية في القدس أثناء الحرب العالمية الثانية والموجودة حالياً في شملان في لبنان. وتدفع الكويت مبالغ طائلة لجامعة درهم بانكلترا وذلك لتشجيع الدراسات الجامعية في ميدان الحضارة العربية والدين الإسلامي([116]) وإذا كانت للغة العربية أهمية خاصة عند الحكومة البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية فلا تزال هذه الأهمية تتزايد بصورة مستمرة حتى أصبحت اللغة العربية في المرتبة الخامسة بين اللغات الأجنبية ذات الأهمية الخاصة لبريطانيا نظراً لوضعها التجاري والسياسي والاستراتيجي. أي أن اللغة العربية تأتي مباشرة بعد اللغات الفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية. لذلك ترى وزارة الخارجية البريطانية ضرورة إبقاء عدد من الموظفين الدبلوماسيين ممن يتقنون اللغة العربية لا يقل عن (200) موظفاً كما تبقي في بلاد عربية مركزاً خاصاً بتدريس اللغة العربية([117]). ولابد من التقرير بأن دور بريطانيا (الظاهري) قد انحسر في الفترة الأخيرة على الصعيد الاستعماري رغم دورها الجديد في العراق.

إلا أن الدراسات الاستشراقية في جامعات بريطانيا لا تزال متطورة. فجامعة لندن مثلاً تهتم باللغة العربية الحديثة فضلاً عن الأدب العربي الحديث والتاريخ المعاصر، والأستاذ الذي يعين فيها لابد أن يكون متخصصاً باللهجات العربية وخاصة لهجة الخليج أما جامعة كمبردج فلها علاقات بالجزيرة العربية في الوقت الحاضر وتهتم دراساتها بصورة خاصة بمنطقة اليمن وحضر موت وشمال أفريقيا والشؤون السياسية في العراق. وقد قامت بتنفيذ مشروع للهجة المصرية الدارجة بمعاونة مؤسسة فورد. وجامعة اوكسفورد تهتم بالدراسات العربية المعاصرة والسياسية العربية الحديثة. وبتاريخ سوريا الحديث وأصول القومية العربية في المنطقة العربية بشكل بارز([118]). أما جامعة درهم فتهتم بشؤون أفريقيا والسودان بصورة خاصة.

وتقوم الجامعات البريطانية ببعض النشاطات المعاصرة. ففي سنة (1972 م) أقامت في مركز الشرق الأوسط بجامعة اوكسفورد سلسلة من الندوات العلمية عالجت حياة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وإنجازاته. كما أجرت بحوثاً لإمكانات تصنيع الاقتصاد المصري. واشتركت الجامعة المذكورة مع بعض الجامعات البريطانية لإنجاز مشروع يرمي إلى تأليف فهرست يشمل كل ما صدر من مقالات في المجلات العربية الدورية في الفترة ما بعد سنة (1880م). وفي جامعة درهم جرت بحوث علمية وعملية في عمان في الميدانين الاجتماعي والجغرافي بتكليف من حاكم عمان([119]).

ولا تزال الدراسات الاستشراقية في بريطانيا تنظر إلى المصالح البريطانية المختلفة وتخدمها. فلقد وجدت بريطانيا وغيرها من البلدان المعنية أن انعدام الناس الذين يتقنون اللغة العربية الدراجة يشكل خطراً كبيراً على مصالحها. وقد أدركت المحافل الحكومية والأكاديمية ضرورة التركيز على اللهجات الدارجة.

لذلك خصصت الحكومات المتتالية مبالغ طائلة لتمويل برامج إيفاد طلاب وأساتذة إلى البلاد العربية. وساعدت بعض الجامعات والمراكز العلمية على تحضير مناهج تعليمية ناجحة لتدريس اللهجات المحلية. ويوجد عدد كبير من الباحثين والطلاب الانجليز في البلاد العربية لتعلم اللغة العربية وإتقان اللهجات المحلية والتعرف على عادات وتقاليد العرب المختلفة وكذلك لإيجاد صلات مع العلماء العرب المنشغلين بميدان الدراسات اللغوية العربية([120]). وفي سنة (1969م) انعقد في جامعة كمبردج اجتماع برئاسة السيد وليم لوس حوى عدداً كبيراً من الخبراء

البريطانيين في ميدان الدراسات العربية. ونتج عن ذلك المؤتمر تأسيس لجنة خاصة بدراسة مشروع إقامة معهد جامعي موحد لتدريس اللغة العربية لكل الراغبين في دراسة المواضيع التي لابد منها لإتقان اللغة العربية. ويوجد الآن ما لا يقل عن اثني عشر مركزاً جامعياً يمكن للطالب أن يدرس فيها اللغة العربية في بريطانيا. ويتراوح عدد الدارسين للغة العربية هناك بين (200 – 300) طالب([121]).

رابعاً: فرنسا

يعود الاهتمام باللغة العربية فيها إلى أواسط القرن الثالث عشر الميلادي إذ أخذت تهتم باللغات الشرقية ثم ازداد هذا الاهتمام في القرن السادس عشر عندما نشأت (الكلية الملكية) لتدريس اللغات الأجنبية وفي القرن السابع عشر نشطت الدراسات الشرقية فيها لأسباب دينية وسياسية([122]) وسنأتي على ذلك.

وقد تركزت الدراسات على الأبحاث التي تدرس الطائفية كالشيعة والدروز والنصيرية – التي آتت أكلها في الوقت الحاضر- فضلاً عن دراسات يهودية ومسيحية.

تهدف معظمها إلى الإساءة إلى المجتمع العربي والتاريخ العربي، وكانت أبرز الدراسات فيها تلك التي تبحث في تاريخ البربر في شمال أفريقيا. في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون يحتلون شمال أفريقيا وسوريا ولبنان، ولذلك فقد كانت هذه الدراسات تمس صلب شعب هذه الأقطار فنرى مستشرقاً كبيراً مثل هنري لاورست الأستاذ في (كولج دي فانس) وتلميذ المستشرق المعروف (ماسينيون). قد تخصص بدراسة مذهب ابن حنبل وكان قد أعد أطروحته في البدء عن ابن تيمية ثم صعد في مجرى التاريخ حتى وصل إلى ابن حنبل نفسه وتلامذته الأولين ثم تتبع التاريخ مجدداً لكامل الحركة الحنبلية التي أدت إلى الحركة الوهابية والحركة الإصلاحية في القرن التاسع عشر وإلى حركة الإخوان المسلمين([123]). وأتت هذه الدراسات أُكلها في الوقت الحاضر أيضاً.

ونجد المستشرق (كوربان) الأستاذ في معهد الدراسات العليا التطبيقية، يهتم بالقضايا الفارسية وتياراتها على العرب فأسهم في التعريف بالفكر الشيعي على هذا الأساس وذلك بنشره نصوصاً ودراسات عنه([124]).

ومما تجدر الإشارة إليه أن فرنسا انفردت مبكراً من بين سائر الدول الأوروبية بتعدي الاستشراق لحدودها وامتداد الاستشراق الفرنسي إلى البلدان العربية مشرقية ومغربية وخاصة في الجزائر وتونس والقاهرة ودمشق وبيروت حيث جامعة القديس يوسف التي يعمل فيها عدد كبير من الآباء اليسوعيين من المستشرقين([125]) ثم حذت أمريكا وبريطانيا وألمانيا حذوها في فتح المعاهد والجامعات في الشرق لتخدم تلك الأغراض. وقد بانت نتائج هذه الدراسات في الوقت الحاضر.

وفرنسا لم تكن كغيرها من بلدان الغرب المستعمرة فهي لا تكتفي بنقل التراث وتشويهه، وإنما كانت تريد أن تمسح أهم الآثار التي تربط الشعب نفسه بالتراث، لذلك فقد عملت على فرنسة اللغة في هذه الأقطار، وقد تخلص السوريون واللبنانيون من هذه الكارثة لأن الفرنسيين قد خرجوا من بلادهم مبكراً، أما في شمال أفريقيا فلا يزال الشعب العربي يحتاج إلى أعوام طوال للتعريب إذ لا تزال الفرنسية تطغى على اللغة العربية فيها.

ويمكن إجمال ما عمله الفرنسيون في المجال الثقافي بما يأتي:-

1- نشر الثقافة الفرنسية في الأقطار العربية التي سيطروا عليها، وتجريد السكان العرب من صلاتهم بالتراث – وهي اللغة.

ب- نقل التراث العربي إلى فرنسا ونشر ما يتفق منه وأغراض الاستعمار الفرنسي بالتركيز على الإساءة إلى الحضارة العربية ونسبها إلى الإغريق. والرومان والكنيسة واليهود. أو بالإساءة إلى شخص الرسول (ص) كقائد لهذه الأمة بما نشروه عنه من معلومات كاذبة ومزيفة، أو بنشر الكتب التي تساعد على إشاعة الفرقة بين الشعب العربي مثل كتب الزندقة والطائفية والفرق.

أو بنشر ما كان يثير النزعات العرقية عند بعض الطوائف في الوطن العربي وذلك عن طريق دراسة تاريخ اليهود في الأقطار العربية أو تاريخ البربر في شمال أفريقيا أو عن طريق جمع ونشر العقائد العلوية والنصيرية والدرزية والإسماعيلية في سوريا ولبنان وغير ذلك مما كان له أثر عند بعض هذه الطوائف لحقب طوال بالانفصام عن هذه الأمة والحقد عليها.

إن معظم تلك الدراسات الباطنية والطائفية، لم تجد رواجاً لها في الوقت الذي سبق دخول المستعمر وكان العرب في غنى عن نشرها وترويجها. ولكن تخطيطاً واضحاً كان خلف ذلك.

ومما تجدر الإشارة إليه، هو وجود الكثير من المنظمات الاستشراقية في فرنسا، من بينها الجمعية الآسيوية التي تأسست سنة (1822م) وهي الجمعية التي تصدر مجلة عن المسيحيين في الشرق باسم مجلة (الشرق المسيحي) تعنى بدراسة مناطق المسيحيين في الشرق العربي ولغاتهم وحضاراتهم وتصدر جامعة القديس يوسف في بيروت مجلة (لامانج) الاستشراقية. أما المعهد الفرنسي للآثار في القاهرة فيصدر مجلة (الحوليات الإسلامية). ويصدر المعهد الفرنسي في دمشق مجلة (نشرة الدراسات الشرقية)([126]).

خامساً: ألمانيا

لم تكن لألمانيا مصالح استعمارية مباشرة في الوطن العربي، إلا أنه يجب إلا ننسى بأن ألمانيا كانت لها تطلعات استعمارية فيما مضى([127]) فلقد كانت هناك حملات ألمانية في أفريقيا، بيد أن الاستشراق الألماني قد ساعد في خدمة الأغراض الغربية التي كانت معظم دول أوروبا تسعى إليها.

ويمكن تلخيص دور الاستشراق الألماني بما يأتي:-

أولاً: بالدور الذي أداه الاستشراق العالمي بوضع طاقاته لخدمة أغراض الغرب في الطعن بالتراث العربي والإسلامي وتشويه شخص الرسول (ص) أو التوجيه على الدراسات الطائفية لنشر المؤلفات الشيعية والدرزية والنصيرية والعلوية الأخرى. والتصوف والإسماعيلية ودور اليهود وتاريخهم والعلاقات بين اليهود والمسلمين في مختلف العصور الإسلامية ونشر المؤلفات التي تركز على الاختلافات العقائدية بين الطوائف الإسلامية مما له أثر كبير في إشعال الفتن في المجتمع العربي والتي بانت نتائجها في الوقت الحاضر، فمن الإساءات التي يمكن أن نشير إليها مثلاً:

1. ما جاء بكتاب فوللرس (ت 1880) المستشرق الألماني الشهير في كتابه "عن لغة الكتابة واللغة الشعبية عند العرب القدماء" والذي أثار نقاشاً حاداً في ألمانيا فقد زعم أن القرآن الكريم قد ألف بلهجة قريش (أي اللهجة المحلية) وأنه قد عُدل وهُذب حسب أصول اللغة الفصحى في عصر ازدهار الحضارة العربية([128]). وهذا الكلام يدل على التعمد في الإساءة إلى القرآن الكريم من جانب وجهل بالحضارة العربية من جانب آخر، فلهجة قريش كانت عربية فصحى والحضارة العربية التي ازدهرت فيما بعد كانت تعتمد لهجة قريش في تصحيح الأخطاء اللغوية.

2. ويقول (بروكلمان) في كلامه عن الوحي بأن الرسول (ص) قد "أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من الله" وكان الأحرى بشخصية كبروكلمان أن يذكر هذا الخبر بتجرد وليس بسخرية توحي بالمناوأة. ثم يعود ليشكك بسنة مولد رسول الله (ص) فيقول لسنا نعلم علم اليقين السنة التي ولد فيها النبي. والمشهور أن ولادته كانت حوالي سنة 570 م، لكن الذي لاشك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء"([129]) علماً بأن المؤرخين المسلمين جميعهم لديهم خبر مولده. وبروكلمان كمستشرق له سمعته العلمية كان عليه أن يذكر السنة التي يعتقدها ملائمة مع ذكر أسباب اعتقاده لا أن يترك الأمر للتشكيك الذي يوحي بأغراض مقصودة أخرى.

3. وفي العقيدة والقرآن الكريم يقول أجناس كولدتسيهر : ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات" ولم يصلنا من المعارف الدينية أكثر أهمية وخطراً إلا آثاراً عامة نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحياناً تعليمات متناقضة"([130]) ويقول كولدتسيهر أيضاً "كان وحي النبي حتى في حياته معرضاً لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص. وكان عدم الاستقرار والطابع المتناقض البادي في تعاليمه موقع ملاحظات ساخرة"([131]). وكان كولد تسهير يصف كل التفاسير والكتابات الأولى لابن عباس وغيره بأنها ذات مسحة يهودية([132]).

4. ويقول مستشرق ألماني آخر شهير هو "فلها وزن": "يبرز في القرآن شأن القدرة الإلهية تارة وشأن العدل الإلهي تارة أخرى وذلك بحسب ما كان يحس به (محمد) دون مراعاة للتوازن بين الطرفين ولا شعر (محمد) بما في ذلك عن تناقض لأنه لم يكن فيلسوفاً واضعاً لمذهب نظري في العقائد"([133]).

5. أما في مجال الطائفية فإنه "لم يغفل دراسة مذاهب السنة والشيعة والفرق الإسلامية. ففي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت ترجمة ألمانية لكتاب الملل والنحل للشهر ستاني. أما اليزيدية والباطنية ومذاهبهم وأفكارهم فكانت موضوع دراسات طويلة للأستاذ شتروتمان. وبحث في فرق (النصيرية) وهي من الفرق العلوية في الشام وشمال لبنان. وكتب فلهاوزن عن المعارضة الدينية السياسية للحكم في فجر تاريخ الإسلام([134]).

ولربما كانت بعض أعمال المستشرقين الألمان تكشف عن أهدافهم، ففيما سبق ألف أبو زيد وليمة بن موسى بن الفرات المتوفى سنة 237 للهجرة. وهو فارسي الأصل كتاباً اسمه "الردة" وقد ضاع هذا الكتاب وبقيت منه قطع قصار ذكرها ابن حجر في كتابه "الإصابة" وجاء المستشرق الألماني (د. فلهلم هونزباخ) من جامعة بون، فاستل هذه القطع من كتاب الإصابة وفصلها وضبطها وشرحها وأقامها كتاباً تحت اسم (كتاب الردة) الضائع وتشتمل هذه القطع على تراجم الأشخاص الذين ارتدوا عن الإسلام. رتبها المحقق على القبائل. وهكذا سلخ هذه القصاصات

ووضع لها مقدمة، وما مضى في تحقيق النصوص سبع سنوات كاملة، فأي هدف للاستشراق في هذا العمل"([135])؟

هذا من الجانب المباشر فيما حصل من إساءات إلى التراث العربي أما إذا نظرنا في كيفية خدمة الاستشراق الألماني لأغراض الاستعمار، فقد قام المستشرق (مارتين هارتمان) بتنبيه الأذهان إلى أهمية دراسة العالم العربي الحديث، فأسس الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية عام 1912 م. وقد سبقت هذه الجمعية، جمعية المستشرقين الألمانية التي تأسست عام 1845 م ولا تزال هذه الجمعية إلى اليوم تواصل نشاطاتها بالقيام بالدراسات الشرقية في ألمانيا وعقد المؤتمرات وإصدار النشرات وتنبيه الرأي العام الألماني إلى أهمية الدراسات الشرقية والدعوة إلى رعايتها. وكان في برلين معهد للدراسات الشرقية قبل الحرب العالمية الثانية وأعيد فتحة في بون عام 1959م ووظيفته تعليم اللغات الشرقية الحية ولهجاتها وتدريس الحضارة الإسلامية وتاريخ الشعوب الإسلامية والشعب العربي وخاصة ما اتصل منها بالتاريخ الحديث والأوضاع الراهنة في الوطن العربي([136]).

وقد تكون لما ذكرنا جوانب إيجابية في خدمة التراث العربي وهذا ما تحاول الدوائر العلمية العربية استغلاله والتعاون معه في الوقت الحاضر.

إلا أن الوجه الثاني من ذلك النشاط أثر فعال في مساعدة الدوائر ذات المصلحة المباشرة في الوطن العربي، فقد تم عام 1961 م فتح (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت من قبل جمعية المستشرقين الألمانية أفسح فيه المجال للمستشرقين الألمان الشبان أن يتعرفوا إلى البلدان العربية عن كثب وذلك بمكوثهم فيها والقيام بأبحاث علمية خاصة واستكمال تلقن اللغة العربية – الفصحى والمحلية – في ديار أهلها([137]) أليس في مثل هذا العمل وجهان؟.

لقد كان للرحلات الألمانية إلى الموطن العربي – فيما سبق – دور كبير في التعرف إلى الشعب العربي والمداخل التي يمكن الاستفادة منها من قبل للغرب، ومن أشهر الألمان الذين رحلوا إلى الجزيرة (نيبور) الذي كتب ثلاثة مجلدات روي فيها مغامراته ونتائج رحلته بعد أن أعاد إلى أوروبا عام 1767 م. كما قام (فيتشتاين)، أحد تلامذة المستشرق (فلايشر) بعد أن عين قنصلاً لروسيا في دمشق عام 1848 م عدة رحلات في سوريا وجمع خلالها كثيراً من المعلومات والنقوش بلغات مختلفة. وكان أول الباحثين في لهجات المناطق التي زارها، ولا مراء في أن أهم البحوث في حياة بدو العراق والشام وشمال الحجاز وسيناء وفلسطين والأردن، هي تلك التي أعدها (اوبنهايم) وصدر منها حتى اليوم ثلاثة مجلدات. وفي هذا المؤلف جمع فون اوبنهايم خلاصة تجاربه وعلمه بعد أن قضى مدة طويلة في هذه المناطق([138]). ولقد قام (هلموت ريتر) بزيارة المناطق العربية وبعدها استقر مدة ثلاثين عاماً في اسطنبول ليعمل على دراسة المخطوطات العربية فيها، وأشرف على إصدار سلسلة من تلك المخطوطات بينها كتاب فرق الشيعة للنوبختي. ولا يزال المستشرقون إلى اليوم في طواف بين مصر ولبنان والأردن وشمالي أفريقيا يقومون بدراسات لغوية وآثارية ويقضون الأعوام في كتابة المستجدات في الوطن العربي.

وصورة أخرى لتغلغل الألمان في الوطن العربي، وهو ذلك الاتفاق الذي عقد بين مصر والدول الأوروبية عام 1870 م، بأن يكون مدير المكتبة الخديوية بالقاهرة عالماً ألمانيا. وكان أول مدير لها هو المستشرق (شتيرن) الذي خلفه أربعة مدراء آخرين لكن آخرهم المستشرق (شادة) قبل

بداية الحرب العالمية الأولى. وعندما تأسست الجامعة المصرية على يد (الأمير أحمد فؤاد) عين المستشرق (ليتمان) أستاذاً للغة العربي فيها وعميداً لكلية الآداب (1910 – 1912) وجاء بعده للتدريس مشاهير المستشرقين الألمان (برجستريز وشادة وشافت وغيرهم)([139]).

إن هناك بعض التركيز – في الوقت الحاضر – من الدوائر العليا على تنمية بعض الدراسات الاستشراقية وخاصة على الجوانب السياسية والاقتصادية والعلمية. لذلك تقوم دائرة التبادل الثقافي الألمانية في بون بتخصيص منح الطلاب من هذه البلدان للدراسة في ألمانيا والعودة مزودين بالأداة الثقافية الألمانية إلى بلدانهم. كما أن هذه الدائرة تمنح العديد من المنح الدراسية للشباب الألمان من المستشرقين للعمل في معهد الأبحاث الألماني في بيروت لمدة سنتين كما تهيء لهم فرصاً للسفر إلى أي بلد عربي لإجراء بحوث استشراقية لمدد مختلفة. كما تنسق مع بعض الجامعات العربية على تبادل الأساتذة فيذهب المستشرقون الألمان للاستيطان المؤقت في البلدان العربية وإجراء البحوث المعاصرة.

إن الدراسات الألمانية المميزة التي بدأت تبرز في الآونة الأخيرة يمكن تلخيصها بما يأتي:

1. في الجانب الاجتماعي، بدأت في التركيز على الدراسات الدينية المعاصرة، كالتعايش الديني في لبنان، والعلوية في سوريا وغيرها.

2. في الدراسات السياسية، كدراسات مشاكل الشرق الأوسط، والمشكلة الفلسطينية والحرب الأهلية في لبنان. كما وأن هناك دراسات أكاديمية أخرى للمشاكل النفطية والاقتصادية وغير ذلك.

إن في ألمانيا اثنتين وخمسين جامعة ولمعظمها أقسام شرقية يرأسها مستشرق معروف. يعاونه شباب عرب وألمان لهم اهتمامات استشراقية مختلفة إلى جانب بعض المعيدين الذين يدرسون اللهجات العربية المحلية.

وتختص كل جامعة من الجامعات باختصاص استشراقي معين. فتختص جامعة فرانكفورات مثلاً بالتراجم والتاريخ العلمي للعرب. أما جامعة توبنكن فتختص بالفقه المقارن والطوائف الدينية والدراسات الأفريقية. وتقوم جامعة كيزن بتدريس الشعر العربي. أما المجتمع العربي المعاصر فيمكن دراسته في جامعة برلين الحرة. وتقوم جامعة ساربركن بتدريس الفلسفة الإسلامية. وهكذا.

ثانياً: ويتميز دور الألمان في المجال الاستشراقي بجدية البحوث وجدية التحقيقات إلى جانب ما ذكرنا عنهم وبذلك يكون قد قدم خدمات تراثية جليلة للأمة العربية والعالم سواء في بحوث لغوية أو نحوية أو عقائدية.

وعلى الرغم من أن اهتمام الألمان بالمخطوطات العربية قد زاد بعد الحرب العالمية الثانية. إلا أنه يمكن القول بأن ظاهرة الاهتمام بهذه المخطوطات يمكن عدها ظاهرة ألمانية فريدة.

وكان (كريستمان) المتوفى سنة 1613م، أول مستشرق ألماني قد اهتم بتدريس العربية. ووضع فهرساً مختصراً لمجموعة من المخطوطات التي اقتناها أحد النبلاء الألمان. وفي عام 1985 م عين كريستمان أستاذاً بجامعة هايدلبرك فاقترح إنشاء كرسي للدراسات العربية لبحث الفلسفة والطب من مصادرهما العربية. وكان (رايسكه) أول مستشرق ألماني يوقف حياته لدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية. وقد قضى مدة في مدينة (لايدن) بهولندا للوقوف على كنوز مخطوطاتها. وعندما عاد إلى ألمانيا كتب بحثاً عاماً في التاريخ الإسلامي عدّ فيه التاريخ الإسلامي

جزءاً من التاريخ العالمي. وكان لا يدخر جهداً في مطالبة الأوروبيين بالعناية بالاستشراق عنايتهم بالتاريخ اليوناني والروماني. علماً بأن أوروبا كانت لا تعد أحداث التاريخ العربي والإسلامي جزءاً من التاريخ العالمي([140]). وهذا ما يعكس التعصب الكنيسي الأوروبي على العرب والمسلمين على عكس ما فكر به قدماء المؤرخين العرب. فابن إسحاق والطبري وغيرهما من مؤرخي العرب الأوائل قد ربطوا تاريخ العالم بالتاريخ العربي والإسلامي وجعلوا التاريخ العالمي وحدة مترابطة سبقوا الأوروبيين بها منذ أكثر من ألف عام.

وقد أخذت الدراسات العربية تحظى في القرن التاسع عشر برعاية الجامعات الألمانية فبلغ الاستشراق الألماني فيه ذروته على يد المستشرق (فلايشر) وتتلخص خدمات المستشرقين الألمان بجملة أمور عدة هي:-

1- نشر النصوص القديمة: فمنذ أن مات (رايسكه) عام 1774 م وإلى اليوم الحاضر لا تزال تظهر لنا تحقيقات في النصوص الشعرية والأدبية والتاريخية والجغرافية والفلسفية والعلمية والمعاجم والدراسات القرآنية والطبية. والتي تعجز بعض المؤسسات الأكاديمية العربية عن إخراجها. وهي تعكس الرأي والنشاط اللذين يتمثل يهما بعض المستشرقين الألمان والحماس الذي اندفعوا ولا يزالون يندفعون به والتشجيع الذي لا قوه سواء من الدوائر الألمانية أم العربية العلمية([141]).

2- نشر فهرسة المخطوطات العربية. فقد ذكرنا كريستمان (ت 1613م) الذي وضع أول فهرسة لمخطوطات كان يقتنيها نبيل ألماني، ولا يزال فهرس آلورد (في عشرة مجلدات) مرجعاً لا يستغني عنه أي باحث لعشرة آلاف مخطوط في ألمانيا وحدها. ووضع (فايسفالر) و(زيبولد) فهرسين لمخطوطات جامعة توبنكن. ووضع (اومير) فهرساً لمخطوطات مكتبة جامعة ميونخ ووضع فلايشر (1888م) فهرساً للمخطوطات الشرقية في مكتبة درسدن الوطنية. ووضع (هانزفير) صاحب القاموس العربي الألماني الشهير فهرساً للمخطوطات التي تمتلكها مكتبة المستشرقين الألمان. ووضع (بروكلمان) فهرساً للمخطوطات العربية في مكتبة الدولة في برسلو. ووضع (برنباخ) فهرساً للمخطوطات العربية في جامعة هايدلبرج. ووضع (رودولف زلهايم) فهرساً للمخطوطات العربية غير المفهرسة في ألمانيا. ووضع (اولمن) فهرساً لمخطوطات الكيمياء العربية في مكتبة شستريتي بدبلن. كما وضع (هلموت ريتر) فهرساً للمخطوطات العربية في مكتبة اسطنبول ولكن لم يطبع بعد([142]).

ويعد كتاب بروكلمان عن (تاريخ الآداب العربية) مرشداً إلى المخطوطات العربية في العالم. وكان هذا الموضوع ناقصاً إلى حد ما وفيه أخطاء كثيرة تمكن أستاذ تركي هو (فؤاد سزكين) من تصحيحها وتغطية نقصها في كتابه (تاريخ المخطوطات العربية) باللغة الألمانية والذي أصبح اليوم المرجع الرئيس في هذا الباب.

3- ونشر (المعاجم العربية) والاهتمام بها يعد من الأعمال الجليلة للمستشرقين الألمان فوضع (يوليوس) المتوفى سنة 1667 للميلاد أول معجم عربي – لاتيني. ثم وضع (فرايتاج) المتوفى سنة 1861 معجماً حل محله وزاد عليه فيشر ملاحظات نشر مجمع اللغة العربية في القاهرة منها كراساً واحداً. ووضع (هانزفير) معجماً للعربية والألمانية ترجم بعدها إلى الانجليزية. وأعقبه

(شريجلة) بنشر معجم ألماني – عربي لا يمكن الاستغناء عنه في البحوث في الوقت الحاضر. هذا فضلاً عن كثير من البحوث المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية.

وإذ كان هذا ديدن المستشرقين الألمان فيجب أن نذكر بأن كثيراً غيرهم كانت لهم مناقب علنية. ومن أجل ذلك فقد تبدلت النظرة العلمية والرسمية إلى المستشرقين والاستشراق في الفترة المعاصرة، إذ بدأت الأيدي تمتد نحوهم في دعوات للمشاركة في إقامة احتفالات معينة أو تكليف بإحدى البحوث أو المشاركة في إبداء الآراء العلمية متوخين من بعض المستشرقين أن يكونوا مرآة عاكسة للقضايا العربية وتراثهم.

لذلك موَّلت السعودية والكويت والمغرب مشروعاً لتأسيس معهد للدراسات العربية في جامعة فرانكفورت بألمانيا الاتحادية عام 1981م.

ويتم تعاون كبير بين دوائر النشر الألمانية الاستشراقية وخاصة في مدينة (فيزبادن) ودوائر النشر العربية في بيروت. وقد صدر عنهما العديد من الدراسات الاستشراقية المشتركة. ولابد أن نذكر بأن خلف كل مستشرق كبير باحث عربي أو أكثر يعملون له في الظل، وهذه حقيقة لا يعرفها إلاّ الذي يعرف المستشرقين عن كثب، لأنه – مهما بلغت المعرفة اللغوية للمستشرق – لابد وأن يكون بحاجة إلى من يراجع له دراساته أو يساعده على تهيئة كثير من أموره في أثناء بحثه، والذي يتصفح الكتب التي نشرها المستشرقون سيجد كثيراً منها يلهج بالشكر لبعض العرب على مساعدتهم العلمية.

سادساً- إيطاليا

وترقى فيها الدراسات الاستشراقية إلى عصر النهضة الإيطالية في القرن السادس عشر، ويمكن القول بأن لتلك الدراسات جذوراً تمتد إلى العصور الوسطى، وكانت مراميها آنذاك دينية بحتة إلا أن تلك الدراسات لم تتطور حتى القرن التاسع عشر، فقد بلغت أوج عظمتها في منتصفه. فتأسست عام 1871 (الجمعية الإيطالية للدراسات الشرقية) التي قامت بإصدار (المجلة الشرقية) منذ ذلك الحين، وكما ذكرنا بأن الاستشراق الإيطالي كان يعني في بدايته بالأمور الدينية إلا أنه تحول في الآونة الأخيرة فصارت له أهداف سياسية واقتصادية وثقافية، فإيطاليا قامت بغزو ليبيا عام 1912 وكان لها أهداف استعمارية توسعية لذا فقد أصبح الاستشراق فيها يهتم بأساليب الحياة في البلدان العربية فضلاً عن الدراسات الاقتصادية والتجارية والصناعية في الوطن العربي ويمكن أن نشير إلى (مجلة المشرق) التي تعني عناية فائقة بهذه الأبحاث([143]).

وكانت حركات التحرر العربي بعد الحرب العالمية الأولى سبباً في إنشاء (معهد الشرق بروما) إذ بدأ اهتمام الباحثين بالأمة العربية بعد تلك الحرب، فتناولوا الأمور السياسية والحركات الاجتماعية والثقافية والمسائل الاقتصادية، وقد أصدر مجلة اسمها (اويدت موديرنو) أو (الشرق الحديث) تنشر شهرياً أنباء كل بلد من البلدان العربية والشرقية كل واحد على حدة. كما أن هناك مجلات استشراقية أخرى كمجلة (انالي) أو (الحوليات) التي تصدر في مدينة نابولي.

وهناك اثنتا عشرة جامعة تهتم بالدراسات العربية الإسلامية في إيطاليا. كما أن هناك مركزاً لدراسة (اللهجات) في جامعة روما يركز بصورة خاصة على اللهجة المصرية([144]).

سابعاً- أسبانيا

ذلك البلد الذي يرتبط مع الأمة العربية بتاريخ عريق، فقد حكم العرب هذه البلاد لسبعة قرون، فكان لابد أن يتركوا فيها كنوزاً من الكتب والمخطوطات، خاصة وأن الأندلس كانت مركز الإشعاع الفكري الغربي للأمة العربية. وتمتلك كل جامعة من جامعات أسبانيا اليوم رفوفاً لا تحصى من الكتب والمخطوطات. ومكتبة الاسكوريال هي واحدة من أعظم المكتبات فيها لما تحويه من نفائس الكتب والمخطوطات التي يعود تاريخها إلى زمن عميق.

فتاريخ العرب في الأندلس جعل المستشرقين الأسبان ينشطون في دراسة تاريخ الأندلس والوقوف على أثر ذلك في حضارتهم ومدى تأثرهم بالحضارة العربية أو تأثيرهم فيها([145]).

يعود تأسيس المدارس العربية في أسبانيا إلى عام 1254م. بأمر من الملك (الفونصو العاشر) الذي اهتم بنشر الحضارة العربية في أسبانيا. وظهرت الجامعات فيها في هذا القرن أيضاً. فكان بها أساتذة عرب. إلا أن حركة الاستشراق بالمعنى المقصود لم تتبلور إلا في القرن التاسع عشر فقد بلغت هذه الحركة أوجها على يد المستشرق ميكال آسين بلاسيوس (1871 – 1944) ([146]). وهو مؤسس مجلة (الأندلس) الاستشراقية الشهيرة. وتستعين الحكومة الأسبانية ببعض المستشرقين للعمل في الحقل الدبلوماسي. ونذكر على سبيل المثال (ميليو غرسيا غوميس) الذي كان سفيراً لبلاده في كل من بغداد وبيروت. ويحتل مستشرقون آخرون مناصب علمية كبيرة في البلاد منهم (بيدور مارتينيت مونتابت) رئيس جامعة مدريد، الذي يختص بالأدب العربي الحديث. وتعني جامعات أسبانيا جميعها تقريباً بالدراسات العربية والإسلامية، منها جامعة مدريد المستقلة وجامعة مدريد المركزية وجامعة برشلونة وجامعة غرناطة وجامعة سرقسطة وجامعة اشبيلية. كذلك تهتم بعض المعاهد الأسبانية بالدراسات العربية، كالمعهد الأسباني العربي للثقافة، ومعهد الدراسات الإسلامية في مدريد.

وتصدر مجلات استشراقية عديدة كما ذكرنا، منها (الأندلس) وكذلك (مجلة المنار) تعني بالمواضيع العربية المعاصرة. و(مجلة الإسلام) التي تصدرها الجمعية الإسلامية في أسبانيا و(مجلة جمعية المستشرقين الأسبان). وهي مجلة سنوية بدأت بالظهور سنة 1965م أما المكتبات التي تحوي خزائن فريدة من المخطوطات العربية والإسلامية فليس هناك أشهر من مكتبة الاسكوريال – كما ذكرنا – وكذلك (المكتبة الوطنية في مدريد) وغيرهما.

الاستشراق الأمريكي

كان دور الاستشراق فيها مختلفاً، فقد خلفت لها كل من هولندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا ما كانت تحتاج إليه في التعرف الجغرافي والتاريخي والطائفي والديني للأمة العربية. لذلك فقد أخذ الاستشراق فيها دوراً مختلفاً حيث ركزت الدراسات الاستشراقية في أمريكا ومنذ بدايتها على الدراسات المعاصرة، السياسية والاقتصادية والبيئية...الخ.

وقد تأسست في سنة 1927م (مجلة الشرق الأوسط)، فتناولت تلك الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط. ونظمت جمعية الاستشراق الأمريكي ندوة خاصة عن الإسلام، كان من نتائجها أن وجد المستشرقون الأمريكان أنفسهم أمام حاجة كبيرة لدراسات مركزة عن التاريخ الإسلامي الحديث بدلاً من الوسيط، فكتب آدمز عن اتجاه التفكير في مصر، والدين المقارن في جامعة الأزهر([147]).

ويشير (بيتر جران) إلى أن تزايد أهمية منطقة الشرق الأوسط لأمريكا من جهة وقلة الاهتمام بالتاريخ العربي من جهة ثانية أديا إلى زيادة الطلب على المؤهلين في الدراسات الشرقية للقيام "بخدمات مهمة في الحرب، وأن الجيش كان يقوم بتكليف هؤلاء العلماء بمن فيهم أولئك الذين تخصصوا في العصور الوسطى".

ويشير (بيتر جران) نفسه إلى أن "صانعي الأحداث السياسية الأمريكية لم يكونوا يتوقعون حدوث الثورات التي وقعت في المنطقة العربية فصارت الدعوة ضرورية لاستحداث نوع جديد من الاستشراق يركز على التاريخ الحديث والمعاصر للأمة العربية لا كما هو الحال في الاستشراق التقليدي الذي يركز على التاريخ العربي الوسيط"([148]).

وبقدر ما كانت أمريكا تستفيد من المستشرقين في أغراضها الاستعمارية ولا تزال فإن الكنيسة الأمريكية كانت لها مصلحة تبشيرية تخدم الاستعمار الأمريكي من خلالها أيضاً، "..فقد كان (ادوين كالفرلي) عضواً في البعثة العربية التي نظمتها الكنيسة في أمريكا فكتب عن القرآن الكريم والرسول (ص) وعن العبادة في الإسلام([149]).

وأقيمت في أمريكا ندوات مستمرة عن الإسلام منذ خمسينات القرن السابق وآخرها ندوة عقدت خلال شهر حزيران من سنة 1979م. كما عقدت قبلها ندوة في كاليفورنيا عام 1978م عن مجتمع البحر المتوسط، وعقدت ندوة أخرى في أواخر الستينات من القرن الماضي عن مدن الشرق الأوسط، وكانت أغلب البحوث فيها تدور عن المدينة العربية الحديثة. فضلاً عن أن دراسات التاريخ العربي الحديث والمعاصر أخذت اهتماماً واسعاً من قبل الجامعات الأمريكية في كاليفورنيا وشيكاغو وواشنطن ونيويورك ونيوجرسي وقد تأسس في جامعة جورج تاون([150]) مثلاً مركز للدراسات العربية والإسلامية المعاصرة يتناول القضايا التراثية الإسلامية خلال العصور الوسيطة والحديثة. وفي واشنطن يوجد معهد لدراسات الشرق الأوسط وكذلك معهداً آخر في نيوجرسي يضم عدداً من المتخصصين بشؤون الشرق الأوسط. وهناك معهد آخر في كاليفورنيا للدراسات السياسية المختلفة تابع لوزارة الخارجية الأمريكية يتخرج فيه بعض الطلبة

المتخصصين باللغة العربية واللهجات المحلية والسياسية العربية ممن يعينون في وزارة الدفاع أو الخارجية أو في المخابرات الأمريكية.

وافتتح في عام 1980م معهد للدراسات العربية والإسلامية في لوس انجلس في الولايات المتحدة. وتتناول معظم الأبحاث الأمريكية عن الإسلام التأثيرات اليونانية الهيلينية على الحضارة العربية أو أصول الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية أو عن الإسلام في أفريقيا أو الإسلام في الصحراء أو عن المسلمين السود أو غير ذلك. أما الأبحاث الأخرى فكما ذكرنا، تنحصر في دراسة الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في المجتمع العربي([151]). وقد ذكر ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق مقتطفاً من تقرير وضع سنة 1950م يهدف إلى تحديد السياسة الأمريكية. جاء فيه "أن الجهات المسؤولة قد طالبت بصورة صريحة بعد جمع وتوثيق جميع المنشورات الصادرة بجميع لغات الشرق الأوسط المهمة ابتداءاً من سنة 1900م تدبيراً ليس فقط على المستوى الثقافي بل كضرورة يعترف الكونغرس بأنها تمس الأمن القومي وهكذا يمكن أن نرى الدور الذي يضطلع به الاستشراق الأمريكي في حفظ مصالح أمريكا وأمنها القومي([152]) في الوطن العربي فضلاً عن ما ينقله من الثقافة الأمريكية مع وسائل الإعلام المختلفة إلى العقلية العربية والتي يروجها كثير من المتأثرين بآراء المستشرقين الأمريكيين.

الاستشراق الروسي

كان للرحلات الروسية إلى الشرق الأوسط باعثها لولادة الاستشراق الروسي حيث هيأت الأرضية اللازمة له والمتمثلة بـ:

1. حيازة المراكز العلمية الروسية لكمية هائلة من المخطوطات العربية والإسلامية والتي يرتكز عليها علم الاستشراق.

2. المعلومات الأساسية عن المدن العربية والإسلامية.

3. دخول ما يقرب من الخمسين مليون نسمة من سكان آسيا الوسطى المسلمين ضمن الأراضي الروسية والذين لابد من تهيئة الأجواء للتعرف إلى عقيدتهم وخصوصاً العقيدة المتمثلة بلغة القرآن الكريم.

وكان لدخول روسيا في المسيحية واتخاذها الديانة الشرقية الأرثوذكسية هوية لها أثرها في سيطرة الفكر المسيحي على البلاد، ومن ثم المضايقة التي بدأت الكنيسة تبديها تجاه الإسلام والمسلمين، خصوصاً وأن الإسلام بدأ يقترب من حدود موسكو، مما جعل نتاج الفكر الإسلامي يشل في هذه المناطق ولم تظهر على ساحة البحوث الروسية الكثير من الاهتمامات العقائدية في الدراسات الاستشراقية، ثم جاء الاتحاد السوفييتي الذي كانت أيديولوجيته حرباً على الفكر الديني، لذلك فإن (الفكر الديني) يعتبر ساقطاً أساساً من سياقات العمل الاستشراقي الروسي في كلا العصرين.

ولابد من التذكير بأن دراسة الاستشراق في روسيا، يمر عبر مرحلتين أساسيتين لا يمكن اعتبارها مرحلة واحدة، لأن روسيا القيصرية لها أيديولوجية دينية بينما الاتحاد السوفييتي الذي ضم دولاً أخرى، قد اتخذ اللادينية أيديولوجية له. ولذلك فإن الاستشراق الروسي يدرس في هاتين المرحلتين:

المرحلة الأولى: المرحلة الروسية القيصرية، والتي تعتمد على نشاطات الرحالة فيها ثم دخول روسيا في عصر الحضارة الأوروبية وتأثرها بكل الدراسات الأوروبية ومنها الاستشراق هذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أسباب ظهور الاستشراق فيها.

أما المرحلة الثانية: المرحلة السوفييتية، فهي المرحلة التي جاء فيها الشيوعيون بالفكر الماركسي ليلغي الإقطاع والرأسمالية ويوقف تأثير الكنيسة على سياقات العمل الوظيفي وغيره في الدولة الروسية وبقية الأراضي الملحقة بالاتحاد السوفييتي.

فيكون للدراسات الاستشراقية خاصية أخرى تختلف فيها عن دراسات الأوروبيين المتطورة والشاملة. سنأتي على ذكرها بصورة مفصلة.

الاستشراق في روسيا القيصرية

تذكر جميع المصادر التاريخية إلى أن الخطوات الأولى للاستشراق في روسيا قد بدأت في الربع الأول من القرن الثامن عشر([153]). حيث قد أخذ يظهر بصورة واضحة عن طريق تأسيس أكاديمية العلوم في بطرسبرغ في سنة 1724م. وقد أصدرت الأكاديمية المذكورة جريدة "كشوف سانت بطرسبرغ" سنة 1727 باللغتين الروسية والألمانية حيث خصصت صفحات بارزة فيها لمعالجة شؤون البلدان الشرقية.

وكانت شؤون الدولة العثمانية الخارجية والداخلية هي أهم شؤون هذه الصحيفة ثم بدأت الجريدة بإصدار ملحق لها أسمته "الملاحظات" سنة 1742 تخصص في البحوث التاريخية والجغرافية الشرقية. ثم بدأت شهرة بعض علماء الشرقيات في أكاديمية العلوم وخاصة في الربع الثاني من القرن الثامن عشر أمثال (بايير وكير)([154]).

وكتب كير مشروعاً ضخماً لتأسيس أكاديمية العلوم واللغات الشرقية في الإمبراطورية الروسية وذكر بأن العلاقات بين أي دولة وبين تركيا والقرم وغيرها تستدعي تعلم اللغات الشرقية. وطالب أن يتعلم الموظفون الروس الكثير عن البلدان الشرقية الإسلامية وأن يزودوا بمعلومات عن قوانين تلك البلدان وأنظمتها وعاداتها وتقاليدها وطالب بدراسة جميع الوثائق التي تركها الرحالة عن التتار والأتراك والفرس والعرب وذلك لمصلحة الدولة، غير أن مشروعه لم يتحقق.

وقد اعتبر كراتشكوفسكي مشروع كير هذا بأنه تركيب نظري وتطبيقي في الأعمال الاستشراقية التي أصبحت تتحقق منهجياً وبشكل منتظم بعد قرنين من الزمان تقريباً.

وفي سنة 1823 فتح قسم خاص لتعليم اللغة العربية في وزارة الخارجية الروسية وبدأت المخطوطات العربية تتسرب إلى المتحف الآسيوي بموسكو فأصبحت فيه مجموعة ضخمة منها. وفتح قسم للغة العربية في جامعة بطرسبرغ ثم تطور عام 1855 ليصبح كلية للغات الشرقية وكانت الدروس الاستشراقية تتضمن القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وأمثال لقمان ومقامات الحريري. هذا من جانب ومن جانب آخر فقد نشط الاستشراق السوفييتي حتى على العمل الدبلوماسي (ولعله تأثر بالاستشراق الفرنسي) فقد عين (نيكيتين) دبلوماسياً في الشرق الأوسط وعين جريكوف وايفانوف أعضاء في لجنة تخطيط الحدود ورأس كالفالنسكي مهندس مناجم إضافة إلى كونه مهتماً بالدراسات الاستشراقية فعثر على مناجم للذهب في السودان وكشف عن بعض منابع للنيل وصنف كتاباً في ذلك عن مصر والسودان وزار الطبيب فالوفتش الشرق العربي لدراسة الأمراض الوبائية وبحث الوسائل الوقائية ونشر سلسلة مقامات عن مصر وسوريا ولبنان وحياتهم الاجتماعية. وعني كرستينما نوفستي الموسيقى عند العرب فصنف فيها رسالة زينها برسوم آلات الطرب العربية. وتخرج مازيلي من مدرسة العلوم العليا في معهد أدويسا بأوكرانيا وعين قنصلاً في سوريا ولبنان فصنف كتابه سوريا وفلسطين تحت الحكم التركي واشتغل نيكوفتش في قنصلية روسيا بسوريا ولبنان وفلسطين وألف كتاباً بعنوان (لبنان 1885) وأنشأت المدارس الروسية في سوريا ولبنان وفلسطين وداراً للمعلمين في بيت جالا.

لقد كانت روسيا تناضل على مدى قرون لتحقيق شخصية ثقافية لها، خاصة وأن تركيبتها الاجتماعية تركيبة شعوب وثنية عشائرية توحدت تحت وطأة ظروف كثيرة، كان حلم أمرائها الذين وحدوها أن تتوسع دولتهم على حساب الآخرين. إلا أن أيديولوجية معينة لم يكونوا قد كونوها بعد، بينما كانت الشعوب التي تحدهم من الجنوب قد خاضت غمار الحضارة الإسلامية وبرز بين أبنائها علماء مسلمون كان لهم أثر كبير في تطوير الثقافة العربية والإسلامية. وكانت الشعوب الإسلامية فيها قد استوعبت ثقافة الإسلام وتمثلتها. هذا من جانب. ومن الجانب الآخر، تحدهم من الغرب حضارة أوروبا الجديدة التي تربطهم بها روابط كثيرة. أهمها تشابه الحياة الاجتماعية والتفكير والعقلية. لذلك رأينا الأمير "فلاديمير" يختار المسيحية ليؤمن بها([155]) ويطلب من شعبه أن يؤمن بها. وبعد أن استقرت الكنيسة في أرض روسيا بدأت تحركات روسيا نحو الغرب واضحة أكثر من النظر نحو الشرق الإسلامي. لذلك فقد تأرجحت الآراء في تأثر روسيا الثقافي بالثقافتين فالشاعر الكازاخي المعروف (سليمانوف) يؤكد على الدور المميز الذي لعبته الآداب الآسيوية الشرقية على تكون الشخصية الثقافية الروسية رغم رفض أمرائها القدامى لنمط الحياة الشرقية([156]) بينما يرفض الناقد السوفييتي (ليخاتشوف) هذا الرأي ويرى أن الثقافة الآسيوية الشرقية لم تترك أي أثر ملحوظ على الثقافة الروسية حيث كانت أنظار روسيا تتجه نحو الغرب([157]).

ولكن رفض (ليخاتشوف) لا يؤبه له لأنه نوع من التعصب لاستقلالية الثقافة الروسية. لكن حقيقة اهتمام الكثير من الأدباء الروس وخاصة المستشرقين منهم بالمخطوطات العربية والتراث العربي يؤيد الرأي الأول بلا شك إضافة إلى أن لغة الطب والتجارة ولغة الحوار الروسي تؤكد على وجود العديد من الكلمات العربية في قاموس اللغة الروسية. مما يدل على اختلاط الحضارة العربية بالروسية، وانتشار القصص والروايات الروسية التي تتحدث عن مصر وفلسطين، كما بينتها مثلاً مجموعة (فيودرخين)([158]). وهي قصص قديمة بين (1370 – 1380) تؤكد قدم العلاقات بين الحضارتين هذا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الآراء المناهضة للإسلام والتي كان يطرحها البعض كما فعل (مكسيم غويك) (ت 1580م) الذي دعا روسيا لتحرير تركيا من الطغاة ووصف النظام الإسلامي نظاماً استبدادياً ضد المسيحيين. وصارت دعوته هذه أشعاراً يرفعها الروس في تلويحهم للحرب ضد المسلمين أو ضد تركيا([159]). وبعد أن استولت روسيا على آسيا الوسطى اتجهت أطماعها نحو البلقان والمناطق المحيطة بالدولة العثمانية رافعة شعار تحرير المسيحية وكان يرافق ذلك نشر صور مشوهة عن الإسلام والمسلمين وخرافات كثيرة عن شخص النبي محمد r إلا أن كتابات مناهضة لهذه الحملة كانت تتصدى لها أشهرها كتابات (بورلاي كريجانيتشر) الذي كان يدعو لتعايش الأديان، ووصف محمداً r بأنه وحدّ أمته بأفكاره وبناء دولة قوية([160]). وبحكم العلاقة الروحية بين روسيا وأوروبا فإنها ناصبت الشرق الإسلامي العداء ولكن بنسبة معينة بسبب التركيبة السكانية التي تتمتع بها إمبراطوريتها (حيث أن جنوب الإمبراطورية يعيش فيه خمسون مليون مسلم). وبدلاً من إصدار ونشر كتب مضادة للإسلام فإنها كانت تشجع انتشار الكتب المعادية الأوروبية في الأسواق الروسية([161]). وخاصة للمستشرقين الكنسيين واليهود المعادين والتي كانت تعطي في روسيا صورة منحازة للغرب ضد الشرق الإسلامي والتي ساعدت على تشويه النظرة الحقيقية حول العقلية العربية الإسلامية. وبالنسبة للدراسات الإسلامية فإن اعتماد روسيا كان على ترجمة كتابات المستشرقين الأوروبيين أكثر من الروس أنفسهم. وكان المستشرقون الروس يقصدون مواكبة المستشرقين الأوروبيين للحاق بهم.

لذلك فقد كانت ترجماتهم عشوائية لا تعتمد على برمجة معينة([162]). وكان أن ترجموا سلسلة إيطالية تحت عنوان "محمد منذ بداية رسالته وحتى النهاية. كانت قد نشرت عام (1684) وتحمل هذه السلسلة معلومات منصفة غير منحازة إلى حد ما([163]).

وحتى الأدبيات العربية الأخرى كالشعر والرواية وحتى العلوم، لم تؤخذ عن العربية مباشرة وإنما ترجمت عن اليونانية والألمانية. فتعرف الروس على الفارابي وعلى الغزالي وغيرهما([164])، ونشر المستشرق كانتيمر بحثاً أسماه "ظروف النشأة التاريخية لمحمد" وكان القصد منها تعريف القيصر الروسي بالإسلام وتركيا بالذات.

وفي عهد (بطرس الأول) رائد النهضة الروسية دخلت أول مطبعة عربية إلى موسكو([165]). فطبع فيها أول بيان روسي موجه إلى المناطق الواقعة تحت السلطة العثمانية في (13 تموز 1722م) وهذا دليل آخر على استغلال روسيا للاستشراق للأغراض الاستعمارية منذ نشأته.

وفي عهد بطرس الأول تتحد أهداف أربعة للاستشراق – كما يحصيها سهيل فرح هي:

1. تحضير كوادر علمية روسية اختصاصية في الشرق.
2. تأسيس مدارس ومعاهد لتعليم اللغات الشرقية والتعريف بحضارة الإسلام.
3. جمع المخطوطات والمسكوكات والآثار الشرقية.
4. ترجمة الأدبيات الأوروبية عن الشرق.

وكان الهدف الأخير دافعاً لبدء تحقيق المخطوطات الشرقية([166]).

وقد أرسلت أول بعثة إلى إيران لتعلم اللغات الشرقية في 1716م ثم أعقبتها بعوث أخرى. وأصدرت أكاديمية العلوم الروس عام 1716م ترجمة القرآن الكريم اعتمد مترجمه ببوتر بوستيكوف على ترجمة المستشرق الفرنسي ديوري المتوفى عام 1647. أي أن المترجم الروسي اعتمد الترجمة الفرنسية ومن يترجمه عن العربية([167]). وبدأ اليهود منذ تلك الفترة على التشويش على المستشرقين باعتماد اللغة العبرية في الترجمات وغيرها وكان القصد فيها إحياء الروايات التوراتية والتغطية على الحضارة الإسلامية([168]).

وقد أشرنا فيما سبق إلى (كير وباير) اللذين لعبا دوراً في عهد بطرس الأول إلى إدخال الكلمات العربية إلى الروسية وطمح (كير) بأن يكون جيلاً من المستعربين والمستشرقين الروس وشارك في تهيئة الكوادر الاستشراقية عن طريق إرسال البعثات إلى خارج روسيا وإلى الشرق الأوسط. "وقد أفل نجم الاستشراق قليلاً بعد وفاة (كير) إلا أن عودة البعثات الطلابية إلى روسيا في نهاية القرن الثامن عشر استغلتهم القيصرة كاترينا منذ عام 1772 بتعليم العربية في مدارس الدراسات الشرقية وقد أوعزت كاترينا بإعادة طبع القرآن الكريم وتوزيعه على مسلمي آسيا الوسطى التابعين لروسيا القيصرية تقرباً من شخصياتهم.

في سنة (1771) ترجمت (ألف ليلة وليلة) إلى الروسية ثم أعيدت طباعتها أربع مرات بعدها. وكان الاهتمام بها لأنها كانت مصدراً لنسج قصص روسية خيالية. وترجمت كتب النوادر العربية عن الفرنسية في عهد (كاترينا) التي أولت العربية كل اهتمامها.

فصدرت في عهدها قواميس روسية عربية وأهمها القاموس المقارن للغات واللهجات الأجنبية المقارنة([169]).

ولم تتبلور الدراسات الاستشراقية الروسية خلال القرن الثامن عشر لعدة أسباب منها:

1. عدم تدريس العربية بشكل منتظم في المدارس الشرقية.

2. قلة الكادر التدريسي وضعف المنهج العلمي الروسي في ميدان الدراسات الشرقية.

3. محاربة اللغة العربية من قبل بعض المسؤولين في أكاديمية العلوم الروسية على أساس أنها شاخت([170]).

وظهر في القرن التاسع عشر مستشرقون تركوا نتاجات ثرة منهم (رامل) الذي نشر كتابين عن "تأملات عن العرب" و"أبو الفداء" وفي قازان نشر المستشرق (فرين) طبعة جديدة من القرآن الكريم وطبع بعض الحكم العربية وغيرها.

وترجم (بلديريف عام 1858) قصص وحكم شرقية إلى المجلات الروسية وصدرت كتب عن جغرافية القرون الوسطى عام 1857.

واستمرت مدرسة الاستشراق الروسي تخطو خطوات نحو استقلاليتها عن طريق توفر المواد الاستشراقية والمخطوطات والقواميس الشرقية، وبدأت الترجمات الروسية عن العربية تظهر بصورة واضحة من بطرسبرغ ابتداءً من الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ورافق هذا التطور محاولات شعوبية لإنعاش الحروف القديمة (كالحميرية) لتحل محل العربية. ولكن المستشرق (فرين) تصدى لهذه المحاولات([171]) التي كان لابد أن يقف خلفها اليهود. وفي هذه الفترة أيضاً كانت محاولات غربية تتصدى للثقافة الإسلامية، كان يرأسها في فرنسا المستشرق (ماسينيون)، لقيت صدىً كبيراً في روسيا، وراح بعض المستشرقين الروس يردد القول بأن الثقافة الإسلامية جامدة لا تتطور لصرف أنظار المستشرقين عنها. لكن هذه الدعوة وجدت من يقف إلى جانب (فرين) لمعارضتها ودحضها([172]).

وفي سنة 1851 تأسس المتحف الآسيوي في موسكو والذي أودع في خزانته الكثير من المخطوطات العربية والتي صارت مركزاً علمياً للتحقيق والإصدارات. ويعود الفضل في تأسيسها إلى المستشرق (فرين) نفسه ساعده فيها المستشرق الروسي (ايطالينكسي)([173]).

وعلى كل حال فتقدم علم تحقيق المخطوطات يعود إلى (فرين) نفسه وإلى المستشرق الدبلوماسي الروسي (سنكوفسكي) الذي تميز بمعلوماته الموسوعية والمعرفية وبكلا الشخصين تطورت حركة الاستعراب الروسية([174]) ليئول الأمر بتدريس مادة الاستشراق إلى العسكريين، وكانوا يرسلون في بعثات إلى الشرق الأوسط. وكان أشهر العسكريين غامازوف (1812 – 1893) الذي مكث عشرين سنة في مصر جمع خلالها الكثير من المخطوطات والتحف الشرقية([175]).

وفي النصف الأخير من القرن التاسع عشر ظهرت مجلة (البشير الآسيوي) لتحتوي الكثير من المستشرقين وتنشر لهم آراءهم الاستشراقية([176]). لكنها لم تكن مجلة متخصصة بالاستشراق بصورة كلية.

وتأسست كلية للغات الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في بطرسبرغ فتمركز أو تمحور حولها الاستعراب والاستشراق الروسي.([177]) وكان يدرس فيها العديد من المستشرقين الروس أمثال موفالينسكي وكاظم بيك (المسلم من قازان).

وكانت هذه الفترة قد تميزت بظهور تيارين:

الأول: يدعو للتركيز على الدراسات الاستشراقية النظرية.

الثاني: يدعو إلى التركيز على القضايا العملية الراهنة آنذاك([178]). وترتبط هذه الدعوة بالاتجاه السياسي السائد آنذاك والذي كان يسير باتجاه تصفية ممتلكات الدعوة العثمانية. وكثرت المجلات التي تنشر للمستشرقين في هذه الفترة فإلى جانب (البشير الروسي) ظهرت مجلة (الموسكوفي) و(المعاصر) إلا أن مجلة استشراقية متخصصة كان الروس يفتقرون إليها([179]).

وأصبح لغويو هذه الفترة يتخصصون باللهجات المحلية للوطن العربية إلى جانب معرفتهم باللغة العربية الأم([180]).

وظهرت نزعة جديدة في روسيا، أن يترك المجال للمسلمين من آسيا الوسطى ممن يعرفون العربية أن يدرسوا بكليات اللغات الشرقية. وقد ذكرنا كاظم بيك الذي كانت سمعته كبيرة في الأوساط الاستشراقية إلا أن الغربيين لم يعترفوا به مستشرقاً لكونه مسلماً، وظهر في بطرسبرغ مكي أحمد بن حسين المكي (1858) الذي ألف كتاباً مدرسياً عن المحادثة الروسية. العربية، وعبد الله كلزي (1819 – 1912) والذي ألف كتاب منهج المحادثة الاجتماعية الروسية العربية وفيه بعض الأشعار والحكايات الشعبية العربية([181]).

ومنذ عام 1886م، العام الذي خصصت مجلة (زابيسكا) نفسها لتغطية أخبار المستشرقين بشكل دوري. بدأ الغربيون يتوجهون إلى روسيا لمعرفة أعمال المستشرقين الروس. وقد انغمس المستشرقون الروس في هذه الفترة بأعمال متفرقة جعلت الاستشراق الروسي يتطور عمودياً وأفقياً في دراسة التراث العربي والمخطوطات العربية ولقد كانت مدرسة بطرسبرغ الاستشراقية زعيمة الاستشراق الروسي بحق إلا أن الاستشراق كان يسري في كل اتجاهات روسيا وأصبحت أعمال المستشرقين الروس في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ترقى إلى مستوى من الرصانة والبحث العلمي الموضوعي الجاد: فظهرت مدرسة موسكو وقازان التي دخلتها المطبعة العربية منذ 1863م([182]) اللتان أغنتا الاستعراب الروسي وجعلت له أهمية خاصة.

وبدأت أقسام اللغة العربية تفتتح في كل جامعة ثم تأسست (الجمعية الشرقية) عام 1886 في موسكو لتكون مركزاً للاستشراق والمستشرقين([183]) ثم تأسست (الجمعية الشرقية) في معهد الأرشيف الموسكوفي كدليل على تقدم المسيرة الاستشراقية الروسية وكان قمة التطور الاستشراقي الروسي على الأدب الروسي تأثيره على أدباء العصر أمثال (تولستوي) الذي كان معجباً بألف ليلة وليلة ومضمون القرآن الكريم والذي ساعده عملاق الاستشراق في مطلع القرن العشرين كرايمسكي.

وينتهي القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين والاستشراق الروسي يثبت أقداماً لشخصية مستقلة خاصة به محارباً كل الاتجاهات المعادية التي كانت تسعى لشل حركته. وإن قاعدة هذه الحركة العلمية تنطلق من المعاهد الاستشراقية في كل مكان([184]).

الاستشراق في الاتحاد السوفييتي

لم تختلف الفترة السوفييتية كثيراً في المنهج، إذ استمر فيها تأسيس معاهد تدريس اللغة العربية وتهيئة الكوادر التي تتكلم العربية. وإن كانت الفترة الأولى لقيام الثورة لم تلتفت إلى هذا الموضوع بشيء من الجدية وذلك أنه أمر طبيعي في حالة التغيير، فالأمور الداخلية بالنسبة للثورة أولى من أن يلتفت فيها إلى المسائل الثانوية. ولكن الحاجة تفرض نفسها وذلك لكثير من الأمور منها:

1. أن الثورة الجديدة تحاول أن تمتد إلى كل العالم ومنه الوطن العربي والامتداد يحتاج إلى من يدرك هذا الشعب ولغته وتراثه وإدراك ذلك جزء من تحسين العلاقات بين الشعبين الروسي والعربي.

2. إن ذلك الهدف يحتاج إلى موظفين في العلاقات العامة وفي السفارات وفي وزارة الخارجية ممن يجيدون العربية لتسهيل إقامة تلك العلاقات.

3. مواكبة التطورات الحضارية العالمية، فمن غير المعقول أن تطور أوروبا المجاورة لروسيا لحركة الاستشراق بينما تبقى روسيا متأخرة عنها.

4. إن وجود الجمهوريات الإسلامية التي ضمت إلى الاتحاد السوفييتي يستدعي فهماً للعربية ولغة القرآن كما كان الحال في روسيا القيصرية.

أصبحت اللغة العربية في المعهد السوفييتي تدرس في المعاهد العليا المنشأة في الجمهوريات غير الروسية. وهذا يعني أن تغطية كاملة قد حصلت لتدريس العربية في كل الاتحاد، وكانت أعمال البحث في ميدان الاستعراب تجري من قبل أكاديمية العلوم والفرع الشرقي لجمعية الآثار. أما في العهد السوفييتي فيتولى هذه الأعمال عدد كبير من المؤسسات العلمية التي تدرس تاريخ شعوب الشرق واقتصادها وحضارتها([185]). والحقيقة أن ميدان الاستعراب قد شلَّ أيام الحكم السوفييتي الأولى والتي تسمى "فترات الصيرورة والتقصي".. وقد أغلقت اللغات الشرقية كما حدث في جامعة لينينغراد (بطرسبرغ) ثم قويت مواقع الاستعراب تدريجياً خاصة بعد ظهور كراتشكوفسكي (1883 – 1951) وإيفان كوزمين وسيمينوف وغيرهم. فاتسع تدريس اللغة العربية ابتداء منذ عام 1933([186]). وعند نشوب الحرب العالمية الثانية انقطعت هذه الدراسات لغاية 1944([187]). وقد أمر (لينين) قائد ثورة أكتوبر بفتح معهد استشراقي في جامعة موسكو منذ عام 1920([188]) وقد لعب هذا المعهد دوره في تهيئة كوادر استشراقية تدريسية لعبت دوراً استثنائياً في تاريخ الاستشراق([189]). وبعد الأربعينات اتسع العمل الاستشراقي ليشمل معهد تاريخ الفنون وأكاديمية تاريخ الحضارة المادية، ومتحف الأرميتاج ودار (الأدب العالمي) للطباعة والنشر ومعهد الاثنوغرافيا وغيرها([190]).

وتألفت عدة اتحادات للمستشرقين كالفرع الشرقي لجمعية الآثار التي أغلقت سنة 1920 وتأسست رابطة المستشرقين بديلاً عنها وألغيت عام 1930م. وأنشئت جمعية المستشرقين الروسيين في موسكو عام 1922م وإليها انتسب المستعربون وأصدرت مجلة "الشرق الجديد" وفي عام 1928م تأسست حلقة المستعربين اللينينغرادين بقيادة كراتشكوفسكي وأصدرت عام 1930

"مذكرات رابطة المستشرقين" وأنشئت سنة 1934 جمعية المستعربين في لينينغراد وعقدت اجتماعين عامين فقط.

وقد تميزت فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية بالاهتمام باللغة العربية وتدريسها وترجمة بعض الكتب المثيلة من اللغات الأوروبية إلى الروسية([191]). وتطور علم، اللهجات العربية فيما بعد الحرب([192]). وكان أكثر الباحثين تدقيقاً في هذا العلم، المستشرق ي.س.فيلتشيك (1902 – 1939) صاحب قاموس اللهجات السورية واللبنانية والفلسطينية. ومن الأحداث البارزة في تاريخ الاستعراب السوفييتي في العقدين الرابع والخامس، اكتشاف لغة العرب القانطين في آسيا الوسطى السوفيتية. حيث أن هناك أكثر من أربعين ألف عربي يقطنون هذه المنطقة ولهجات هذه المنطقة قريبة من اللهجة العراقية([193]) واكتشف في آسيا الوسطى عام 1935 أن هناك لهجة عربية بدوية. اكتشفها ونشر بحثها تسيريتلي.

واهتم المستشرقون السوفييت بالأدب العربي الحديث في هذه الفترة حيث يعتبر الغربيون أن للسوفيات فضل السبق في الاهتمام بهذا الموضوع([194]).

ومن المهم ذكر أن الاستشراق السوفييتي إلى جانب اهتماماته اللغوية، فإن له اهتماماته التاريخية والاجتماعية. فقد كتب بعض المستشرقين كتباً عن التاريخ الإسلامي والتصوف والتفسير والفلسفة الإسلامية وتاريخ البلدان وفي التاريخ المعاصر مثلاً عن تنظيمات الحركات النسوية أو النقابية وتأثيراتها والعلاقات بين البدو والحضر والعادات الشعبية العربية([195]). كما يبينه الجدول الملحق بالفصل الرابع.

وهنالك ظاهرة أخرى طرأت على الاستشراق السوفييتي بحكم طبيعته الأيديولوجية وهي اهتمامه بالاثنوغرافية للشعوب الشرقية. (والاثنوغرافيا هي علم وصف الشعوب والأقوام وتحدد بتسجيل المادة الثقافية من الميدان كما وتعني وصف أوجه النشاط والمعاش. والمعروف أن كلمة "Ethnic" ذات جذر لغوي إغريقي تعني شعباً أو قوماً)([196]).

وعلم الاثنوغرافيا قديم وتأثر به (دارون) في صياغة نظريته عن أصل الإنسان وكذلك أصحاب المدرسة التطورية التي تقول بأن النماذج الحضارية قدمت بسلسلة من التغيير المستمر([197]).

وقد انصبت الاهتمامات السوفييتية بهذا العلم على شعوب وسط آسيا فظهرت سلسلة في الأبحاث الاثنوغرافية لشعوب آسيا الوسطى ابتداء من عام 1924 – 1941. وصار المتحف الآسيوي مركزاً من مراكز الدراسات الشرقية الاثنوغرافية. والذي وجد اهتمامه لدراسة الشعب الكردي([198]) بصورة منظمة ومبرمجة وظهرت العديد من المؤلفات حول الأكراد من قبل المستشرقين السوفييت.

وكان للعرب الذين سكنوا روسيا الأثر الكبير في تعريف المجتمعات العربية للمستشرقين الروس ومساعدتهم في ولوج علم الاثنوغرافية لدراسة حياة وطبيعة الشعب العربي والشعوب المحيطة به وخاصة الإيرانيين والأكراد. وفي جامعة لينينغراد، افتتح معهد للاثنوغرافيا لتشجيع مثل هذه الدراسات([199]). والتي أنتجت عدة بحوث منها عرب العراق، الأكراد في إيران، موارنة لبنان، عرب الشمال في القرنين التاسع عشر والعشرين لجملة من الباحثين السوفييت([200]).

وتأثرت الكتابات التاريخية بالأيديولوجية السوفييتية، التي ترى أن الثورات حتمية الصراعات الطبقية، وهي بهذا تشوه التاريخ الإسلامي حين تتحدث عنه وأضرب هنا مثلين على ذلك:

فقد ذكر "بيفانوف وفيدوسوف" من الحديث عن التمردات الشعوبية التي حصلت أثناء الفتوحات الإسلامية فقال: "كان الإقطاعيون العرب – هكذا يصف الفاتحين بالإقطاعيين العرب -([201]) قد استولوا على القسم الأكبر من أفضل الأراضي والمراعي ومشاريع الري فيما وراء القفقاس وآسيا الوسطى. وحوّلوا السكان المحليين إلى عبيد وفرضوا عليهم خراج الأراضي الثقيل([202]). أما الذين لم يدخلوا بالإسلام فقد أجبروهم على دفع جزية (ضريبة أنفس إضافية)، وقام القادة العسكريون العرب وجباة الأتاوات بأعمال التعسف والاستهتار تجاه الشعب ودمروه. وحاول الإقطاعيون العرب أن يجدوا سنداً لهم من بين الوجهاء المحليين، فوهبوهم قطع الأراضي مع الفلاحين التابعين لها. وهكذا أصبح الفلاحون وفقراء المدن تحت نير مزدوج، اضطهاد الإقطاعيين المحليين، والعرب.

وقد قوبل غزو الإقطاعيين العرب بمقاومة عنيدة، ففي نهاية القرن السابع بدأت الحركة التحررية القوية فيما وراء القفقاس، وفي النصف الثاني من القرن الثامن قامت انتفاضة في آسيا الوسطى بقيادة (المقنع)، وفي القرن التاسع استمرت الحرب الفلاحية بقيادة (بابك) في أذربيجان ضد الإقطاعيين الأجانب والمحليين ما يقارب العشرين عاماً. والتحق بهذه الحركة سكان أرمينيا وجورجيا. وكان القائد البارع بابك في شبابه راعياً وحادياً للجمال وتلميذاً عند أحد الحرفيين. وعندما ترأس الحركة الحق عدداً من الهزائم الكبيرة بالقوات العربية ولكنه قبض عليه وأعدم بعد عذاب أليم. والسؤال هنا:- هل هناك تشويه للتاريخ الإسلامي أكبر من هذا؟

يعود الكاتبان إلى الحاقدان على الإسلام فيقولان: لقد كان لنضال الشعوب الذي استمر قروناً من أجل الاستقلال أهمية تاريخية كبيرة، وأنعش سقوط سيطرة الإقطاعيين العرب اقتصاد شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس وساعد على تشكيل دولة مستقلة([203]). وفي نفس الموضوع كتب "شميدت وتارنوفسكي" قائلاً: وشهدت أراضي ما وراء القفقاس في منتصف الألف الأول الميلادي الصراع بين بيزنطة وإيران أما فيما بعد فقد وقعت شأن أراضي آسيا الوسطى في القرنين السابع والثامن تحت سيطرة الخلافة العربية، وقد أثار الاضطهاد الإقطاعي والقومي للغزاة الأجانب، الاحتجاج الشديد لدى السكان الأصليين.

وقد تزعم المقنع (هاشم بن حكيم) أكبر الانتفاضات في آسيا الوسطى (776 – 783) وكان المقنع من أنصار المذهب الديني الذي يقضي بأن كل الأحرار في الأرض سواسية في اقتسام خيراتها. وكان الفلاحون يشكلون الجزء الأعظم من المنتفضين، يؤيدهم الحرفيون والعبيد وقد شملت الانتفاضة التي لم تكن تستهدف الغزاة وحسب، بل الأثرياء المحليين كذلك، الجزء الأعظم في آسيا الوسطى. وكانت انتفاضة فلاحي وحرفيي وعبيد ما وراء القفقاس حرباً كبيرة أخرى خاضها الفلاحون في مطلع القرون الوسطى استمرت (21) عاماً (816 – 837). وكانت هذه الانتفاضة مرتبطة بنشاط الطائفة التي تطالب شأن أنصار المقنع في آسيا الوسطى، بالقضاء على الظلم الاجتماعي، وقد تزعم الانتفاضة القائد الشعبي الشهير بابك (الخرمي) ابن عامة الشعب الأذربيجاني الذي قاد جيشاً شعبياً ضم إلى جانب الأذربيجانين كثيراً من الأرمن والجيورجيين الذين وحدتهم كراهية المستبعدين الأجانب والإقطاعيين المحليين. وهكذا ساعدت المصالح المشتركة للصراع الطبقي ومقاومة الغزاة الأجانب في تلك الحقبة على تقارب ممثلي مختلف

القوميات"([204]). وهكذا يتكلم المؤلفان بلغة الشيوعية والأممية دون أن يسألا نفسيهما: لماذا بقي الشعب مسلماً إلى الآن وبعد انقضاء أكثر من أربعة عشر قرناً على ذلك التاريخ؟

التعامل السوفييتي مع الأراضي الإسلامية

سبق أن ذكرنا بأن أكثر من أربعين مليون مسلماً يقطنون وسط آسيا التي ضمتها روسيا القيصرية أولاً ومن ثم الاتحاد السوفييتي. وكانت جامعات ومدارس ومساجد هذه المناطق تحتوي على كنوز من المخطوطات والكتب الإسلامية. ولا شك أن كثيراً من العلماء المسلمين يرافقون هذا الزخم الكبير من المخطوطات والآثار. فكيف تعامل قادة الاتحاد السوفييتي معهم، خاصة وأن الكثير منهم بدءاً بلينين قائد ثورة أكتوبر البلشفية كان يشجع على فتح صفحات فكرية مع الاستشراق والاستعراب الإسلامية؟

إن المصادر التي تحت أيدينا تبين تناقضاً كبيراً بين تلك الجهود الاستشراقية الكبيرة في أنحاء الاتحاد السوفييتي وما بين التعامل مع الشعوب الإسلامية المحيطة بروسيا ضمن الاتحاد السوفييتي.

يقول "محمد أسد شهاب" :- "والواقع أن الحضارة الإسلامية التي نمت وترعرعت وتوطدت في آسيا الوسطى لا تزال آثارها خالدة ناطقة حتى يومنا هذا وهي تتمثل في طرز المعمار وفنونه المتجلية في أبنية المساجد التي سلمت من عبث أيدي الفوضويين المبيدين وفي الكتب الموجودة التي صانها حسن الطالع من إتلاف الشيوعيين. ولو عثر الشيوعيون على أي من تلك الكتب الخطية الموجودة في آسيا الوسطى لكان نصيب من احتفظ به هو السجن باعتبار أن الاحتفاظ بأي كتاب إسلامي خصوصاً الكتاب المخطوط يعد جريمة يعاقب عليه مالكه وحامله وكاتبه بأشد العقوبات. ولذلك فإن الكتب الخطية الموجودة بأيدي المسلمين في آسيا الوسطى في زمن الاتحاد السوفييتي السابق نادرة جداً، ومن الصعب الحصول على أمثال تلك الكتب، لأن الساعي إليها يتعرض لمشاكل كبيرة آنذاك، كما يتعرض مالك الكتاب لعدة مشاكل أخرى"([205]).

وقد مر علينا أن مرسوماً صدر إبان الثورة البلشفية فك ارتباط الدولة بالكنيسة ومنع تدخلها في المدارس الحكومية وألغى الدروس الدينية في كل مدارس الاتحاد السوفييتي. وتبعاً لذلك فقد منع تدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية في كل الأراضي الإسلامية التابعة للاتحاد السوفييتي بعد أن كانت الدراسات الإسلامية مزدهرة فيها والتي تنمي في الطالب الأخلاق العالية والمثل الإسلامية وغير ذلك ولم تسمح الحكومة السوفييتية إلا لمدرسة واحدة هي "ميرعرب" لتضم بعض الطلاب المؤهلين لاستلام المناصب الدينية الإسلامية وفق شروط وضعتها الحكومة بالاتفاق مع الإدارات الإسلامية التي شكلها السوفييت في المناطق الإسلامية بعدئذ.

لقد شكل السوفييت أربعة إدارات لشؤون المسلمين هي:

1. الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي وسيبريا ومقرها مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية باشكيريا الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي – كما كانوا يدعونها – وهذه المدينة من أقدم مراكز الإسلام في روسيا. وقد تأسست هذه الإدارة في الأربعينات من القرن الماضي.

2. الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس: وهي تشرف على الحياة الدينية لمسلمي شمال القفقاس وداغستان. ومركزها في مدينة بويناكسك في داغستان. وفي الماضي القريب لم يكن لمسلمي هذه المنطقة مركزهم الموحد وقد تأسست هذه الإدارة في الأربعينات أيضاً.

3. الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس: وهي توجه الشؤون الدينية على المذهب الشيعي والمذهب السني الموجودين في أذربيجان وأرمينيا وجورجيا، ومقر الإدارة في مدينة (باكو) عاصمة أذربيجان. وقد تأسست هذه الإدارة في أواخر الستينات من القرن الماضي.

4. الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان، وهي تشمل المسلمين القانطين في أراضي أوزبكستان وتركمانيا وتاجيكستان وقرغيزيا وكازاخستان. وتقع الإدارة في مدينة طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان وقد تشكلت هذه الإدارة في الأربعينات من القرن الماضي([206]).

وكان من واجبات هذه الهيئات الإصدارات الإسلامية التي تتمثل في:

1- نشر التقاويم الإسلامية.

2- نشر الفتاوى الشرعية.

3- نشر المواعظ المختلفة.

4- نشر التفسير في قضايا معنية من العقيدة.

5- إصدار طبعات جديدة من القرآن.

6- إصدار مؤلفات علماء الدين مثل:

1- "الإسلام ديني" للمرحوم المفتي عبد الرحمن رسولوف فيه شرح مفصل لفرائض المسلمين وفحوى كل صلاة وتفسيرها وشرح لأصول الوضوء وتأدية الصلاة.

2- الإسلام والعبادة للمفتي شاكر خيال الدينوف ويتضمن شروح للعبادات والفرائض الإسلامية.

3- كتاب حياة المسلمين في الاتحاد السوفييت تأليف ضياء الدين بابا خانوف.

4- آثار الإسلام التاريخية في الاتحاد السوفييت لنفس المؤلف.

5- طبعة جديدة للقرآن الكريم.

6- صدور حجم صغير للقرآن الكريم عام 1970.

وساهمت الحكومة السوفيتية في تهيئة الكمية الضرورية للورق والمستلزمات الأخرى الضرورية وعلى حساب الإدارات الدينية([207]).

ومن الملاحظ أن كل ما أصدره المسلمون من أمور هي شرح الشعائر الإسلامية التي يستطيع المسلمون تأديتها والتي تتمثل بما يلي: "ما يرافق مولد الطفل، عقد القران، المآتم، الأربعينيات، الختان، دفن الموتى للمؤمنين في مقابر خاصة بالمسلمين، ونحر الأضاحي في عيد الأضحى" ([208]). وهكذا، يتمكن المرء أن يقارن بين الإصدارات الاستشراقية السوفييتية التي صدرت في الجامعات والتي ركزت على الأمور التي تعكسها الإصدارات الاستشراقية المختلفة، وما بين

الأمور التي حوتها الإصدارات الإسلامية الرسمية والتي بحثت في الشعائر الإسلامية المحدودة والبسيطة والتي جعلت غطاءً أمام العالم الإسلامي لتعكس اهتمامات محدودة بالشؤون الإسلامية.

الاستشراق الصهيوني

إذ كان لابد أن نتذكر بأن للعرب أصدقاء كثيرين من المستشرقين، يجب أن نتذكر أيضاً أن بعضاً آخر منهم قد وهب نفسه لخدمة الصهيونية العالمية. ومن بين أولئك من هو يهودي، أو من هو أصدقاء الحركة الصهيونية من غير اليهود إذ أن هنالك ما يجمع بين الطرفين. فحقدهما على الأمة العربية تراثها وحضارتها يشكل نقطة اللقاء التي يخدمان الصهيونية العالمية عن طريقها.

لقد عمد الاثنان إلى تشويه كل ما يمت إلى أمتنا العربية من صلات حضارية وثقافية واجتماعية. فإذا كان المستشرق الذي يسكن داخل الأرض المحتلة يحتل موقع العداء للعرب بطبيعة حاله. فإن سكنة أوروبا وأمريكا يمثلون الصهيونية خارج حدود الأرض المحتلة.

لقد كثف اليهود وأصدقاء الصهيونية العالمية دراساتهم اللغوية بكل ما
يختص بأمور الشرق العربي سواء قبل احتلال فلسطين أم بعدها، للوقوف على الحقائق التي
ينفذون من خلالها إلى أوصال أمتنا العربية فإن كانت إسرائيل سرطاناً
زرعه الاستعمار في جسد الأمة العربية، فإن الدراسات الاستشراقية الصهيونية تمثل جراثيم هذا المرض الخبيث. إذ أن لكل دراسة قاموا بها إحدى الأهداف التي نلخصها بما يأتي:-

1. الحط من شأن الأمة العربية وذلك بالاستخفاف بحاضرها ونسبة دراساتهم القديمة إلى أصول غريبة سبق أن شرحناها، ورفع قيمة الدراسات اليهودية قديمها وحديثها مقابل ذلك. فتنعكس على علم الغرب، صورتان. صورة تمثل قوماً متأخرين –هم العرب– وقوماً متحضرين –هم اليهود– وقد عجزت الدوائر الإعلامية العربية إلى اليوم الحاضر عن تغيير هذه الصورة من الذهنية الغربية الواقعة تحت تأثير السرطان الصهيوني.

2. تحويل الخرافات والأساطير اليهودية التي تكلمت عن الشعب المختار والأرض الموعودة إلى حقائق. فيصبح الغربي مدافعاً عن حقوق وهمية نسبت إلى المغتصبين. وتجاه حقوق حقيقية تعود إلى شعب قد طرد من أرضه وشرد وواجه ضغوطاً لا يستطيع من خلالها أن يرفع صوته بشكل فعّال في أية منطقة قد وصلها السرطان اليهودي.

3. أن تصبح الحضارة الصهيونية التي هي جزء من الحضارة الغربية مزروعة في أرض الحضارات الشرقية لتفصل بين الحضارتين، فتصبح الحضارة الشرقية، غريبة لا تلتقي والعقلية الغربية. بينما يشعر الغربي بأن الحضارة اليهودية جزء متمم لحضارته، فيكون تعاطفه معهم على حساب الشعب الفلسطيني الغريب عنها.

4. تشويه الواقع الاجتماعي العربي، وذلك بتصويره مجتمعاً رجالياً يتجاهل "المرأة" ويغتصب منها حقوقها. وأن يضرب الأمثال من بقاع ينتشر فيها الجهل ليصورها على أنها تمثل واقع الأمة العربية كلها بينما يختار أمثلة من العالم اليهودي على عكس تلك، فيصبح اليهودي في المعايير الغربية هو الممثل الحقيقي للحضارة والتقدم والمعاصرة. ويتناسى أولئك جميعاً أن اليهود المؤمنين بالأساطير والخرافات القديمة، هم الذين يحتقرون المرأة. وكتبهم المقدسة مليئة بأمثلة واضحة على عدم إيمانها بدورها.. بينما كانت المرأة ولا تزال في مجتمعنا العربي متطورة متحضرة، تشارك

الرجل في نضاله وبناء مستقبله وكتبنا المقدسة جميعها وتراثنا يثبتان أدوراً رئيسة للمرأة أدت فيها دور القائد والطبيب والمعلم ووظائف المجتمع كلها.

لقد تعامل الاستشراق الصهيوني مع تراثنا وحضارتنا بأشد قسوة وتجاهلها عن طريق استخدامه لكل طريق التزييف والكذب لكسب ود الغربي ويكسبنا عداءه وتجاهله. لذلك نرى أن الكتب والأبحاث التي تكون أهدافاً صهيونية، لا تزال توالي إصدارها في أمريكا وأوروبا. ونضرب على سبيل المثال بصنعه نشرات صدرت في الستينات والسبعينات من القرن الماضي في أمريكا:

المثال الأول: الكتب اليهودية الكبرى وأثرها في التاريخ "للمؤلفين صموئيل كابلن وهارولد ريبالوف، يبدأ هذا الكتاب بالتهجم على شخص الرسول "r" وينتهي إلى إبراز أثر الكتب اليهودية على العقيدة الإسلامية وبالتالي على المجتمع العربي المعاصر.

الثاني: " اليهود في الأرض العربية، تاريخ ومراجع" كتبه نورمان ستلمان سنة 1979، وهو مدرس صهيوني، أتهم الرسول "×" بأنه قد تتلمذ على أيدي يهود يثرب. وينتهي بذلك إلى عقائدنا الدينية وتقاليدنا الاجتماعية أن هي إلا عقائد وتقاليد ممسوخة من الديانة اليهودية.

الثالث: "مطالعات منتخبة لمؤلف صهيوني نشرته مؤسسة "هيوتن منلن" عام 1968، وأصبح كتاباً منهجياً لطلبة الدراسات المتوسطة في ولاية نيويورك. وفي هذا الكتاب تهجمات واضحة على العرب وجملة أكاذيب على التراث العربي وقد تركز الهجوم على مصر – في أيام عبد الناصر وغيرها من البلدان العربية المتحررة آنذاك.

الرابع: بحث نشرته مجلة أمريكان انثروبولوجست([209]) فيه تهجم على المرأة العربية بالطريقة التي سبق استعراضها.

الخامس: وصدر كتاب بعنوان "عدم الاستقرار العائلي في مجتمع إسلامي أفريقي" كتبه رونالد كوهين عام 1971 نسب فيه الأكاذيب إلى المجتمع العربي وأتهم فيه المرأة العربية بالكسل وعدم القدرة على التحضر وهكذا نرى أنه يضع كتباً تركز على الدور المتأخر للمرأة العربية، في الوقت الذي تكسب فيه منظمات المرأة الصهيونية عطف الغربيين بتبجحها بالمطالبة بحرية المرأة.

لقد مارس الاستشراق الصهيوني داخل الأرض المحتلة منتهي الإساءة إلى التراث العربي. فقد عينت سلطات الاحتلال الصهيوني لإدارة منطقتي الضفة الغربية وغزة المستشرق "مناحيم ملسون"([210]) الذي عمل على محو الثقافة العربية والإسلامية من تلك الأراضي عن طريق إحلال الثقافة اليهودية والصهيونية محلها فضلاً عن إغلاقه الجامعات العربية هناك وطرد وتشريد الطلبة إلى خارج الأرض المحتلة وممارسة مختلف الأساليب النازية مع السكان الأصليين العرب.. وهكذا نرى أن الاستشراق الصهيوني. قد شارك حكام الأرض المحتلة حتى ممارستهم اللا أخلاقية، وعاد "ملسون" ليصبح أستاذاً للغة العربية في الجامعة العبرية في القدس والتي لها مركز للدراسات الاستشراقية ويمارس نشاطاً ملحوظاً في هذا المجال الفكري الهام وفي تحجيم أثر الحضارة العربية على الحضارات العالمية فضلاً عن أن الدوائر الصهيونية تقوم بتمويل الكثير من المؤسسات العلمية الاستشراقية العالمية، سواء الصهيونية منها أم غير الصهيونية، وذلك لكسب ودها وتعاطفها وتمرير إساءاتها العديدة عبر تلك الدوائر ذات العلاقة الكبرى بدوائر – صنع القرار – في سياسة الدول الغربية وأمريكا.

الوحدة الرابعة : الدراسات الاستشراقية الأكاديمية

سنذكر أماكن الدراسات الاستشراقية في كل دولة من الدول التي يسهل استعراض تلك الأماكن فيها. وستخدم هذه الوحدة طلاب الدراسات الاستشراقية لأنها تستعرض تخصص كل جامعة في الجامعات حيث لا يحتاج فيها الطالب إلى كثير العناء والمراسلة لمعرفة تلك التخصصات.

وسنتذكر الدول التي فيها تخصصات للدراسات الاستشراقية دون ذكر أماكنها لكثرة الجامعات فيها وكثرة الأقسام الاستشراقية في تلك الجامعات والتي قد يحتاج الطالب إلى اكتشافها بنفسه.

تمهيد

كانت الدوائر الاستعمارية في السابق تستعين بطلبة وأساتذة الاستشراق في شد علاقاتهم مع البلاد العربية أو بأن يكتبوا لهم الأبحاث التي تساعدهم على التوغل في الأرض العربية أو النفس العربية – كما فصلنا ذلك مسبقاً – فإن الدوائر السياسية في البلدان الغربية لا تزال تعتمد بعض طلبة الاستشراق في إدارة بعض الوظائف الدبلوماسية في البلدان العربية. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، هنالك جامعة لوزارة الخارجية في كاليفورنيا – سبق ذكرها – تدرس فيها العلوم السياسية لمختلف البلدان وكذلك اللغات واللهجات المحلية ويستعان بخريجي هذه الجامعة بالوظائف الدبلوماسية والمخابرات الأمريكية. وتأسس في (بارجامو) بإيطاليا مركز للتعاون من أجل التهيئة المهنية في بلدان العالم الثالث.

وفي (روما) تأسس مركز يعرف باسم (ايبلمو) يهتم بصورة خاصة بدراسة العلاقات السياسية مع البلدان العربية أما في ألمانيا الغربية فهناك دائرة للشؤون العربية في وزارة الخارجية الألمانية تحوي عدداً لا بأس من خريجي المعاهد الاستشراقية، وتعمل شبكة من الاتصالات مع المستشرقين الألمان الشباب فتكلفهم ببحوث سياسية عن مناطق الشرق العربي وتبعث كثيراً منهم في مهمات استطلاعية وعلمية تحت غطاء المنح الدراسية للاستفادة من بحوثهم. كما أن كثيراُ من الدبلوماسيين الألمان في البلدان العربية قد تخرجوا في إحدى المعاهد الاستشراقية واختصوا بجانب معين فيها، وقد ذكرنا بأن دائرة التبادل الثقافي الألمانية في بون تسهم في نفقات الطلبة الألمان من الخريجين الجدد الذين يفدون إلى البلدان العربية ليعملوا إحدى البحوث الاستشراقية، وهناك دوائر أخرى عديدة تسهم في هذه التكاليف – بضمنها الأحزاب الحاكمة في ألمانيا الاتحادية – والتي يكون مردودها السياسي المستقبلي كبيراً.

ويؤدي (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية) في بيروت خدمات متفرقة منها إصدار نشرات خاصة والإجابة على الأسئلة التي توجه إليه في حقل الاستشراق، والتوسط بين ناشري النصوص والمطابع المحلية، فضلاً عن تقديم الإمكانية للباحثين الألمان لإتقان العربية (الفصحى والمحلية) في البلدان العربية وتكليفهم ببحوث معينة تختص بتلك الأقطار.

والحقيقة أن المعلومات التي وصلت إلينا هي فيما يخص الدول الأوروبية وفيما يلي دليل الجامعات التي تضم أقساماً استشراقية منها:-

أ- بريطانيا

ففي بريطانيا تتسع الدراسات الاستشراقية حيث نجدها في معظم جامعاتها وفيما يلي أهم الجامعات وأهم الدراسات التي تعرف بها تلك الجامعات.

1. جامعة أكسفورد وفيها كلية الدراسات الشرقية ومركز الشرق الأوسط تعنى بتدريس مواضيع حديثة حول الشرق الأوسط وخاصة التاريخ الحديث والسياسة الحديثة والأدب العربي الحديث وأصول القومية العربية.

2. جامعة كمبردج وتحوي مركزاً للشرق الأوسط يعنى بالدراسات العربية المعاصرة كالنواحي الحديثة للحضارة العربية والإسلامية مع بعض التركيز على الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي وتاريخ اليمن الحديث وتاريخ شمال أفريقيا

3. واللهجات العربية الدارجة.

4. جامعة أدنبرة وتعنى باللغات السامية والفن الإسلامي ودراسة تاريخ الدعوة الإسلامية في أفريقيا وتاريخ العرب في الأندلس وبالشعر العربي الحديث.

5. جامعة دور هام تركز هذه الجامعة على اللغة العربية الحديثة والأدب العربي الحديث والفكر العربي واللغات المحلية والفكر الإسلامي والفن الإسلامي والنهضة السياسية والحضارية في الوطن العربي في القرن التاسع عشر و الإسلام والغرب في القرون الوسطى.

6. جامعة لندن وفيها معهد الدراسات الشرقية والأفريقية وتعنى هذه الجامعة بتدريس كل فروع الآداب والتاريخ واللغة العربية في العصور جميعها والأدب العربي الحديث واللهجات العربية وعلم الأصوات.

7. جامعة مانشستر تهتم بتدريس اللغة العربية والأدب المعاصر وكذلك بالدراسات اللبنانية وبتاريخ الشرق الأوسط المعاصر سياسياً وجغرافياً.

ب - إيطاليا

وفي إيطاليا أصبح الاهتمام بالدراسات الاستشراقية مهماً حيث تربطها بالعالم العربي والإسلامي الكثير من العلاقات وتحوي جامعاتها أيضاً دراسات تميز إحداها عن الأخرى، ومن ذلك:

1- جامعة روما: وتحوي "المدرسة الشرقية" الملحقة بكلية الآداب. وتعنى بتدريس اللهجات العربية والدراسات الإسلامية واللغات السامية.

2- جامعة نابولي: وفيها المعهد الجامعي الشرقي في نابولي وتعنى بدراسة تاريخ الحضارة في الشرق الأوسط والشريعة الإسلامية والفن الإسلامي واللهجات العربية وجغرافية آسيا وتاريخها الحديث واللهجات العامية العربية.

3- جامعة بلارمو تهتم بتدريس تاريخ الحضارة العربية والتاريخ العربي في صقلية.

4- جامعة ميلانو: وتهتم بتدريس اللغة العربية والأدب العربي المعاصر.

5- جامعة فينسيا: تهتم هذه الجامعة بتدريس الأدب العربي.

جـ - أسبانيا

وتكاد تكون الدراسات الإسلامية للاستشراق شاملة في جامعاتها. وإن كانت الجامعات تتميز باختصاص أساتذتها ويمكن التعرف على ذلك من خلال مراسلة الجامعات أو طلب الاستيضاح من الملحقيات الثقافية الاسبانية.

1- مدريد – وفيها جامعتان الأولى تسمى جامعة كومبلوتنسه ويتولى التدريس فيها المستشرق الياس تاراس سدابا. وجامعة مدريد المستقلة.

2- جامعة برشلونة: تعنى بتدريس تاريخ الإسلام واللغة العربية.

3- جامعة برشلونة المستقلة تهتم بتدريس تاريخ الإسلام واللغة العربية.

4- جامعة غرناطة وتعنى بتدريس تاريخ الإسلام واللغة العربية.

5- جامعة سرقسطة.

6- جامعة اشبيلية.

د- ألمانيا (الغربية سابقاً)

ولابد من ذكر أن ألمانيا (الغربية سابقاً وألمانيا الشرقية سابقاً واللتان اتحدتا) تضم كل نشاطات الدراسات الاستشراقية والجامعات التي نذكرها تتمتع بسمعة دراساتها ويمكن مراسلة بقية الجامعات لمعرفة ما تقدمه من اختصاصات في هذا الحقل.

1- جامعة ارلنجن ويهتم معهد اللغات الشرقية في هذه الجامعة باللهجات العربية الحديثة ولاسيما لهجات سوريا والعراق.

2- جامعة برلين الحرة: ويهتم معهد العلوم الإسلامية في هذه الجامعة بالدراسات الاجتماعية للوطن العربي. والأدب العربي الحديث والدراسات الدينية والقانونية الإسلامية.

3- جامعة بوخوم وفيها معهد شرقي حديث التأسيس.

4- جامعة بون وتهتم هذه الجامعة بالشعر العربي الحديث في شمال أفريقيا والأقليات الدينية في العالم الإسلامي.

5- جامعة توبنكن يعنى معهد الدراسات الشرقية في هذه الجامعة بمواضيع عديدة منها أصول الفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامي. واللغة العربية والأدب القديم ولغات الشرق المسيحي والدراسات الإسلامية والطوائف والفرق والدراسات الأفريقية.

6- جامعة كوتنكن ويعنى معهد الدراسات العربية فيها بالأدب العربي الحديث والعلوم الطبيعية عند العرب والدراسات الإسلامية وتدريس الطب عند العرب والعلوم الإسلامية.

7- جامعة كيسن تهتم بالشعر والأدب العربي الكلاسيكي.

8- جامعة ساربركن يقوم المهد الشرقي فيها بتدريس مادة الفلسفة الإسلامية والدراسات الشعرية القديمة.

9- جامعة فرانكفورت وفيها معهد الاستشراق. الذي يعني بتدريس النحو العربي وعلم الرجال. وهناك معهد للدراسات العربية يقوم بتدريس العلوم الطبيعية عند العرب.

10- جامعة فرايبورغ يعنى معهد الدراسات الشرقية في هذه الجامعة بتطوير الشرق الإسلامي وتدريس الإسلام في الأدب الحديث مع عناية بتطورات مصر السياسية والأدبية.

11- جامعة فورتسبورغ يركز معهد الدراسات الشرقية في هذه الجامعة على تدريس مادة الفلسفة الإسلامية.

12- جامعة كولن يهتم المعهد الشرقي فيها بتدريس مادة الشريعة الإسلامية والمشاكل القانونية الإسلامية.

13- جامعة كيل.

14- جامعة ماربورج يهتم المعهد الشرقي في هذه الجامعة بتاريخ الكنائس المسيحية في الشرق العربي.

15- جامعةماينز يركز معهد الدراسات الشرقية في هذه الجامعة على تدريس التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى والدراسات القرآنية ولهجات شمال أفريقيا وتاريخ المغرب.

16- جامعة مونستر يركز معهد الدراسات العربية والعلوم الإسلامية فيها على تدريس اللهجات العربية المحلية وبخاصة لهجة لبنان وسوريا.

17- جامعة هامبورغ يقوم معهد تاريخ وحضارة الشرق الأقصى فيها بتدريس التاريخ الإسلامي القديم والتاريخ المعاصر وكذلك موضع الكنائس الشرقية والصائبة في العراق.

18- جامعة هايدلبرج يركز معهد الدراسات الشرقية في هذه الجامعة على اللغات السامية والبردى والدراسات الإسلامية ولغات البربر في المغرب العربي.

هـ - فرنسا

وحال الجامعات في فرنسا لا يختلف عن ألمانيا، بل إن الاستشراق الفرنسي كان أصدق بكثير ودراساته معروفة وتقدم هذه الدراسات كل الجامعات الفرنسية تقريباً.

1. جامعة السوربون "باريس": وفيها معهد اللغات الشرقية الحية.
2. جامعة ليون الثانية :- تختص بدراسة المدينة الإسلامية وتاريخ سوريا.
3. جامعة ستراسبورغ: وتركز هذه الجامعة على دراسات اللغة والأدب والحضارة بوجه عام.
4. جامعة اكس ان بروفاس: وتركز الدراسات الاستشراقية فيها على الأدب العربي المعاصر.
5. جامعة نانسي: متخصصة بدراسة الألسنية الحديثة.
6. جامعة بواتيه: متخصصة بالحضارة العربية و الإسلامية في القرون الوسطى.
7. الكلية الفرنسية في باريس: وتتخصص في الآداب العربية والتاريخ الإسلامي.
8. جامعة بوردو: متخصصة باللغة العربية والحضارة.

أما في أمريكا فإن معظم جامعاتها تدرس مادة تعليم اللغة العربية إما اللغات الشرقية وأصبحت كلمة الاستشراق أو المستشرق من الكلمات التي يأنف الأمريكي على إطلاقها على نفسه بعد أحداث الحادي عشر من أيلول حيث ازداد الكره للعرب وللدراسات التي تخص الإسلام فيها..

وتشتهر جامعة لوس انجلوس في كاليفورنيا بالدراسات الإسلامية التاريخية
وقد سبق أن ذكرنا بعض المعاهد الأمريكية التي تقوم بتدريس العربية والتعريف
بالإسلام. ويمكن مراجعة "الاستشراق الأمريكي" في الوحدة السابقة للوقوف على
أسماء الجامعات والمؤسسات الاستشراقية الأخرى، علماً بأن الجامعات الكبيرة هناك – وعددها كثير بطبيعة الحال – كلها تدرس علم الاستشراق في الوقت الحاضر وربما
تحت تسميات أخرى كالإسلاميات والدراسات العربية وغير ذلك. أما في روسيا فإن المراكز الاستشراقية في روسيا هذا اليوم كثيرة. وللاستشراق – كما سبق أن ذكرنا – مراكز علمية تنتشر في كل البلاد. ويمكن الحصول على المعلومات الخاصة بها من الملحقيات الثقافية لروسيا في كل مكان. وقد سبق أن ذكرنا أسماء الكثير من المعاهد والجامعات عند استعراضنا لمادة الاستشراق الروسي والسوفييتي في الوحدة السابقة.

الوحدة الخامسة : تعريف بأهم المستشرقين

"من كل الأقطار"

سنتعرف على مجموعة لا بأس بها من المستشرقين المنتخبين من بين مئات منهم في كل دولة من الدول التي تقدم هذا النوع من الدراسات.

ستتضمن الوحدة أهداف كل واحد منهم وكتبه التي أصدرها والجامعات التي انتمى إليها أو درس فيها وفيما إذا تمكن من القدوم إلى الشرق والعمل ببعض المراكز العلمية فيها، وغير ذلك من المعلومات.

تمهيد

في هذا الفصل سنتناول طائفة من المستشرقين من مختلف الدول التي تعنى بالاستشراق ويتضمن الحديث عنهم مختصراً عن حياتهم العلمية ومؤلفاتهم التي ستوضح لنا جملة أمور منها:

1- انشغال كثير منهم بالمسائل الطائفية والمذهبية التي لا تخدم وحدة العرب أو المسلمين بل تسيء إليهم كل الإساءة.

2- انشغال بعضهم بتعلم اللهجات الدارجة وتعميقها عن طريق تأليف الكتب المنهجية، وفيها يخدم المستشرقون تعميق الإقليمية التي يسعى العرب إلى التقليل منها ومحاربتها.

3- الكتابة في الأمور المقارنة ما بين الإسلام بكل جوانبه كالقرآن والحديث والفقه وغير ذلك. وما بين المسيحية أو اليهودية لتكريس الفكرة التي تقول بأن الرسول "×" قد تأثر باليهودية والنصرانية... الخ.

4- الاهتمام بالمسائل المهملة من تراثنا والتي لم تشكل جانباً مهماً، لجعلها ذات أهمية يبنون عليها نظريات وافتراضات لا يمكن أن تكون حقيقة بأية حال.

"لا شك في أن بعض المستشرقين (وسنذكر بين أسطرنا بعضاً منهم) كان يكتب بحياد وموضوعية، إلا أننا سبق أن طرحنا تصورنا لهم، بأن أولئك المستشرقين لابد أن تغلب عليهم أفضلية العقيدة أو القطر الذي ينتمون إليه على قضايانا وتراثنا.

1- بالمر (1840 – 1882)

مستشرق انكليزي خدم الاستعمار والصهيونية ومات غيلة على يد بدو سيناء. تعلم الفارسية والأوردية والعربية. عمل في فهرسة المخطوطات العربية في كليات عدة. وعمل مراسلاً صحفياً لصحف شرقية عديدة. بدأ نتاجه الاستشراقي بإصدار كتاب (التصوف الشرقي) وهو ترجمة لإحدى الكتب الفارسية.

ثم عمل لحساب هيئة استكشاف فلسطين التي كانت تعمل كشفاً لرحلات بني إسرائيل فيها. كلف باستكشاف مناطق رحلاتهم تلك. وتعلم خلالها عادات البدو وأعرافهم وقد سافر بالمر إلى لبنان وجبل العلويين (النصيرية) ثم إلى اسطنبول فأصدر كتاباً في جزئين عام 1870 ضمنه وصفاً لرحلاته تلك وأصدر في العام نفسه كتابين آخرين هما فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة الثالوث بجامعة كمبردج وكتاب (اورشليم مدينة هيرود وصلاح الدين) ثم شغل منصف أستاذ العربية في كمبردج. فأصدر:

1. موجز جغرافية الكتاب المقدس.
2. تاريخ الأمة اليهودية.
3. قاموساً موجزاً للغة الفارسية (انجليزي – فارسي. وفارسي – انجليزي).
4. وشارك في تنقيح ترجمة هنرى مارتن للأناجيل إلى اللغة الفارسية وصدرت له ترجمة القرآن الكريم إلى الانجليزية عام 1881.
5. النحو المبسط للغات الهندوستانية والفارسية والعربية.

وقد عمل بالمر صحفياً فضلاً عن منصبه كأستاذ ثم اختير بمهمة استعمارية للذهاب إلى سيناء لتاليف البدو (الذين سبق أن عاش بينهم) على العرابية في مصر بقيادة عرابي باشا وفصل البدو عن القضية المصرية ومحاولة ضمهم إلى القوات البريطانية ضد المصريين وكان في خدمته خادم يهودي يدعى باخورحسون وخادم مسيحي من سوريا اسمه خليل عتيق واثنان من الخونة العرب. وحين كانوا يتجولون في سيناء ألقى البدو القبض عليهم وقتلوهم جميعاً عام 1882 وقد قال عنه آربري بعد قتله: "أن بالمر يستحق هذه النهاية لأني أؤمن وبكل قوة ورسوخ أن المهمة الحقيقية للعالم هي العلم وليس السياسة".([211])

2- آربري، آرثرجون (1905 – 1969)

مستشرق انجليزي برز في التصوف الإسلامي والأدب الفارسي. ودرس العربية على الأستاذ رينولد الن نيكلسون في 1927. أمضى زمالة في القاهرة عام 1931. ثم عين في كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً) رئيساً لقسم الدراسات القديمة (1932 – 1934) وزار أثناء وجوده في مصر كلاً من فلسطين ولبنان وسوريا وجمع مواداً نشرها فيما بعد.

نشر في عام 1933 لمسرحية مجنون ليلى للشاعر أحمد شوقي وكتاب (التعرف إلى أهل التصوف) للكلابذائي عام 1934 وترجمه إلى الانجليزية تحت عنوانThe Doctrine Of The Sufis نشر في كمبردج عام 1935.

وعمل في مكتبات لندن فنشر أثناء ذلك كتاباً عن التصوف اسمه (المواقف والمخاطبات) للنفرى وترجمه إلى الانجليزية (1935م) وأصدر فهرساً بالمخطوطات العربية في مكتبة الديوان الهندي وفهرساً للكتب الفارسية في المكتبة نفسها وكذلك مجموعة أخرى من الفهارس ثم عمل رقيباً في البريد أثناء الحرب العالمية الثانية فأصدر خلالها كثيراً من كتب الدعاية البريطانية الموجهة للشرق الأوسط وظهر في فلم للدعاية البريطانية أيضاً. وأصدر سلسلة من الكتب المترجمة العربية الفارسية إلى اللغة الانجليزية تقارب السبعين كتاباً وبحثاً. وعمل أستاذاً للغة الفارسية وأستاذاً للغة العربية في العديد من الجامعات البريطانية.

وقام بترجمة مجموعة من الكتب الفارسية منها:

1. خمسون قصيدة لحافظ الشيرازي.
2. مزامير فارسية 1948.
3. أسرار بيخودي (أسرار اللاذات) 1953
4. جاويد نامة 1966.

وترجم جملة من الكتب العربية فضلاً عن ترجمته للقرآن الكريم مع ترجمة لتفسير القرآن الكريم وهي ترجمة مفسرة تعطي المعنى في أسلوب رشيق جميل دون التقيد بحرفية الآيات ولا تسلسل تركيبها اللغوي. توفي آربري في الثاني من أكتوبر عام 1969([212]).

3- رينهارت دوزي (1820 – 1883)

ولد عام 1820م في هولندا، وهو من أصل فرنسي درس على يد مشاهير العلماء أمثال ج . ج دي كلدر والأستاذ ويجرز وهينريلو فليتشر وغيرهم..

كان الدكتور دي كلدر قد تعود أن يلقن مبادئ اللغة العربية لتلامذة اللاهوت. وهكذا دخل دوزي في صباه إلى عالم الاستشراق عن طريق هذا الأستاذ. ثم التحق بجامعة ليدن وسرعان ما استرعى نظر الأستاذ ويجرز اللغوي اللامع فدرس تاريخ العرب وأقنعه أن يجعله اختصاصه المستقبلي. ثم درس بحوث المستشرق الفرنسي كاترمير وأفاد منها كثيراً.

وفي سنة 1841 اقترح المعهد الملكي موضوعاً للمسابقة عن الملابس العربية، فأعجب ذلك دوزي فانتهى منه إلى نتائج هامة فظفر بالجائزة التي خصصت لهذا الموضوع. ثم أخرج كتاباً بعنوان "القاموس المفضل عند العرب" عام 1845. وأصبح دوزي بعده مشهوراً في عالم الاستشراق..

وقد تنبه دوزي إلى كتاب (تاريخ العرب في أسبانيا) للمستشرق الأسباني جوزيه انطونيو كوندة.. ووجد فيه أخطاء كثيرة فتفرغ لدراسته وتنقيحه، فكتب رسالة عن أسرة بني عباد الذين حكموا اشبيلية بعد سقوط الخلافة الأموية (1023 – 1091م) ونال درجة الدكتوراه عام 1844 والتقى المستشرق الألماني هينر يلو فليشر الذي ربطته به صداقة دامت أربعين عاماً وحقق جزءاً من كتاب الذخيرة لابن بسام، فيه معلومات عن السيد القمبيطور، الفارس المغامر المعروف في التاريخ الأسباني.

وفي سنة 1845 زار دوزي اكسفورد، فأعانة الأمين على كتبها على إصدار سلسلة من النصوص العربية. وكان المجلد الأول الذي ظهر في سنة 1946 يشمل تعليقاً تاريخياً لابن بدرون الذي عاش في اشبيلية في القرن الثاني عشر على قصيدة ابن عبدون التي رثى فيها بني الأفطس. ويلقى هذا الشرح كثيراً من الضوء على غزو المرابطين للأندلس. وفي العام نفسه عهد إليه الأشراف على جمع قوائم المخطوطات الشرقية. وفي عام 1847 أخرج دوزي كتابه "تاريخ الموحدين" لعبد الواحد المراكشي. وفيه مقدمة عن تاريخ أسبانيا من عهد الفتح إلى حكم يوسف بن تاشفين وتاريخ المرابطين وطبع تعليقات على المخطوطات م العربية عام 1851 وظهر له كتاب ابن عذاري "البيان المغرب في أخبار المغرب" عام 1848 وبالنظر لتخصصه الدقيق في تاريخ المسلمين في أسبانيا اختير عام 1851 عضواً مراسلاً في أكاديمية التاريخ بمدريد وفي عام 1853 حصل على وسام شارل الثالث من الحكومة الأسبانية.

وفي سنة 1850 أصبح دوزي رئيساً لقسم التاريخ في لايدن فشغل نفسه خلال ذلك بإعداد كتاب "نفح الطيب" للمقري وهو من الكتب الهامة في تاريخ الأندلس الأدبي والسياسي وكان لجهود دوزي في تاريخ الإسلام في أسبانيا أثر كبير في تصحيح كثير من المعلومات الكاذبة التي نشرها المستشرق كوندة وأصبح دوزي مرجعاً في هذا الباب([213]).

وقد نقده اسين بلاثيوس المستشرق الشهير بقوله "لقد تأثر دوزي بما هو شائع ومعادي عن حسية الحب عن الجنس العربي أكثر مما تأثر بما هو حق" جاء ذلك في نقده ما كتبه دوزي عن ابن حزم كما أنه رفض أن تكون فتوة (الحب) الذي ناقشها ابن حزم ترجع إلى أصول مسيحية([214]).

وقد اشتهر دوزي بما كتبه من المعاجم ومنها:

1. ثبت شارح للكلمات الهولندية المأخوذة من العربية والعبرية والكلدانية والفارسية والتركية. (1867).

2. معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المأخوذة من اللغة العربية (1869).

3. تكملة المعجمات العربية (والذي ترجمه الدكتور سليم النعيمي في بغداد) وهذا المعجم مفيد في فهم النصوص التاريخية والجغرافية الخاصة بالمؤلفين الندلسيين والمغاربة. وفي معرفة استعمال الألفاظ التي لم ترد معانيها في المعجمات العربية المعروفة([215]).

4- اجناس كولدتسيهر (1850 – 1921)

مجري يهودي، أجاد الألمانية لأن المجر كانت جزءاً من النمسا حين مولده ودرس في برلين، كتب رسالة الدكتوراه عن (تنخوم أورشليمي) وهو شارح يهودي للتوراة، شرحها في العصور الوسطى وأقام في القاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين وعين أستاذاً للغات السامية سنة 1894 في بودابست([216]).

كان حاقداً على الإسلام ونبيه r وعلى القرآن الكريم. من أقواله الشهيرة في العقيدة والقرآن الكريم قوله: "ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقيدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات. ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطراً إلا آثار عامة نجد فيها إذا بحثنا في تفاصيلها أحياناً تعليمات متناقضة ويقول كولد تسيهر أيضاً كان وحي النبي في حياته معرضاً لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص. وكان عدم الاستقرار والطابع المتناقض البادي في تعاليمه موقع ملاحظات سافر([217]).

وكان كولد تسيهر يصف كل التفاسير والكتابات الأولى لابن عباس وغيره بأنها ذات مسحة يهودية([218]). ومن الكتب التي قام بتأليفها:

1. الظاهرية مذهبهم وتاريخهم سنة 1884.
2. دراسات إسلامية 1889 و 1990.
3. تحقيق كتاب المعمرين لابن أبي حاتم سنة 1886.
4. محاضرات في الإسلام. ليدن 1920.
5. تاريخ تفسير القرآن([219]).

5- هنري لامنس 1862 – 1937

مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب على الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين.

قضى معظم حياته في لبنان (في دير لليسوعيين في قرية غزير) بين 1787 – 1896 و 1869 – 1937.

عمل في إدارة مجلس المستشرق اليسوعية في بيروت وتولى إدارة مجلة البشير التبشيرية لليسوعيين في بيروت وقد تخصص بعد ذلك في الكتابة في:

أ- السيرة النبوية:

1- إصدار كتاب عن (مهد الإسلام) 1914 طبع في روما.

2- (مكة عشية الهجرة) بيروت 1924.

3- مدينة الطائف العربية عشية الهجرة (بيروت 1922).

4- غربي الجزيرة العربية قبل الهجرة. بيروت 1928. وهو مجموع من ست دراسات عن اليهود والنصارى وعن ديانات العرب قبل الإسلام.

5- المعابد قبل الإسلام في غربي الجزيرة العربية.

6- القرآن والسنة، كيف ألفت حياة محمد. باريس 1910.

7- هل كان محمد أميناً بيروت 1911.

8- عصر محمد وتاريخ السيرة 1911.

9- فاطمة وبنات محمد. دراسات نقدية لدراسات السيرة روما 1912.

10- الحكومة الثلاثية من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة. بيروت 1909.

وفي هذه الكتب تحامل لامنس على السيرة وزعم أنّ الحديث موضوع لا يعتمد عليه. وقد لوحظ أن الكثير من هوامشه التي يشير إليها كاذبة لا أصل لها وأن بعضاً آخر منها كان قد فسره بطريقة خاطئة تطوي خبثاً وإساءة للإسلام وللنبي (ص).

ب- الخلافة الأموية:

1- دراسات عن حكم الخليفة الأموي معاوية الأول. بيروت 1907.

2- خلافة يزيد الأول. بيروت 1921.

3- زياد بن أبيه والي العراق ونائب معاوية الأول 1912.

4- معاوية الثاني أو آخر السفيانيين.

5- دراسات عن عقد الأمويين.

6- مجيء المروانيين وخلافة مروان الأول.

وهذه المقالات كتبت بطريقة تنفث الطائفية فيها من خلال تبرير بعض الأمور التي حصلت في العهد الأموي والتي لم تجد قبولاً عند المسلمين عامة.

جـ- في الدراسات الإسلامية وتاريخ سوريا:

1. الإسلام. عقائد ونظم، 1926 ، 1940 ، 1944 وقد دسّ في هذا الكتاب كل سمومه وهو عرض سطحي للعقائد الإسلامية ليست له أية قيمة علمية.

2. سوريا، موجز تاريخي.

3. تسريح الأبصار، فيما يحتوي لبنان من الآثار.

6- كارلو الفونسو نالينو (1877 – 1938)

مستشرق إيطالي شهير، مولع بدراسة الجغرافية، طاف ببلاد عربية مختلفة منها مصر، والجزائر وتونس وكان لمصر النصيب الأكبر في زياراته، عكف فيها على الدراسات العربية بدار العلوم والأزهر، واستطاع خلالها جمع مادة غزيرة عن اللهجة المصرية والتي مكنته من نشر كتابه "اللغة العربية الدارجة في مصر" عام 1900 ودرس مادة علم الفلك في الجامعة المصرية باللغة العربية خلال (1909 – 1910)، ودرس الأدب العربي فيها من (1910 – 1912).

اهتم نالينو بتاريخ العلوم عند العرب، وله مفهومه الخاص في تاريخ العلوم يتمثل في كونه الطريق للتعرف على الإنسان وفهمه في مختلف العصور والبلدان، وهو يؤكد أهمية التاريخ هذا لأنه الشيء الذي يصبح به الإنسان معاصراً لشعوب مضت، ويستفيد على الرغم من قصر حياته من خبرة أجيال عديدة.

وعلى طريقة المستشرقين، لم يقتصر جهد نالينو على تاريخ العلوم، إذ أنه اشغل نفسه بلهجات العرب العامية فكتب كما ذكرنا كتاباً عن اللهجة المصرية الدارجة. وكتب في الأدب العربي كتابه الشهير (تاريخ الآداب العربية. القاهرة 1954) وكتب في السيرة، فنشر كتاباً عن (حياة محمد، نشره له معهد الدراسات الشرقية عام 1946). كذلك نشر كتاباً عن (البلاد العربية السعودية 1939). وله "الخوارزمي وتعديله لجغرافية بطليموس) عرف بأنه أروع مرجع جغرافي في القرن التاسع عشر.

واتجه للكتابة في الفرق الإسلامية فكتب دراسات عن القدرية والقدريين والخلافة والصوفية. كما كتب عن تأثير الثقافة الإسلامية في أوروبا في كتابيه "الحضارة الإسلامية في أوروبا في العصور الوسطى" و "العالم الإسلامي وأوروبا"([220]).

7- دلا فيدا (1886 – 1967)

مستشرق إيطالي يهودي، شارك مع المستشرقين الأمير كايتاني في تحرير كتاب (حوليات الإسلام). وكتب بحثاً عن (معاوية).

عمل أستاذاً للعبرية واللغات السامية في جامعة تورينو عام 1917. وفي عام 1920 عمل أستاذاً للغات السامية في جامعة روما ولغاية 1931.

ومنذ 1932 ولغاية 1939 عمل في مكتبة الفاتيكان فقام بفهرسة المخطوطات العربية الإسلامية فيها فأصدر كتابه "ثبت بالمخطوطات العربية الإسلامية في مكتبة الفاتيكان عام 1935 و"أبحاث في تكوين أقدم مجموعة من المخطوطات الشرقية في مكتبة الفاتيكان" عام 1939.

وأصدر دراسة بعنوان "قطع من القرآن بحروف كوفية في مكتبة الفاتيكان" (1947) ودراسة أخرى بعنوان (مخطوطات عربية من أصل أسباني في مكتبة الفاتيكان 1962) وأثناء صدامات أوروبا مع اليهود قبل وخلال الحرب العالمية الثانية هاجر دلافيد إلى أمريكا ليعمل في جامعة بنسلفانيا (1939) وفي عام (1945) عاد إلى روما أستاذاً للعبرية واللغات السامية المقارنة الإسلاميات.

ثم عمل أستاذاً للتاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية حتى عام 1961 وتتدرج أعماله العلمية تحت ثلاثة أبواب:

أ- الدراسات العربية و الإسلامية وفيها:

1- خلافة علي وفقاً لكتاب أنساب الأشراف للبلاذرى 1915.

2- خلافة معاوية الأول وفقاً للكتاب أنساب الأشراف للبلاذرى عام 1938.

3- المواد المتعلقة (بالأنساب) في دائرة المعارف الإسلامية اعتماداً على كتاب الجمهرة في النسب لابن الكلبي.

4- كتاب عن الخيول العربية في الجاهلية 1938.

5- مادة (العرب) في دائرة المعارف الإيطالية.

6- نوادر وتسليات عربية وغير عربية. (1959).

7- تحقيق كتاب (طبقات الشعراء) لابن سلام 1920.

8- بعض أبيات شعر ليزيد الأول عام 1926.

9- مناسبة عن السمؤل 1931.

10- نفط ومسائل في التاريخ الأدبي العربي 1932.

11- عميرة بن جعيل شاعر لا وجود له 1963.

12- الترجمة العربية لتواريخ اوروسيوس 1951 و 1981.

ب- وله كتب عدة في اللغات السريانية منها:

أطوار بين أقوام البلاد في سلسلة الكتاب المسيحيين القدماء، روما. (1921).

في خصائص السامين ضمن كتاب (التاريخ والدين في الشرق السامي) 1934.

الساميون ودورهم في التاريخ الديني 1938.

العبرانيون، تاريخهم وديانتهم وحضارتهم 1924.

جـ- وله أبحاث في النقوش الفينيقية (البونية)([221]).

8- فران (1782 – 1851)

مستشرق روسي، ولد فران في روستوك من أعمال ألمانيا، وتخرج من جامعتها واتجه اتجاهاً جديداً في عصره وهو الحضارة والثقافة والتاريخ والآثار والنقود فكان من أكثر المستشرقين صبراً على البحث وإخلاصاً فيه ووفرة نتائج. وقد قدم برحلات طويلة كان آخرها إلى روسيا بدعوة من القيصر لتدريس العربية في جامعة قازان (1807 - 1817) ودراسة أنواع النقود الإسلامية، وفي سنة 1818 انتقل إلى بطرسبرغ حيث أنتخب عضواً في مجمع العلوم الروسي، وكلف بالإشراف على المتحف الآسيوي الذي أسس في تلك السنة فأنشئ القسم العربي برعايته ونال منه عناية خاصة، وكان للجهود الشخصية الكبيرة العلمية التي قام بها مؤسس المتحف المذكور الدور الفعال في تبويب الأقسام وتنظيمها وفي إرساء تقاليد علمية جديدة لدراسة الآثار الشرقية من قطع نقدية ونماذج مختلفة عن بعض المعالم الحضارية العربية، وبجهوده أيضاً لفت أنظار الذين حوله من الاختصاصيين على ضرورة وأهمية دراسة المسكوكات العربية، ووضع في عام 1823 دراسة عن (ابن فضلان) ما زالت حتى الآن ترتدي أهمية خاصة لأن الباحث الذي يقرأها يتمكن من الاستلال على الطريقة الفضلى لدراسة المراجع الروسية والأجنبية المتعلقة بالتراث العربي وبتاريخ الاستعراب الروسي. كما أن فرين كتب عدة مقالات علمية عن الاستشراق الأوروبي والروسي نشرها في مجلات غربية وروسية.

أما عمله في المتحف فقد أرسى حجر الزاوية لمدرسة علمية متكاملة لدراسة المخطوطات الشرقية، حيث أدخل هو بالذات الطباعة العربية إلى المتحف فحافظت على العديد من المخطوطات القديمة التي كانت مكتوبة على الجلد. إن نشاط (فران) في المتحف الآسيوي أكسبه احترام وتقدير كل المستشرقين الروس حيث تأثروا به جميعاً سواء بفضل إحساسه العلمي المرهف أو ثقافته الأكاديمية العالية. لقد ترك فران آثاراً عظيمة سار على خطاها تلاميذه الذين ساهموا بدورهم في تقدم علم الاستشراق وأهمهم سينكوفسكي وفولكوف([222]). فالمكانة العلمية الكبرى والمعرفة الموسوعية والإلمام العميق بثقافة العرب التي كانت تميز أفكار ونشاط فران وسينكوفسكي (تلميذه) كانت موضع تقدير واهتمام الأوساط الأدبية والثقافية الروسية وبواسطة هذين المستشرقين الكبيرين تطورت حركة الاستعراب الروسية([223]).

وقد ساعد التراث الغني الذي تركه المستعرب الكبير (فران) في أغناء خزانة المخطوطات في المتحف الآسيوي، وفي ترسيخ تقاليد علمية في ميدان الاستشراق الأمر الذي أدّى إلى دفع مسيرة الاستشراق إلى الأمام. تمثل هذا بإقامة كلية خاصة للغات الشرقية تم افتتاحها عام 1855. هذه الكلية التي تمركز وتمحور حولها الاستشراق والاستعراب الروسي([224]). توفي هذا الرمز الكبير عام 1851م في موسكو (حيث كان قد استقر بقية حياته)([225]).

من آثاره:

تربو آثار فران على مائتي مؤلف وبحث وتحقيق وتصنيف ودراسة منها:

1. عدة تواليف عن النقود أشهرها كتابه "صفة بعض الدراهم" قازان (1808).

2. نشر لامية العجم للطغراثي ولامية العرب للشنفرى (قازان 1814).

3. فهرس لمجموعة مخطوطات شرقية في المتحف الآسيوي.

4. أول من نشر معلومات عن الروس والسلافيين والبلغار القاطنين ضفاف الفولغا وعن الشعوب المجاورة لها لرسالة (ابن فضلان) في معجم البلدان لياقوت مضيفاً إليها ما عثر عليه من كتب العرب عن قبائل روسيا القديمة (بطر سبرغ 1823).

5. مقالة ابن الوردي عن كتابه خريدة العجائب.

6. تحفة الدهر من عجائب البر والبحر لشمس الدين الأنصاري الدمشقي. (نشر وتحقيق) ([226]).

9- فكنور رازين (1849 – 1908)

البارون فكتور رازين، مستشرق روسي من أصل فرنسي. والدته من جورجيا، ولد في روك من أعمال استلاند([227])، التحق بالكلية الشرقية وهو في السابعة عشر من عمره (1866م). وقد التقى (بجرجس) الأستاذ المستشرق الذي يدرس في الكلية. وسرعان ما لحق بأستاذه بالكلية فصار مساعداً له، ثم تعاون معه في تنظيم العمل وفي تأليف الدراسات والكتب. كان من المبرزين في اللغتين العربية والفارسية كما أنه يجيد العبرية. تعرّف على الاستشراق الغربي حين كان في لايبزغ (1870). تعرف على المستشرقين فليشرغ (1801 – 1888) والواردت (1828 – 1909) وتأثر بالأخير منهما حيث كان واسع الاطلاع على الشعر والأدب العربي والشرقي عموماً. وبنا علاقات جيدة وطيدة مع أهم المستشرقين في أوروبا مثل كولد تسيهر المجري (1850- 1898) والإنجليزي براون (1862- 1926). والهولنديان م. ي دي خوية (1836- 1909) ومزت هواتسم (1851- 1943).

انشغل رازين بالتحقيق وبالمخطوطات الشرقية وأنجز عدداً مهماً منها أبرزها مخطوطة الجغرافي (البكري) ومخطوطة الرحالة الكبير (ابن فضلان 1904). كان يدعو لتوسيع دائرة الاستعراب لتتناول دراسة تحليل القضايا الدولية وفي صنع القرارات التاريخية المصيرية للشعوب كانت طموحاته أكبر بكثير من الإمكانات المتوفرة في الاستشراق الروسي([228]).

ومن نشاطاته الاستشراقية لعبه دوراً بارزاً في المؤتمر العالمي الثالث للمستشرقين الذي عقد في بطرسبرغ في العالم (1876) وانتخب فيه مسئولاً عن العلاقات الخارجية ومساعداً للأمن العام لاتحاد المستشرقين العالميين وعين عميداً للكلية الشرقية لمدة عشر سنوات (1893- 1903) وترأس القسم الشرقي للمخطوطات وحوله إلى جمعية استشراقية لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الاستشراق الروسي. وأنشأ لها مجلة (زايسكا) أو (الرسائل) ورأس تحريرها فكانت أول مجلة استشراقية علمية بالروسية (1886). وقد أهدى قبل وفاته كل مخطوطاته الشرقية إلى المتحف الآسيوي، فصنف كراتشكوفسكي لها فهرساً نشره مجمع العلوم (1918).

آثـــاره:

1. فهرس المخطوطات العربية الفارسية في بطرسبرغ وبولونيا.
2. فهرس المخطوطات الفارسية والتركية والعربية في جامعة بطرسبرغ.
3. نشر تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي (1883).
4. تاريخ حبيب المنجي (1884).
5. دراسات في تاريخ بيزنطية.
6. دراسات عربية مترجمة روسية (اقتفاءً لأثر فران في الأخذ عن المصادر العربية للكشف عن تاريخ روسيا والسلافيين).
7. أخبار التاجر إبراهيم بن يعقوب. وهي باب من أخبار البكري (1878- 1930).

8. ترجم جزءاً من ذيل ابن البطريق يحتوي على تاريخ الملك باسيل البلغاري، بطرسبرغ (1883).

9. وضع مقدمة جديدة من رسالة ابن فضلان.

10. شارك في طبع تاريخ الطبري.

11. كتب جملة أبحاث عن البكري (1878- 1903).

12. كتاب اختراع الخراع للصفدي (1925).

13. ترجمة قصة برلعام ويوصافات في العقد العاشر من القرن التاسع عشر طبع سنة 1947([229]).

10- كرايمسكي (1871- 1941)

انتعشت مسيرة الاستشراق الروسي في نهاية القرن التاسع عشر على يد الشاعر المستشرق الروسي كرايمسكي الذي بدأ نشاطه الاستشراقي عام 1898 حيث دخل معهد لازارسكي في عام 1889 وتخرج فيه عام 1892 والتحق بعدها بكلية الآداب في جامعة موسكو، ذهب إلى سوريا ودرس كتباً عديدة وحقق مخطوطات عربية متنوعة. وأظهر موهبة في تعليم العربية حين عودته إلى بلاده وكان يدرس العربية والفارسية والتركية. وأسس مكتبة كبرى في جامعة موسكو وكان يهتم بكتب تاريخ العرب كثيراً والكتب النقدية والروائية التاريخية مثل "ألف ليلة وليلة" واطلع عليها صديقه (تولستوي) الذي اطلع أيضاً على القرآن والدراسات التي كتبت حوله وخاصة اللغوية فيها.

كتب كرايمسكي عن تاريخ الآداب العربية والثقافية العربية فجمعها المستشرق خاليدوف ونشرها له عام (1971). وفي عام 1906، وكان كرايمسكي يخرج بمحاضراته الاستشراقية في الجامعة إلى الجمهور القراء([230]).

أما الوظائف التي شغلها فهي الأستاذية للعربية وآدابها في كلية لازاريف وللعربية في قازان وسكرتير لمجمع العلوم الأوكراني وبعد الثورة رأس الدراسات العربية في خاركوف يعاونه فيها توفيق جبران قزما([231]).

آثـــاره:

1. كتب مدرسية عديدة.
2. منتجات مدرسية في الأدب العربي مشاركة يوسف عطايا (1916).
3. العالم الإسلامي ومستقبله (موسكو 1899).
4. تاريخ الإسلام في جزأين (موسكو 1904).
5. ترجمة تاريخ الشعوب السامية لنولودكه (1903).
6. ترجمة ألف ليلة وليلة بمقدمة إضافية (موسكو 1904).
7. الأدب العربي الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (موسكو 1906).
8. ديوان الحماسة لأبي تمام (موسكو 1912).
9. الشاعر الزنذديق ابان اللاحقي (موسكو 1914).
10. دخول الروس في النصرانية (1927).
11. الأدب العربي (المعجم الموسوعي لمعهد جرانات 1936).
12. سلسلة دراسات نفسية عن الإسلام.
13. أبو فراس الحمداني والمتنبي (موسكو 1914).

14. فقرات من البهائية بمشاركة "بندلي جوزي".

11- يو. كراتشكوفسكي (1883- 1945)

مستشرق روسي درس الفارسية والتركية والأوزبكية والعبرية والحبشية في قسم اللغات الشرقية بالكلية الشرقية بجامعة بطرسبرغ في فيلنا عاصمة ليتوانيا.

درس التاريخ الإسلامي على بارتولد (1869- 1930) ودرس اللغات على ميليورانسكي المتوفى سنة 1906 وهو من كبار المتخصصين في هذا العلم وكان لاختلاطه بالعرب المقيمين في روسيا أثر في تقوية لغته العربية. كتب بحثاً عن (الإدارة في خلافة المهدي) وتخرج في كليته ثم التحق بقسم الدراسات العليا بالكلية نفسها ودرس على روزن (1849- 1908) ونال درجة الماجستير فيها في (شاعرية أبي العتاهية). ارتحل إلى الشرق العربي وزار معظم دوله.

عين في عام 1910 مديراً لمكتبة قسم اللغات في جامعة بطرسبرغ ثم معيداً للعربية فيها.

وحصل على الدكتوراه عام 1913 عن (الوأواء الدمشقي) عام 1917 عين أستاذاً للعربية في الجامعة وأشرف على القسم الشرقي ثم عين رئيساً للكلية الشرقية في جامعة موسكو وفي عام 1921 انتخب عضواً في أكاديمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات وأصبح كاتماً لأسرار هذا القسم وانتخب عضواً في جمعية المستشرقين. ورشح عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1923.

مؤلفاته:

1. تاريخ الشعر العربي ونقده منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث.
2. تاريخ آداب اللغة العربية بين نصارى العرب.
3. تاريخ آداب اللغة العربية منذ نهضتها الأخيرة في القرن التاسع عشر.
4. التراث العربي عامة وحركة الاستشراق الروسي.
5. الإسلام والحضارة العربية.
6. وترجم القرآن الكريم إلى الروسية.
7. تاريخ الأدب الجغرافي العربي "وهو موسوعة علمية في جانب الحضارة العربية".
8. ترجم الجزء الثاني من الأيام لطه حسين.
9. ترجم رسالة الملائكة للمعري عام 1910.
10. نشر الرسالة الثانية لأبي الخزرجي الينبوعي (300- 391 هـ) عن معجم البلدان لياقوت.
11. نشر (الأخبار الطوال) للدينوري عام 1912.
12. المنازل والديار لأسامة بن منقذ عام 1925.
13. نشر كتاب (البديع) لابن المعتز العباس (247- 296).

14. نشر (طبقات الشعراء) لابن المعتز العباس.

15. أثر الكتاب الروسي في الأدب العربي (1911).

16. نشأة وتطور الأدب الحديث 1922.

اختص بالأدب الجغرافي العربي لأنه كان يرى أن هذا الأدب يعد مصدراً أساسياً في دراسة ماضي العالم الإسلامي وهو معين لا ينضب لا للمؤرخ أو الجغرافي فحسب بل لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين وللغويين ولعلماء الطبيعة أيضاً ويمدنا بمعلومات كبيرة عن جميع بلدان الخلافة الإسلامية وهو المصدر الوحيد والمهم لتاريخ حقبة معينة لشعب ما فضلاً عن أنه مصدر يستقي منه كل الباحثين ويتصل اتصالاً وثيقاً بمنهاج الرحلات وعلوم الشريعة وقد تحدث كراتشوفسكي عن كثير من الجغرافيين العرب وآثارهم كالخوارزمي والكندي والبتاني والدينوري والحظ وابن بطوطة وابن خلدون والزبيدي وكثيرين غيرهم. وكان من رواد الباحثين في مجال العلوم والآداب الجغرافية في عالم الاستشراق. ومن المآخذ التي ينتقد عليها:

"مخالفته لضميره العلمي فيما كتب في الفصل الأول في كتابه من هجوم على الإسلام وعلى القرآن الكريم والحديث النبوي فأصدر أحكاماً في قضايا ليست من اختصاصه أولاً " وهو ليس من المحايدين فيها حتى يستطيع إصدار أحكام حولها
ثانياً". ومن ذلك الارتجال الشديد ما قاله في مواضيع عدة من الفصل الأول في كتابه.

لقد خرج عن الحياد العلمي والموضوعية العلمية خروجاً ينافي أبسط قواعد الأمانة العلمية والحياد الفكري في القضايا التي تطرح على بساط البحث والتي يجب أن يكون الحكم فيها محايداً حياداً تاماً ونزيهاً في كل ما يصدره من أحكام.

وقد كان أحرى أن يعتذر عن إصدار أحكام في قضايا هو بعيد عنها بعداً شاسعاً. ولكن هكذا أساءت هذه الصفحات القلائل من الكتاب لكراتشكوفسكي ولتاريخه العلمي إساءات لا تغتفر([232]).

12- رينيه ديساو (1868- 1958)

مستشرق فرنسي اشتهر بدراسته عن سوريا والنصيرية بصورة خاصة. كان أبوه من المهندسين الذين اشتركوا في بناء قناة السويس.

سافر إلى سوريا عام 1895. وأصبح أستاذاً في الكلية الفرنسية في باريس منذ 1905- 1910 وأصبح رئيس المحافظين في متحف اللوفر 1928- 1936. وتخصص في ميادين عديدة أهمها (تاريخ الأديان). وقد أصدر الكتب التالية:

1. العرب في سوريا قبل الإسلام. باريس 1907.
2. دخول العرب في سوريا قبل الإسلام باريس 1955.
3. الآثار الفلسطينية واليهودية في متحف اللوفر 1912.
4. تاريخ النصيرية وديانتهم 1900.
5. تعليقات عن الأساطير السورية 1903- 1905.
6. تقديم الأضاحي عند بني إسرائيل والفينيقيين 1914.
7. نشيد الإنشاد محولة لبيان مصادر القصيدة المنسوبة إلى سليمان 1919.
8. الأصول الكنعانية لتقديم الأضاحي عند بني إسرائيل 1941.
9. معابد وعبادات الثالوث الهليوبولسي 1942- 1943.
10. يهوا اين ايل 1957.
11. المدخل إلى تاريخ الأديان 1914.

ويرجع اهتمامه بسوريا لكونها الإطار الرئيس لنشأة اليهودية والمسيحية وهما من الموضوعات التي ركز عليها كثيراً([233])، حيث أن دراساته قد انصبت على تاريخ الأديان.

13- لويس ماسينيون (1883 – 1962)

من أشهر المستشرقين الفرنسيين، الذين قضوا حياتهم الاستشراقية في البحوث الطائفية والمذهبية وهو باحث قدير له شأنه.

قضى مدة طويلة من حياته في العراق وسوريا ومصر.. وعمل في وزارة الداخلية الفرنسية واشترك في الحرب العالمية الأولى بصفة ضابط. ودخل القدس أثناء احتلالها من قبل الجنرال اللنبي سنة 1917.

انصب اهتمامه الأول على التصوف الإسلامي وقضى مدة طويلة من حياته في الكتابة عن (الحلاج) وأصدر كتاباً اسمه (عذاب الحلاج شهيد التصوف في الإسلام) سنة 1922 حتى أنه اشتهر به شهرة واسعة.

وأصدر كتابه عن "مجموع النصوص غير المنشور المتعلقة بتاريخ التصوف في بلاد الإسلام سنة 1929.

أما في دائرة المعارف الإسلامية فله بحوث تحت العناوين التالية (القرامطة، الخزار، الكندي، ليون الإفريقي، معروف الرصافي، المحاسبي، النوبختي، نوبخا، نور مهدي نصيري، سهل التسترى، السالمية، السنوسية، شطح، الششترى السري السقطي، الترمذي، اخيضر، الوراق، ورد، زنج، زنديق، زهد) ومعظمها تدور حول التصوف أو التشيع وما قاربها.

اختير عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة من (1933- 1957). وفي مجال (الحلاج) أصدر كتباً وبحوثاً أخرى منها: (ديوان الحلاج) 1931 ثم (أخبار الحلاج) أعيد طبعه عام 1957 ثم (أسانيد أخبار الحلاج) سنة 1946 و (حياة الحلاج بعد وفاته) 1946 (ثم المنحى الشخصي لحياة الحلاج)([234]) ثم (أسطورة منصور الحلاج في بلاد الأتراك) 1941 –1946.

و(كتابات العطار عن الحلاج) و(مراجع جديدة عن الحلاج) 1948 و(قصة الحلاج) 1954 وهي قصة كتبت بلغة شعبية وكتب بحوثاً أخرى في التصوف منها: (ابن سبعين والنقد النفساني) 1929 و(أبي الحسن الششتري) 1949.

وبعد زيارته للعراق كتب بحثاً بعنوان (سلمان باك والبواكير الروحية للإسلام الإيراني)([235]) عام 1934 وكتب عن (النصيرية) في دائرة المعارف الإسلامية. وأصدر في عام 1939 (ثبت مراجع عن النصيرية) (وثبت مراجع عن القرامطة) عام 1935.

ثم كتب بحثاً عن (فاطمة بنت الرسول) "رضي الله عنها" وعن مكانتها عند الشيعة (1938 – 1939). وعن (المباهلة في المدينة وفاطمة 1955).

وعند وجوده في المغرب العربي عام 1906 وما بعدها نشر بحوثاً أخرى منها (جداول بأسماء القبائل العربية والبربرية) وآخر عن (طريق فاس) وثالث عن (مراكش بعد الفتح العربي) مع جرد للمناطق التاريخية في مراكش.

وكتب عن (أهل الكهف) 1955 ثم كتب بحثاً آخر في الموضوع ذاته عام 1962 في مجلة الدراسات الإسلامية استوعب فيه قصة أهل الكهف في الإسلام والمسيحية. وله محاضرات (لم تنشر) عن الأحوال الاجتماعية والأنظمة الاجتماعية في العالم الإسلامي على مر العصور. وهي مجموعة محاضراته التي ألقاها في الكوليج دي فرانس طوال خمسة وثلاثين عاماً.

14- كولان (1893 – 1977)

مستشرق فرنسي عني بلهجات وحياة المغاربة ودرس العلوم الشرقية وانخرط في الجيش الفرنسي وانتدب ترجماناً في مصلحة الاستخبارات الفرنسية وكان يعمل في باب المروج وكف الغار.

أقام في القاهرة مدة حتى عام (1919 -1921) وعمل رئيساً لقسم الدراسات الاجتماعية في طنجة.

ثم عمل مترجماً في وزارة الخارجية سنة 1930 ثم قنصلاً ثم مستشاراً في شؤون الشرق ثم مديراً للدراسات في معهد الدراسات العليا المراكشية حتى عام 1958. بعد ذلك انتقل للعمل في الكوليج دي فرانس 1927 – 1937.

من أعماله:

1. تعليقات تتعلق باللهجة العربية في شمالي منطقة تازة بمراكش 1920.
2. معجم اصطلاحي للغة المراكبية في النيل 1922.
3. تحفة الأحباب. معجم في المادة الطبية المراكشية 1934.
4. وثائق مراكشية تفيد في تاريخ الداء الفرنجي "الزهري" 1935.
5. مختارات مراكشية 1939.
6. الحياة المراكشية 1953 وهو مجموع من النصوص الاثنوجرافية باللهجة العامية المغربية.

وواضح من هذا أن اهتمام كولان هو دراسة اللهجات العربية العامية في مراكش([236]).

15- رودولف شتروتمان (1977 – 1960)

مستشرق ولاهوتي ألماني اهتم بصورة خاصة بالمذاهب الباطنية في الإسلام. درس على كارل بروكلمان. وعمل أستاذاً في جامعة جيسن Giessen وفي جامعة همبورغ. وظل طوال حياته لاهوتياً شديد التعصب لديانته وكرس جهده الاستشراقي على دراسة المذاهب الإسلامية الباطنية والأقليات الدينية والفرق قضى وقته أولاً بالزيدية فأصدر كتباً عدة حولها ودرس الاثني عشرية والإسماعيلية والنصيرية والدروز والفرق الغربية الأخرى في الإسلام ومن أشهر أبحاثه:

1. بدر واحد وكربلاء نشره عام 1926.
2. مؤلفات الشيعة عام 1926.
3. البربر الأباضية عام 1928.
4. وله في دائرة المعرف الإسلامية الصادرة عام 1936 و 1934 مواد السبعية والشيعة والتقية والتشبيه والتعزية والثنوية والمحمدية والظاهرية.
5. من تاريخ الفرق المبتدعة في الإسلام 1938.
6. رد الدروز على هجوم النصيرية عام 1939.
7. المذهب السري للباطنية بحسب كتاب (عقيدة أهل البيت) لمحمد بن الحسن الديلمي عام 1939.
8. نصوص غنوصية للإسماعيلية 1943.
9. أعياد النصيرية، متن أساسي في دولة العلوين في سوريا 1946.
10. النصيرية في سوريا اليوم 1950.
11. النصيرية بحسب مخطوط برلين العربي عام 1952.
12. فقه الإسماعيلية 1954.
13. آراء سرية غريبة عند النصيرية 1958.
14. تناسخ الأرواح عند النصيرية 1959.

وكتب بحوثاً أخرى غيرها. وتبين الجانب الأساسي في دراساته وهو تركيزه على الفرق الباطنية والغالية وأحياء معالمها فضلاً عن بحوث طائفية أخرى في الأديان الأخرى ومنها:

1. كتاب بعنوان – الكنيسة القبطية في العصر الحديث 1932.
2. المسيحية الشرقية اليوم ومصير الآثوريين 1936.
3. الشرق وكنائسه في منظور التوحيد بين الكنائس 1938.

توفي شتروتمتن عام 1960 بعد أن وضع حجر الأساس للدراسات الطائفية في المكتبات العالمية([237]).

16- شاخت (1902 – 1969)

مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي.. ولد في 15 مارس 1902 في رتيبو (سيليزيا الألمانية) ودرس الفيلولوجيا الكلاسيكية واللاهوت واللغات الشرقية في جامعتي برسلاوليبتسك من جامعة برسلاو على الدكتوراه الأولى في سنة 1923. وبعد أن حصل على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة عين في 1925 مدرساً في جامعة فرايبورج (في برسجا وجنوب غرب ألمانيا) وفي سنة 1934 انتدب للتدريس في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً) لتدريس فقه اللغة العربية واللغة السريانية – بقسم اللغة العربية – بكلية الآداب واستمر أستاذاً في الجامعة المصرية حتى سنة 1939.

* شاخت الألماني يلتحق بالإذاعة البريطانية

ولما قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939 انتقل من مصر إلى لندن حيث اتخذ يعمل في الإذاعة البريطانية (B.B.C) لحساب بريطانيا وحلفائها على وطنه ألمانيا وكان – وفي مصر ساخطاً على حكم النازية في ألمانيا – وإن كنا لم نلحظ عليه شيئاً من ذلك منذ أن جاء إلى مصر سنة 1934 حتى تركه أياها غداة قيام الحرب. وقد تعرفناه منذ قدومه إلى كلية الآداب وفي أثناء إقامته في انجلترا تزوج سيدة انجليزية وفي سنة 1947 تجنس بالجنسية البريطانية ولم يعد إلى وطنه الأصلي ألمانيا بعد انتهاء الحرب في سنة 1945([238]).

ولم تكّرمه بريطانيا، بل لم تعطه حقه في ذلك. إذ على الرغم من الشهادات والخدمة لم يعين أستاذاً لا في أكسفورد ولا غيرها (وهكذا لم تنفعه خيانته لوطنه ألمانيا. وعلى كل حال فقد ترك بريطانيا في سنة 1954 وعين أستاذاً في جامعة ليدن (هولندا) حيث استمر حتى 1959)([239]).

في خريف سنة 1959 انتقل إلى نيويورك، وعين أستاذاً في جامعة كولومبيا وبقي حتى وفاته 1969.

أعماله العلمية:

1. في لندن. اشترك في الإشراف على الطبعة الثانية من (دائرة المعارف الإسلامية).
2. دراسة مخطوطات عربية.
3. تحقيق نصوص مخطوطة في الفقه الإسلامي.
4. دراسات في علم الكلام.
5. مؤلفات ودراسات في الفقه الإسلامي.
6. دراسات ونشرات في تاريخ العلوم والفلسفة في الإسلام.
7. متفرقات.

وأما في ميدان المخطوطات فقد عني بدراسة بعض المخطوطات الموجودة في اسطنبول والقاهرة وفاس وتونس.

ونشر شاخت نصوصاً فقهية عدة وهاك بعضها:

1. الحضاف (كتاب الحيل والمخارج) هانوفر 1923.

2. أبو حاتم القزويني (كتاب الحيل في الفقه) هانوفر 1924.

ومن باب الكلام والعقائد ألف كتباً ونشر مقالات (الإسلام) توبنجز 1931 – مختصر في العقائد الإسلامية.

لكن الميدان الحقيقي الذي برز فيه شاخت هو تاريخ الفقه الإسلامي وأهم ماله في هذا الباب كتابه الرئيسي "بداية الفقه الإسلامي" أكسفورد 1950 ويقع في (350) صفحة وأعيد طبعه.

وقد درس فيه بصورة خاصة مذهب الإمام الشافعي استناداً إلى "الرسالة" للإمام الشافعي. ويتلوه في الأهمية كتيب صغير بعنوان (خطط تاريخ الفقه الإسلامي) وقد نشر في باريس عام 1953 في 91 صفحة.

وقام بإعداد موجز في "الفقه الإسلامي" كان قد تركه مخطوطاً برجشتريسر فنشره وألف مدخلاً في الفقه الإسلامي باللغة الانجليزية وكتباً أخرى في هذا المجال([240]).

ولم يكن شاخت متبعاً للمنهج العلمي في بحوثه كما ذكرنا سابقاً والغريب أن بعض الباحثين أثنى عليه فقال عنه: (كان شاخت حريصاً على الدقة العلمية في عرض المذاهب الفقهية وفي دراسة أمور الفقه بعامة مبتعداً عن النظريات العامة والآراء الافتراضية التي أولع بها أمثال جولد تسيهر وسنتلانا، من كتبوا في الفقه الإسلامي، ولهذا كانت دراسات ومؤلفات شاخت أبقى أثراً وأقرب إلى التحقيق العلمي وأوثق وأجدى)([241]).

الخاتمة

كانت هذه الدراسة، محاولة مختصرة لعرض الاستشراق العالمي منذ نشوئه وإلى اليوم الحاضر. في كل مراحله وتنقلاته، وكله يعكس أمراً واحداً، هو عظمة ماضينا. واهتمام العالم كله به، لكن ذلك الاهتمام لابد أن ينظر له بكل حذر. إذ أنه من السخرية حقاً أن يقال لنا بأن ماضينا عظيم. لكن حاضرنا هو دونه، وأن إنسان الحاضر قاصر عن إدراك ماضيه. فيحاول المستشرق أن يفسر لنا ذلك الماضي ضمن أطر معينة يدعوها بحثاً علمياً رصيناً.

إن المستشرقين قد اتخذوا من ماضينا إذن أداة لتشويه حاضرنا، فزيفوا ذلك الماضي كما زيفوا الحاضر، حين عكسوا للمجتمع الغربي أموراً ليست هي من صلب حقيقتنا. والدوافع كانت مرة دينية وأخرى سياسية وثالثة هي "الجهل". فالغربي لا يمكن أن يفهم الشرقي. وإن التعرف الذي يدعيه الغربي لحقيقة الشرق، إن هو "إلا ضرب من المثالية اللا واقعية. إذ إن الشرق لا وجود له ضمن الأطر التي وضعها المستشرق له، لأن في الشرق مجتمعات ذات بنيات مختلفة متعددة من المتعذر على الغربي أن يحصرها في إطار معين واحد. والمستشرق من خلال هذا المفهوم يخدم الغرب في أمرين:

الأول: أن يسلب الشرقي حق التعبير عن نفسه والتكلم بالنيابة عنه بالإدعاء بأنه يملك الأداة التي يبحث بها علمياً في تراثنا ونفتقر لها.

الثاني: أن يجعل الشرقي يتحدث بالطريقة وبالصورة التي رسمها له. ووضعه ضمن إطارها([242]).

الشرقي صاحب التراث، والمفروض أن يتكلم عنه، لا أن يدع الآخرين يعبرون عما ليس في نفسه.

المستشرق يقول بأنه من المفيد دائماً أن ينظر المرء ثانية إلى حضارته أو لغته من خلال نظرات الآخرين إليها إذ إنه من الممكن أن ينجم عن هذا الاتصال وهذا الحوار تفهم أفضل وتعمق في المعلومات"([243]) فنظرتنا إلى تراثنا وفهمنا لها لا تكفي إذن في رأي المستشرق. أي لابد وأن تعتمد نظرتهم هم تحليلهم هم. فهل شاركونا في تحليل تراثهم؟ هل أخذوا رأينا في حقائقه؟ أم أنهم يريدون أن يقنعونا بأننا دون مستوى فهم تراثنا لذلك يمدون إلينا أفكارهم لنفهم أنفسنا وحضارتنا وتراثنا من خلاله؟ إن للاستشراق قديمه وحديثه بنية واحدة لا تختلف، وهي بنية علاقات السيطرة والهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية للغرب على الشرق. فالاستشراق ليس نتيجة للامبريالية وإنما هو جزء لا يتجزأ منها([244]).

إن التعرف على الدوائر الاستشراقية من خلال معايشتها يجعل الإنسان يكتشف أهدافاً كثيرة للاستشراق فضلاً عما يقوم به في خدمة للتراث وتحقيق لنصوصه فإن المستشرقين يهدفون إلى الكتابة إلى الأوروبيين ما يريدون قراءته من ناحية وما يحتاجه الشرقيون لفهم ومعرفة أنفسهم، ليصبح وجود المستشرقين شرعياً ومبرراً في عملية إحلال صوت المستشرق مكان صوت الشرقي. أي بمعنى آخر، إقصاء الشرقي عن المسرح الذي يتم فيه تمثيله، فلا صوت له إلا الذي

أريد له نعم هكذا أريد للاستشراق، أن يكون "خطاباً" يحكي ما يجب أن يقال عن الشرق في المجتمعات الغربية فيساعد في إكساب تقييم الغربيين للشرق مقام الحقيقة([245]).

لذلك نرى الدول الغربية تنشط في إقامة المؤتمرات العلمية الاستشراقية وتأسيس الجمعيات والمنظمات الاستشراقية وتكثر من إصدار المجلات وتنشر نشاطها الاستشراقي ليتجاوز حدودها وتعميق الدراسات اللغوية واللهجات المحلية، فتضمن استمرار مصالحها من خلال تعميق التعاون الثقافي بينها وبين البلدان العربية.

بقي أن نذكر أن كثيرين سيتعرضون على (الإطلاق) في اتهام المستشرقين، حيث أثبت بعضهم تفانياً في خدمة التراث العربي، وأن شباباً منهم كثيرين يمكن أن تمتد الأيدي إليهم والتعاون معهم والاستفادة من آرائهم العلمية غير المنحازة.

أما الرد على ذلك الاعتراض فيمكن أن نجمله في أن الاتهام يكمن في الآراء التي كونوها عن الأمة العربية – كما أسلفنا.

والتي اتخذها المستشرقون جميعهم، قديمهم وحديثهم مسلمات بديهية مبني عليها استشراقهم وكيانهم العلمي.

أن الاستفادة من المستشرقين وطلاب الاستشراق يمكن أن يتم عبر التعاون معهم. إلا أنه يجب ألا نعتقد بأن دور المستشرق سيكون كدور الإعلامي أو (السفير العربي) في بلده. لأن المستشرق – حتى وإن مد يده إلينا – إنسان يمت إلى عالمين مختلفين عنا تماماً، وهما عالم (الكنيسة الغربية) – وقد يكون يهودياً – ويمت إلى عالم (الغرب) نفسه. فإن كانت عند بعضهم بعض المناقب العلمية فإن لمعظمهم مثالب منكرة تعكس عالميهما اللذين لن يتوافقا معنا على أية حال. فضلاً عن أن مصلحة بلد المستشرق تتقدم على أية حقيقة علمية تمت إلى عالم الاستشراق لكن ذلك لا يمنع بطبيعة الحال أن تمتد الأيدي إليهم وإلى جيل الشباب منهم حيث لا يزالون في طريقهم العلمي.
ولكننا وكل ما نستفيد على الصعيد العلمي والثقافي والسياسي من ذلك التعاون فإنه لابد من الحذر من "الأنماط الجديدة التي يدخلها الاستعمار سواء من خلال الاستشراق أو ما يسميه حالياً انتهاء عصر الاستشراق" أو الدعوات لحوار التفاعل الثقافي والحضاري بين الشرق والغرب. حيث لا يقف الاستعمار وحده وراء مثل هذه الدعوات وإنما تقوم منظمات صهيونية بتمويله والتشجيع على إقامتها([246]).

فنحن إذن إزاء تحول الاستشراق إلى ميدان العلوم الإنسانية نحس بأن الخطر أصبح أشد قوة وعمقاً وأن الاستشراق يغير جلده ليدخل في مرحلة جديدة أكثر خطراً([247]).

المصادر والمراجع

1. الدكتور عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام، بغداد 1969.
2. الدكتور عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، بغداد 1981.
3. الدكتور فيصل السامر، الفكر العربي في مواجهة الفكر العربي، بغداد 1972.
4. الدكتور محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم. بيروت/ 1980.
5. الدكتور صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، بيروت 1978.
6. البرت ديترش، الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي ووضعها الحالي فيزبادن 1967.
7. أنور الجندي، التراث الإسلامي والمستشرقون. مجلة الهلال. العدد الأول، السنة الرابعة والثمانون، القاهرة، يناير 1967.
8. الدكتورة سوزان اسكندر. مع المستشرقين الإيطاليين. مجلة الهلال. العدد الأول السنة الرابعة والثمانون، القاهرة. يناير 1976.
9. سهيل فرح، الاستشراق السوفياتي والتراث العربي، مجلة الطريق العدد الخامس، بيروت. تشرين الأول 1981.
10. نبيل بيهم، الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة - مجلة الطريق العدد الخامس، بيروت. تشرين الأول 1981.
11. الدكتور ميشال جحا، الدراسات الشرقية في أوروبا. مجلة الباحث. العدد الثالث عشر. بيروت، أيلول – تشرين الأول 1980.
12. الدكتور ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا (منشورات معهد الإنماء العربي) بيروت 1982.
13. لسلي مكلوخن، الدراسات العربية في الجامعات البريطانية. محاضرة ألقيت ضمن (الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية، بيروت 1973).
14. فلاديمير فومتشوف، الدراسات العربية والإسلامية في الاتحاد السوفياتي محاضرة ألقيت ضمن (الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية، بيروت، 1973).
15. مارتينيا نوبلغربنو رونكاليا، ملاحظات حول الدراسات العربية في إيطاليا اليوم محاضرة ألقيت ضمن (الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية. بيروت، 1973).
16. اسطيفان فيلد، لمحة عن تطور الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا محاضرة ألقيت ضمن (الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية. بيروت، 1973).

17. ميشال الآر، الاستشراق الفرنسي المعاصر، محاضرة ألقيت ضمن (الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية. بيروت، 1973).

18. مصطفى الشهابي، كارل بروكلمان. مجلة الهلال. العدد الأول: السنة الرابعة والثمانون. القاهرة. يناير 1976.

19. اجناس كولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام. الترجمة العربية. القاهرة، (د.ت).

20. اجناس كولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي. الترجمة العربية. القاهرة، (د.ت).

21. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، الترجمة العربية. القاهرة، (د.ت).

22. يوليوس فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، الترجمة العربية. القاهرة، (د.ت).

23. الدكتور عبد المالك التميمي، الاستعمار الثقافي في منطقة الخليج العربي. مجلة الباحث. العدد الثالث عشر. بيروت، أيلول. تشرين الأول 1980.

24. مجلة أمريكان انثروبولوجست. العدد 70، 1970.

25. الدكتور خليل سمعان، محاضرة ألقاها في اتحاد المؤرخين العرب، 1984.

26. عباس محمود العقاد، فيما يقال عن الإسلام، مطبعة المدني، مكتبة دار العروبة، القاهرة، (د.ت).

27. ادوارد سعيد، الاستشراق، الطبعة الأولى، بيروت.

28. محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها. دار الإرشاد، بيروت 1971، ط3.

29. محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، نقلاً عن الاستشراق للدكتور إسحاق موسى الحسيني، محاضراً في الموسم الثقافي للأزهر ط2، قطر 1983.

30. مونتكومرى واط، محمد في مكة. تعريب شعبان بركات. المكتبة العصرية.

31. مصطفى السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. بيروت 1978.

32. رينولد نيكلسون. الصوفية في الإسلام، ترجمة نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة (1951).

33. د. حسين الهواري، المستشرقون والإسلام مطبعة المنار مصر 1936، (الطبعة الأولى).

34. مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، دار الرشاد. بيروت، 1969، ط1.

35. أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي. المكتب الإسلامي. بيروت، 1983.

36. رودى پاريت، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية. ترجمة مصطفى ماهر. دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967؟

37. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية. مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي. (1985).

38. آل شالتيه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين الخطيب منشورات العصر الحديث، الطبعة الثانية، جدة 1378هـ.

39. دائرة المعارف الإسلامية. كتاب الشعب. القاهرة (1969).

40. جريدة القبس الكويتية، العدد 2733 (1979).

41. جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ 25/ 9/ 1979.

42. محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين. بيروت الطبعة السادسة.

43. الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين دار العلم للملايين. بيروت، 1984.

44. د. عبد الرحمن بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام، القاهرة، 1947 .

45. خير الدين الزركلي، الأعلام، المجلد الثالث. بيروت، أيار 1980 الطبعة الخامسة.

46. رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون. بغداد 1978.

47. علي أدهم، المستشرق رينهارت دوزي. مجلة الهلال (العدد الأول)، السنة الرابعة والثمانون. يناير (1976).

48. د. الطاهر أحمد مكي. اسين يلاثيوس. مجلة الهلال (العدد الأول)، السنة الرابعة والثمانون. يناير (1976).

49. د. محمد عبد المنعم خفاجي. أ. يو. كراتشوفسكي والأدب الجغرافي العربي، مجلة الهلال (العدد الأول)، السنة الرابعة والثمانون. يناير (1976).

50. مصطفى صادق الرافعي - إعجاز القرآن.

51. ابن رشد – مناهج الأدلة.

52. الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية، جامعة بيروت العربية، طبعت في دار الأحد (البحيري اخوان) بيروت.

53. محمد غلاب، نظرات استشراقية في الإسلام، (دار الكتاب – القاهرة)، (د.ت).

54. محمد صبيح، القرآن، (ط. مصر 1939).

55. أحمد أمين، فجر الإسلام، القاهرة، (د.ت).

56. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة، (د.ت).

57. ابن قتيبة – الشعر والشعراء، القاهرة، (د.ت).

58. عباس محمود العقاد، إسلاميات، القاهرة، (د.ت).

59. محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، القاهرة، (د.ت).

60. مكسيم رودنسون، الإسلام والرأسمالية، ترجمة نزية الحكيم، دار الطليعة، بيروت 1968.

61. د. عبد الكريم زيدان والدكتور عبد القهار العاني، علوم الحديث، مطبعة جامعة بغداد، 1981.

62. أنور الجندي، الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - دار الكتاب، 1384هـ 1964م.

63. تبور استيدارد، حاضرة العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويفي، تقديم وتعليق الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر – بيروت.

64. المؤلفة الأمريكية الجنسية – العربية الأصل د. نجلاء عز الدين، العالم العربي، ترجمة محمد عوض إبراهيم – محمد دويل، محمد يوسف نجم برهان الدين الدجاني، تقديم وليم ارنست هوكنج، تصدير حسن جلال بوطرسي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

65. د. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (د.ت).

66. الإمام الشاطبي، الموافقات، القاهرة، (د.ت).

67. الأمير شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، القاهرة، (د.ت).

68. د. عبد القهار العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية، بغداد، (د.ت).

69. الاستشراق، أهدافه وآثاره، المؤتمر العلمي للاستشراق، كلية الفقه، الجامعة المستنصرية، بغداد 1986.

70. عمر فروخ ومصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار، المكتبة العربية بيروت 1970.

71. د. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

72. أبو الحسن علي الحسن الغدوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، القاهرة، (د.ت).

73. د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

74. د. طه حسين، في الأدب الجاهلي، الحالبي بمصر، (د.ت).

75. ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، القاهرة، (د.ت).

76. أرنو لدسير توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن ورفاقه، مكتبة النهضة، (د.ت).

77. أ. شالتيه، الغار على العالم الإسلامي، تقديم محب الدين خطيب، القاهرة، (د.ت).

78. شيخ الإسلام ابن تيمية ت 728هـ، منهاج السنة النبوية، المطبعة المصرية القاهرة، 1322هـ.

79. جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين الأسدي والدكتور إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).

80. وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى، تعريف ظفر الإسلام خان مراجعة وتحقيق د. عبد الصبور شاهين، الهند، 1966.

81. عبد السلام هارون، تهذيب السيرة لابن هشام، القاهرة 1374هـ.

82. أبي بكر عبد الدين أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت 316هـ، كتاب المصاحف، تصحيح آرثر مغربي، المطبعة الرحمانية بمصر 1936م، 1355م.

83. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

84. كتاب الأربعين في أصول الدين لأبي حامد الغزالي، القاهرة، (د.ت).

85. د. عبد القهار العاني، الفكر الإسلامي الحديث، مطبعة عصام بغداد 1986م.

86. د. مجيد حميد عارف، الاستشراق الروسي والاثنوغرافيا. مجلة الاستشراق. دار الشؤون الثقافية العامة. آفاق عربية العدد 3، 1989.

87. د. سهيل فرح، الاستشراق الروسي، نشأته، مراحله التاريخية. مجلة الفكر العربي العدد 31 (السنة الخامسة).

88. ليخاتشوف – شاعرية الأدب الروسي القديم. موسكو، 1977.

89. غريغوري شرباتشوف، الاستعراب في الاتحاد السوفياتي ومعهد شعوب آسيا، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي، دار نشر المطبوعات الشرقية. موسكو، 1961.

90. د. أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1404هـ، 1994م.

91. محمد حسين هيكل – عثمان بن عفان. دار المعارف بمصر ط3، 1973.

92. بيفانوف فيدرسوف، تاريخ الاتحاد السوفياتي. دار التقدم. موسكو (د.ت).

93. شميدت تارنوفسكي، موجز تاريخ الاتحاد السوفياتي. دار التقدم. موسكو، 1986.

94. محمد أسد شهاب، كفاح تركستان ضد الاستعمار الروسي. مؤسسة دار الصادق للنشر. بيروت (د.ت).

95. المفتي ضياء الدين بابا خانوف، الطريق إلى حياة جديدة، (مجلة المسلمون في الاتحاد السوفياتي. دار التقدم. قسم العلاقات الدولية للمنظمات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي. موسكو (د.ت).

96. د. سعدون محمود الساموك ود. عبد القهار العاني. مناهج المستشرقين. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. بيت الحكمة، بغداد، 1989.

97. د. سعدون محمود الساموك، المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن – دراسة أكاديمية، دار وائل للنشر. عمان،2006.

98. د. سعدون محمود الساموك. السيرة النبوية. دار وائل للنشر. عمان،2004.

99. د. صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت.
100. د. إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، دار وائل للنشر، عمان،2002.
101. د. محمد الدسوقي. الفكر الاستشراقي. تاريخه وتقويمه. المنصورة، 1415هـ، 1995م.
102. مجموعة من الأساتذة، محاضرات في الثقافة الإسلامية ط2، الجامعة الأردنية، عمان، 2002.

الهوامش

[1] يرفض ادوار سعيد أن يدعو الاستشراق (علماً) لأنه في رأيه يجهل موضوعه ويصور لنفسه حقائق غير موجودة. انظر نبيل بينهم الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة ص / 151.

[2] راجع د. عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام ص/ 6.

[3]المصدر السابق نفسه ص / 9 – 10.

[4] د. عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ص / 13.

[5] نفس المصدر السابق 11 – 12.

[6] نفس المصدر السابق ص / 13 – 14.

[7] د. عرفان عبد الحميد. المستشرقون والإسلام ص / 14.

[8] د. عبد الجبار ناجي – تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ص 14.

[9] أفاض الدكتور محمد صالح البنداق في كتابه (المستشرقون وترجمة القرآن الكريم). في ذكر أمثلة على إساءة الترجمات لمعاني القرآن الكريم.

[10] د. فيصل السامر، الفكر العربي في مواجهة الفكر الغربي ص/ 10.

[11] د. عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ص / 15.

[12] د. عبد الجبار ناجي، المصدر السابق ص / 60.

[13] أنور الجندي، التراث الإسلامي والمستشرقون ص / 60.

[14] د. عبد المالك التميمي، الاستعمار الثقافي في منطقة الخليج العربي ص / 128.

[15] د. عبد المالك التميمي. الاستعمار الثقافي في منطقة الخليج العربي ص /127.

[16] انظر د. فيصل السامر. الفكر الغربي في مواجهة الفكر الغربي ص / 14.

[17] د. فيصل السامر: الفكر العربي في مواجهة الفكر الغربي ص /15 – 165.

[18] محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص/ 60 وما بعدها.

[19] الحجر /9.

[20] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية 1/ 22.

[21] العقيدة والشريعة ص / 62.

[22] الفكر الاستشراقي – تاريخه وتقويمه ص/80.

[23] ص 135.

[24] الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوربية / جامعة بيروت العربية / الاستشراق الفرنسي المعاصر لأدب الدكتور ميشال الآر ص45-51 طبعت في مطبعة الأحد البحيري اخزان / بيروت.

[25] المؤمنون/70.

[26]العقيدة والشريعة في الإسلام (ت) يوسف وموسى وزميله 12 (ط مصر 1948).

[27] الفكر الاستشراقي ص/ 117 – 118.

[28] الفكر الاستشراقي، ص 85، نقلاً عن الإمام الشاطبي.

[29] الحجر /9.

[30] نفس المصدر السابق، ص 85.

[31] مذاهب التفسير الإسلامي ص 4.

[32] موسوعة المستشرقين ص 119 الدكتور عبد الرحمن بدوي.

[33] ترجم هذا الكتاب بالعربية الدكتور عبد الحليم محمود وآخر.

[34] انظر: المستشرقون والإسلام، ص 153.

[35] نظرات استشراقية، للدكتور محمد غلاب، ص42.

[36] انظر : المستشرقون والإسلام، ص 118.

[37] انظر: المصدر السابق، ص 144.

[38] الفكر الاستشراقي ص / 95 – 103.

[39] مناهج المستشرقين ص/ 137.

[40] يرى الدكتور الدسوقي أن هناك فريقاً رابعاً يعتقد بصحة نبوة ووحي الرسول r. وأنا لا أرى هذا الرأي لأن الذي يعتقد بصحة الوحي والرسالة يكون مسلماً، ومتى أسلم فإنه يخرج عن دائرة الاستشراق ولا يشار إليه مع المستشرقين وإنما يوضع مع الدعاة المسلمين.

[41] انظر: علوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح، ص 271 ط. دار العلم للملايين، بيروت.

[42] انظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية 1/63 وما بعدها.

[43] انظر: المصدر السابق، ص 104.

[44] الفكر الاستشراقي ص/ 104 – 109.

[45] مناهج المستشرقين ص 83 - 87

[46] محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص 70.

[47] انظر كتاب علوم الحديث/ د.عبد الكريم زيدان، د.عبد القهار داؤد ص( ) استناداً إلى كتب الحديث المعتمدة.

[48] المصدر السابق ص99-100.

[49] مناهج المستشرقين، ج1، ص 272-273.

[50] انظر: العقيد والشريعة في الإسلام، لجولدتسيهر، ترجمة الدكتور: محمد يوسف موسى وآخرين.

[51] لقد دمرت مدرسة بيروت القانونية قبل الفتح الإسلامي لبيروت بنحو قرن.

[52] المشنا: هو الكتاب الأول في التلمود. فالتلمود اليهودي يتألف من المشنا وهي التعاليم الشفوية المزعومة التي أنزلت على موسى عليه السلام في سيناء، والجماراه وهي الشرح الذي قام به الحاخامات اليهود لها. ومجموعها يسمى التلمود، وهناك تلمودان الأول هو مجموعة تفاسير المشنا "الجماراه" كتب في القدس يسمى التلمود الأورشليمي. وآخر كتب في بابل عند السبي البابلي لليهود وفيه شروحات (الجماراه) البابلية على المشنا سمي التلمود البابلي. والمشنا في التلمودين واحدة. ويعتمد اليهود كلياً على التلمود الأخير لأنه يحتوي تفاصيل أكثر تقدر بخمسة أضعاف تعاليم التلمود الأورشليمي.

[53] الفكر الاستشراقي ص 111 – 117.

[54] مناهج المستشرقين ص/ 90- 94.

[55] ربما يقصد الدكتور العاني أنه لا يتطاول عليه أحد.

[56] امتنعت جامعتنا لندن وكمبردج أن يسجل أحد الطلاب الشرقيين أطروحة نقدية لكتاب شاخت "أصول الشريعة المحمدية" "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د.مصطفى السباعي ص 27"

[57] مناهج المستشرقين، د. مصطفى الأعظمي ص 66/67..

[58] مناهج المستشرقين، ص 69.

[59] مناهج المستشرقين، ص 70.

[60] لم يذكر الدكتور عبد القهار العاني هنا لفظ الجلالة، وإنما قال (القرآن الكريم) مع أن المستشرقين اللذين ذكرهما تكلما عن الله وليس عن القرآن الكريم.

[61] موسوعة المستشرقين ص 119 الدكتور عبد الرحمن بدوي.

[62]المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: جولد تسيهر ص 65- 67.

[63]المعتقدات والأديان في منهج القرآن ص / 303 – 319.

[64] محاضرات في الثقافة الإسلامية ص/ 107 – 108.

[65] نفس المصدر السابق.

[66] المصدر السابق ص/ 108 – 110.

[67] المصدر السابق ص/ 110 نقلاً عن شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين ص/ 15.

[68] المصدر السابق ص/ 110 نقلاً عن أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة 1/35.

[69] المصدر السابق ص/ 110 نقلاً عن شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين ص 13.

[70] المصدر السابق ص/ 111 نقلاً عن أكرم العمري "السيرة النبوية الصحيحة" ص/ 136. وقد سبق أن بينا رأي الدكتور عبد القهار العاني ومحمد الدسوقي في موضوعي القرآن الكريم والسنة النبوية في مثل هذا الموضوع.

[71] المصدر السابق ص/ 111 نقلاً عن عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية ص/ 136. وقد بحثنا ذلك مسبقاً في الوحدة الأولى.

[72] "مكسيم رودنسن" مستشرق وعالم اجتماعي فرنسي ولد في باريس 1915 وأتم دراسته فيها ثم قضى سبع سنوات في الشرق الأوسط أستاذاً ثم موظفاً في مصلحة آثار في بيروت مديراً للدراسات في المدرسة العلمية للدراسات العليا في جامعة السوربون حيث يعلم الأثيوبية والحميرية القديمتين ويحاضر في التاريخ البشري للشرق الأوسط وهو أحد المناضلين التقدميين المعادين للاستعمار وله – فضلاً عن مجلة الشرق الأوسط – التي كان يديرها، دراسات عديدة عن الشرق المعاصر والتاريخ الثقافي والبشري للعالم الإسلامي والتاريخ الإفريقي وعلم= =الاجتماع واللغات السامية كما أن له كتاباً ممتازاً عن (حياة محمد) يعيد النظر فيه الآن تمهيداً لإعادة طبعه وله كتاب عن (اثنولوجية الشرق الأوسط) وكتاب آخر عن (الإسلام والاشتراكية) وهو فضلاً عن موقفه على العدوان الإسرائيلي عام 1967 وعلى الصهيونية والعنصرية بوجه عام، كان قد زار القاهرة عام 1964 واشترك في (الندوة العالمية لاتحاد طلاب فلسطين) مناهج المستشرقين ص 5/ 6 – بتصرف-

[73] انظر مناهج المستشرقين ج 2 الدكتور محمد السويسي الجامعة التونسية ص 22 والمصدر السابق ص 24 مقالات رينان عن العلوم عند العرب وإنكاره لها.

[74] المصدر السابق نفسه ص 23.

[75] حضارة العرب: د. غوستاف لوبون/ وسأرمز له "لوبون" نقله إلى العربية عادل زعيتر/ نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه/ المقدمة للمترجم ص 5.

[76] لوبون، ص 20، 26، 27.

[77] لوبون ص 434.

[78] لوبون ص 435 – 436.

[79] مناهج المستشرقين، ص 101.

[80] لوبون ص 436 – 437.

[81] إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث / مالك بن نبي ص/ 14 – 15.

[82] جريدة القبس الكويتية العدد 2732 (الثلاثاء) 25/ 12/ 1976، ودعوناه مستشرقاً لأنه يحاول أن يكون منهم في آرائه.

[83] المصدر السابق.

[84] جريدة الأهرام في 25/ 9/ 1979 الصفحة الحادية عشر.

[85] جريدة القبس – السابق.

[86] مناهج المستشرقين، د. عبد القهار العاني، ص 55- 56.

[87] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. السباعي / 297.

[88] محمد في مكة مونتكومري واط / 273.

[89] رودى باريت، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية ص/ 10.

[90] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية. د. عماد الدين خليل 1/ 139 – 140.

[91] المصدر السابق 1/ 130.

[92] ادوارد سعيد، الاستشراق ص/ 231.

[93] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. زقزوق ص/ 73 نقلاً عن الاستشراق للدكتور إسحاق موسى الحسيني "محاضراً" في الموسم الثقافي للأزهر).

[94] انظر شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي/ الجندي ص /87 وما بعدها.

[95] انظر حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد حسين ص 387 – 388.

[96] محمد أسد / الإسلام على مفترق الطرق ص 53.

[97] المصدر السابق ص / 61.

[98] راجع حصوننا مهددة من داخلها ص391 – 393.

[99] شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص 87 وما بعدها.

[100] كولد تسيهر/ العقيد والشريعة في الإسلام ص / 12.

[101] المستشرقون والإسلام. د. حسين الهواري ص/ 710 وما بعدها.

[102] رينولد نيكلسون، الصوفية في الإسلام ص / 6.

[103] آل شالتيه، الغارة على العالم الإسلامي. ط 2 / ترجمة محب الدين الخطيب منشورات العصر الحديث. جدة 1378 هـ. (ص/ 94).

[104] كولد تسيهر/ العقيدة والشريعة الإسلامية في الإسلام ص/ 12.

[105] دائرة المعارف الإسلامية / كتاب الشعب ج 17 القاهرة ص 482 – 483.

[106] مناهج المستشرقين ص / 52 – 58.

[107] الفكر الاستشراقي ص / 118 – 119.

[108]انظر الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا – د. ميشال جحا ص/ 84.

[109] قام الدكتور المرحوم سليم النعيمي في بغداد بإعادة تحقيقه وقد نشرت وزارة الإعلام العراقية عدداً من أجزائه.

[110] انظر الدراسات الشرقية في أوروبا، د.ميشال جحا ص/ 51 – 53.

[111] لسلي مكلوخن، الدراسات العربية في الجامعات البريطانية ص/ 9.

[112] د. ميشال جحا، الدراسات الشرقية في أوروبا ص / 48.

[113] مصطفى الشهابي – كارل برو كلمان ص / 78.

[114] لسلي مكلوخن – الدراسات العربية في الجامعات البريطانية ص/ 10.

[115] أنور الجندي – التراث الإسلامي والمستشرقون ص / 64.

[116] لسلي مكلوخن – الدراسات العربية في الجامعات البريطانية ص/ 14.

[117]لسلي مكلوخن – الدراسات العربية في الجامعات البريطانية ص / 11.

[118] د. ميشال حجا – الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ص/ 64.

[119] لسلي مكلوخن – الدراسات العربية في الجامعات البريطانية ص/ 14 – 15، ويدعى الآن "سلطان عمان".

[120] لسلي مكلوخن – الدراسات العربية في الجامعات البريطانية ص/ (17 – 18).

[121] نفس المصدر السابق ص/ 7.

[122] د. ميشال جحا، الدراسات الشرقية في أوروبا ص/ 45.

[123] ميشال الآر ، المستشرق الفرنسي المعاصر ص/ 58.

[124] نفس المصدر السابق ص/ 59.

[125] د. ميشال حجا. الدراسات الشرقية في أوروبا ص / 46.

[126] د. ميشال جحا، الدراسات الشرقية في أوروبا ص/ 46 – 48.

[127] يميل الدكتور صلاح الدين المنجد إلى الرأي القائل بأن ألمانيا لم يكن لها تطلعات استعمارية على الإطلاق. انظر – المستشرقون الألمان ص / 7.

[128] البرت ديترش، الدراسات العربية في ألمانيا ص/ 14.

[129] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية. الترجمية العربية ج 1 ص/ 34 – 40.

[130] اجناس كولدتسيهر العقيدة والشريعة في الإسلام ص / 78 – 79 (ولقد وضعت كولدتسيهر في الاستشراق الألماني لأن كتاباته جميعاً باللغة الألمانية وأن الألمان يعتبرونه منهم رغم أنه يهودي هنغاري).

[131] اجناس كولد تسيهر، مذهب التفسير الإسلامي ص/ 4.

[132] نفس المصدر السابق. راجع الصفحات 86 ، 87 ، 124 وغيرها كثير.

[133] يوليوس فلهوزن، الدولة العربية وسقوطها. الترجمة العربية ص / 20.

[134] البرت ديترش، الدراسات العربية في ألمانيا ص/ 16 ، 17 ، 23.

[135] أنور الجندي، التراث الإسلامي والمستشرقون ص/ 62.

[136] البرت ديترش، الدراسات العربية في ألمانيا ص 30 ، 39 ، 42.

[137] البرت ديترش – نفس الصدر السابق ص/

[138] المصدر السابق ص/ 24 ، 25.

[139] البرت ديترش – المصدر السابق ص/ 32.

[140]انظر البرت ديترش المصدر السابق ص/ 8 ، 9 ، 10 ، 12 كذلك انظر . ميشال جحا الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ص/ 190 وما بعدها.

[141] تعارض الدكتورة عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ – هذه النقطة فترى أن على المحققين العرب أن يقوموا بمهمة التحقيق بدلاً من المستشرقين. أن تحقيق التراث في رأيها أمانة، والعرب أولى بحملها وأقدر على فهم النصوص العربية، خاصة وأن الكثير من المحققين الغربيين قد أساءوا في تحقيقاتهم إما لغوياً أو تفسيراً وإما أنهم في عملهم كانوا قدموا خدمة مهمة إلى الجهات ذات المصلحة في الإساءة إلى الأمة العربية. (راجع أنور الجندي – التراث الإسلامي والمستشرقون ص/ 66).

[142] د. صلاح الدين المنجد – المستشرقون الألمان ص/ 8 – 10.

[143] د. ميشال جحا، الدراسات الشرقية في أوروبا ص/ 56 – 58.

[144]د. ماريتنيانو بلغرينورونكاليا. ملاحظات حول الدراسات العربية في إيطاليا اليوم ص/ 33 ، 34 ، 35.

[145]د. ميشال جحا. نفس المصدر السابق / ص/ 41.

[146] نفس المصدر السابق ص/ 43.

[147] د. عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ص/ 56.

[148] نفس المصدر السابق ص/ 61 ، 63.

[149] المصدر السابق ص/ 42.

[150] لقد تسابقت بعض الدول العربية لتطوير معهد الاستشراق بجامعة جورج تاون في الولايات المتحدة، فتأسس كرسي دراسي لكل دولة بدأت تسهم في تطوير ذلك. المعهد.

[151] كتب الموضوع قبل الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق ولا شك بأن الدوائر الأمنية الأمريكية قد استفادت من آراء المستشرقين لدعم موقفها في هذا الغزو.

[152] نبيل بيهم- الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة ص/ 162.

[153] انظر الاستشراق الروسي والاثنوغرافيا، د. مجيد حمد عارف مجلة الاستشراق. ودار الشؤون الثقافية العامة – آفاق عربية العدد الثالث – 1989، ص 130.

[154] يشتهر بايير بنظرية تقول بالأصل النورماندي للدولة الروسية والذي واجه فيها ردوداً قاسية، أما كير فقد اقترن اسمه بتأسيس أكاديمية أو جمعية العلوم واللغات الشرقية في الإمبراطورية الروسية سنة 1733.

[155] الاستشراق الروسي ص 230.

[156] الاستشراق السوفييتي، ص 227 عن الجاص سليمانوف، آسيا وأنا، الماتا 1975، ص 15.

[157] الاستشراق السوفييتي ص 227، نقلاً عن ليخاتشوف شاعرية الأدب الروس والقديم موسكو، 1977، ص 20.

[158] الاستشراق الروسي، ص 230.

[159] المصدر السابق، ص 231.

[160] الاستشراق الروسي، ص 231.

[161] الاستشراق الروسي، ص 232.

[162] نفس المصدر، ص 232.

[163] الاستشراق الروسي، ص 232.

[164] نفس المصدر، ص 233.

[165] نفس المصدر، ص 234.

[166] الاستشراق الروسي ص 234 – 235.

[167] الاستشراق الروسي، ص 235.

[168] نفس المصدر، 235.

[169] الاستشراق الروسي، ص 236.

[170] الاستشراق الروسي، ص 238.

[171] الاستشراق السوفييتي 240.

[172] نفس المصدر 241.

[173] الاستشراق الروسي، ص 242 – 243.

[174] نفس المصدر 243.

[175] نفس المصدر، 243.

[176] نفس المصدر، 245.

[177] الاستشراق الروسي، 246.

[178] الاستشراق الروسي، 246

[179] المصدر نفسه، ص 248.

[180] المصدر نفسه، ص 248.

[181] الاستشراق الروسي، ص 250 نقلاً عن (كراتشكوفسكي. حول تاريخ الاستعراب الروسي، ص 130 ودانتسنغ، الشرق الأوسط في العلم والآداب الروسية، ص 361).

[182] الاستشراق الروسي، ص 258.

[183] الاستشراق الروسي، ص 253.

[184] الاستشراق الروسي، ص 261 – 262.

[185] الاستعراب في الاتحاد السوفييتي، ص7.

[186] نفس المصدر ص 8.

[187] نفس المصدر، ص 9.

[188] الاستعراب في الاتحاد السوفييتي، ص 10، نقلاً عن دليل معهد ناريمانوف للاستشراق موسكو 1926، ص 11.

[189] الاستعراب في الاتحاد السوفييتي، ص 11، نقلاً عن بازيانتس لازلريف للغات الشرقية موسكو 1959.

[190] الاستعراب في الاتحاد السوفييتي، ص 12.

[191] الاستعراب في الاتحاد السوفييتي، ص 19.

[192] نفس المصدر، ص 24.

[193] نفس المصدر ص 27 – 28.

[194] نفس المصدر، ص 31 – 33.

[195] الاستعراب في الاتحاد السوفييتي ص 36 ، 38 ، 40 ، 41.

[196] الاستشراق السوفييتي والاثنوغرافيا، د. مجيد حميد عارف، ص 134 ، مجلة الاستشراق، العدد الثالث، بغداد 1989.

[197]المصدر السابق، ص 131.

[198] الاستشراق السوفييتي والاثنوغرافية ص 132 – 133.

[199] المصدر السابق، ص 134.

[200] نفس المصدر، ص 134.

[201] الحقيقة أن النظام العالمي الاقتصادي في تلك المرحلة كان يتبنى النظام الإقطاعي، ويتضح هنا القصد من الإساءة إلى العرب بوصفهم إقطاعيين في وقت لم تكن هناك إشارة إلى سوء النظام في تلك المرحلة من الزمن حتى أن العرب أنفسهم كانوا يسمون ذلك النظام بنظام الإقطاع وهم لا يعنون بذلك أي سوء في التنـزيل من قيمة البشر الذين يعيشون تلك المرحلة أو يرتبطون بالعمل في تلك الأراضي. وقد توسع عثمان بن عفان رضي الله عنه في الإقطاع (انظر عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، طبعة1/ 1404هـ - 1994م)، ص 223-225. وغيرها كثير. وانظر عثمان بن عفان، محمد حسين هيكل، دائرة المعارف في مصر، طبعة 3، 1973، ص 59 وما بعدها (والإقطاع هنا لا يعني الإقطاع الظالم في أوروبا بعدئذ).

[202] يتضح حقد الباحثين بيتانوف وفيدوسوف هنا على العرب والمسلمين في عدم فهمهم ووصفهم بأوصاف معاصرة. وهو يدل على عدم اطلاعهما على طبيعة الإسلام وعدالته التي يشهد لها العارفون بالإسلام ويمكن توجيه السؤال التالي كرد على مزاعمهما وهو: لماذا بقي أحفادهم مسلمين إلى اليوم وقد انتهى الوجود العربي هناك منذ زمن طويل؟.

[203] تاريخ الاتحاد السوفييتي، ص 69 – 70.

[204] موجز تاريخ الاتحاد السوفييتي ص 12، ويتضح من النصوص استخدام المؤلفين إلى الألفاظ المعاصرة لوصف الماضي.

[205] كفاح تركستان ص 17.

[206] الطريق إلى حياة جديدة المفتي ضياء الدين بابا خاونف (ص / 13).

[207] الطريق إلى حياة جديدة ص 21 – 24.

[208] الطريق إلى حياة جديدة، ص 37.

[209] أمريكا انثروبولوجست / الجزء السبعون ص/ 671 – 697.

[210] من محاضرة للدكتور خليل سمعان في اتحاد المؤرخين العرب ببغداد بتاريخ 7 /12/ 1984.

[211] موسوعة المستشرقين. د. عبد الرحمن بدوي (42 – 47).

[212] (موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي. دار العلم للملايين. بيروت 1984).

[213] علي ادهم. المستشرق رينهارت دوزي. مجلة الهلال، يناير 976 العدد الأول / السنة الرابعة والثمانون ص 14 – 23. وانظر الأعلام ، خير الدين الرزكلي، المجلد الثالث ص 38 – 39 بيروت. ط 5 أيار 1980 وكذلك المعاجم العربية، مقدمة المرحوم الدكتور سليم النعيمي. وزارة الثقافة والفنون 1978.

[214]راجع د. الطاهر أحمد مكي. اسين پلاثيوس. مجلة الهلال. المصدر السابق ص 40 – 46.

[215] موسوعة المستشرقين ص 272 – 277.

[216] موسوعة المستشرقين ص 119 – 125.

[217] مذاهب التفسير الإسلامي ص/ 4.

[218] المصدر السابق 86 ، 87 ، 124 وغيرها.

[219] موسوعة المستشرقين ص 119 – 125.

[220] د. سوزان اسكندر، مع المستشرقين الإيطاليين وكارلو الفرنسو نالينو. مجلة الهلال، يناير 1976، (العدد الأول، السنة الرابعة والثمانون).

[221] (موسوعة المستشرقين) د. عبد الرحمن بدوي بيروت 1984 ص 163 – 167.

[222] كراتشكوفسكي، الاستعراب الروسي، ص 82، موسكو لينينغراد، 1950.

[223] الاستشراق الروسي، ص 243.

[224]نفس المصدر السابق، ص 246.

[225]المستشرقون ج 3/ 933.

[226] المستشرقون ج 3 / 933.

[227] المستشرقون ج 3 / 940.

[228] المستشرقون 3 / 253.

[229]الاستشراق الروسي، 252، المستشرقون 3 / 940.

[230] الاستشراق الروسي، ص 257.

[231] المستشرقون 3 / 946.

[232] د. محمد عبد المنعم خفاجي. أ. يو. كراتشكوفسكي والأدب الجغرافي العربي مجلة الهلال. المصر السابق ص 52 – 59.

[233] انظر موسوعة المستشرقين ص 179 – 181.

[234] ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ضمن كتابه شخصيات قلقة في الإسلام (القاهرة 1947).

[235] كذلك.

[236] (موسوعة المستشرقين ص / 342 / 343).

[237]موسوعة المستشرقين ص 19 – 21.

[238] موسوعة المستشرقين. بورب 252.

[239] المصدر السابق ص 253.

[240] موسوعة المستشرقين: د. بدوي ص 254.

[241] المصدر السابق ص 255.

[242] (ملخصة عن ادوارد سعيد – الاستشراق) انظر نبيل بيهم، الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة ص/ 151 – 152.

[243] الأب ميشال الآر، الاستشراق الفرنسي المعاصر ص/ 61.

[244] نبيل بيهم المصدر السابق ص / 152 (ملخص عن كتاب "المستشرقون" لإدوارد سعيد).

[245] نفس المصدر السابق ص / 157.

[246] نبيل بيهم، الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة ص / 160.

[247] أنور الجندي: التراث الإسلامي والمستشرقون ص / 67.



Orientalism

In Islamic Studies

Sa'adoun Al- Samook

دار المناهج للنشر والتوزيع
Dar Al-Manahej Publishers

عمان-شارع الملك الحسين- عمارة الشركة المتحدة للتأمين
هـاتف ٤٦٥٠٦٢٤ ص. ب ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن

www.daralmanahej.com
info@daralmanahej.com



SERIOUS Design